العدالة الاجتماعية

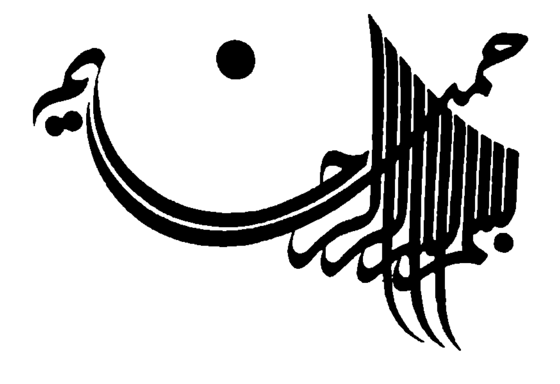
فى الاسلام

(التمييز العنصري)

من خطب صلاة الجمعة التي القاها

حجة الاسلام والمسلمين علي اكبرهاشمي الرفسنجاني




بسم الله الرحمن الرحیم

العدالة الاجتماعية في الاسلام

«التميز العنصري»

من خطب صلاة الجمعة التي القاها
حجة الاسلام والمسلمين
علي اكبر هاشمي الرفسنجاني





الكتاب: العدالة الاجتماعية في الاسلام

حجةالاسلام والمسلمين علي اكبر هاشمي الرفسنجاني

المترجم: عبدالكريم محمود

الناشر: رابطة الثقافة و العلاقات الإسلامية

مديرية الترجمة و النشر

سنة الطبع: ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م

الكمية: ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: سپهر

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران/ طهران. ص.ب ١٤١٥٥/٦١٨٧

ISBN 964-6177-74-3

مقدمة الناشر

للكتاب دوره المتميز في نقل الفكر الانساني، ورفد الحضارة بكل ما يرسم لها طريقها الصاعد.

ولا ريب في ان الفكر الاسلامي يمثل قمة من قمم الفكر الانساني بما يستمدّه ـ من خصائص الاسلام ومنابعه ـ من عطاء ثر ونظرة واقعية للحياة.

واننا اذ ندرك هذه الحقيقة، لنرجو ان نسهم في هذه العملية الكبرى بما نستطيع، راجين المولى العلي القدير ان يوفقنا لخدمة القضية الاسلامية الكبرى، انه السميع المجيب.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة:

نحمد اللّه إذ وُفّقنا مرة أُخرى - بعد انقطاع طويل - لمتابعة الكنز الثمين المتمثل في سلسلة بحوث «العدالة الإجتماعية» و طبعها وايصال مواضيعها القيمة جداً والتي تطرح لأول مرة بهذا الطراز وهذا الاسلوب الى اسماع عطاشئ عالم البشرية، اولئك العطاشئ الذين عانوا قروناً من تسلط المستكبرين والجبابرة واتجهوا فراراً من ذلك التسلط نحو آفاق كانت تبشرهم ببزوغ الفجر الجميل وإشراق الحياة الطيبة التي لا ظلم فيها، لكنهم توصلوا بعد فترة ليست بالطويلة الى حقيقة مؤكدة تقول: إن خلف هذا الظاهر المخادع الذي ظنّوه أُفقاً جميلاً، ظلمة رهيبة تؤدي في حقيقتها دور الذراع الثانية للكمّاشة التي تقمعهم، وان نير الاستضعاف قد أثقل عليهم هذه المرة في اطار صيغة اخرى، وهكذا ظلوا وحدهم حائرين وقد اعياهم التعب وارهقتهم الوحدة، وصاروا يهربون من كل «ايزم» (ism) في هذا العالم الذي لسان حال افراده يقول: «وانفساه» ولم يعودوا يرون أي بصيص أمل وأي نموذج للكفاح وتغيير انظمة القطبين العالميين.

ومن هنا برزت أكثر من ذي قبل أهمية مبدأ تبيان قيم الاسلام السامية والهادية، لاسيما بعد أن خرجت تلك القيم من الحال النظرية وتجسّدت في اطار «الحكم» بل الحكم القائم على أساس «اللاشرقية» و «اللاغربية» فصار الاهتمام بها أمراً أكثر ضرورة.

وبحوث هذا الكتاب -كما يدلنا عليه اسمه - تتعلق بـ«التميز العنصري»،

وقد طرحها أحد الشخصيات المحبوبة جداً في نظام الجمهورية الاسلامية والذي هو على صلة بالمصادر الاسلامية الغنية والمتقنة ويُعد في الوقت ذاته من المحللين الأقوياء للقضايا الاجتماعية وذوي المعرفة التامة بالمكائد الاستعمارية، وهو من جهة أخرى من المسؤولين والمقنِّنين في حكومة ادهشت العالم خلال عمرها القصير باعتمادها على الاسلام الأصيل وعلى طرحه من جديد.

بهذا الوصف المختصر يتوضح تماماً أن هذا الكتاب غني عن أي تعريف ولو على شكل مقدمة، ومن جهة أخرى نجد نحن أنفسنا في الحقيقة قطرة أمام البحر الواسع من الفصاحة والمعرفة التي لدى هذا المفكر القدير الذي يدعو الجميع لسلامته وطول عمره من أجل تقديمه المزيد من الخدمة للاسلام والمسلمين، ونحن نعتقد جازمين بهذه الحقيقة، ولكننا عملاً بالقول المأثور: ان عجزت عن شرب ماء البحر فاغترف منه غرفة لإرواء الظمأ، نورد بعض الكلمات كمقدمة لهذا الكتاب لنكون قد طبقنا العرف الذي يقول «ان لكل كتاب مقدمة» ، وكذلك المبدأ القائل: «ما لا يدرك كله لا يترك كله» .

فمع أن قضية «التمييز العنصري» غير مطروحة ابداً لدى الشعوب المسلمة في ايران والعالم وان قضية باسم «التفوق العنصري» لم تخطر حتى في مخيلة كثير من المسلمين وربما لم يفكروا أبداً أن بالامكان أن يتميز شخص على آخر بسبب لون بشرته، إلاّ أن هذه القضية - وكما أشير إليها في هذا الكتاب صراحة - تعد من البحوث الرئيسة في العالم المعاصر (المتحضر ظاهراً) مع كل هذا التقدم في العلم والتقنية والمنظمات الدولية المتشعّبة، وهي من أكثر السوابق خزياً وخيانة لدى زعمائه، لذلك لا يخلو طرح هذه القضية على الشعب الايراني المسلم البطل من محاسن فضلاً عن ابعادها العالمية التي تحظى بأهمية قصوى، وهي أيضاً تحظى بأهمية خاصة من بعض النواحي إذ ينبغي لشبان هذا الشعب وأبناء جيله الصاعد أن يزدادوا معرفة بالوجه القبيح لسود القلوب، هؤلاء البيض ظاهراً لكي يجاهدوهم بمعرفة تامة بهم ويدركوا

بصورة افضل لماذا يصطدم بهم نظامنا الإلهي الفتي؟ ولماذا يسمي رمزهم الشيطان الأكبر؟ ولماذا وضع في مقدمة مبادئ سياسته الخارجية عدم مماشاتهم وعدم مساندتهم؟

ففي حال عدم طرح مثل هذه القضايا والاهتمام بها قد يتمكن ـ لا سمح اللّه ـ اعداء الاسلام الألداء الذين يرون جانباً من تجسيده في الجمهورية الاسلامية في ايران من أن يشوهوا ـ بأبواقهم التي تعمي الابصار وتصم الآذان ـ وجه الثورة المكافح للظلم والمدافع عن المستضعفين ويقنعوا شعب ايران وشعوب العالم بأن : «سبب عداء الثورة الاسلامية لهم يعود الى حب السلطة والأطماع الشخصية كما هو حال سائر الحكومات» فينفّروا بهذه الدعايات الشبّان الاعزاء لا سيما الجيل القادم من الثورة فينفذوا بذلك الى سياسات ايران المبدئيّة والاصولية ويحرفوها عن مسارها، ولابد أن نشير هنا الى مسألة مهمة وهي أن كل الأنبياء العظام والأئمة المعصومين (ع) وكبار رجال الدين نذروا حياتهم لإحقاق حقوق المحرومين ومقارعة الظالمين. ومن المؤكد أن هذا الأمر لم يتحقق عملياً بشكل كامل ولن يتحقق إلا بالحصول على الحكم، وان الحكومة في الاسلام تحظى في الأساس بالأهمية اذا استطاعت انتزاع حق الضعيف من القوي، وإلا فإن مجرد كون المرء حاكماً أقلّ قيمة في نظر الفكر الاسلامي حتى من نعلٍ بالٍ كما ورد في مضمون كلام لمولى المتقين علي(ع).

وفي الختام نوصي بمطالعة هذا الكتاب ـ فضلاً عن جيل الثورة الفتي ـ اولئك الذين تعرفوا أكثر من غيرهم على الغربيين ومظاهرهم ومدارسهم الفكرية والذين ربما تأثروا بدعاياتهم المضلّة فتوهموا أن «المدارس الفكرية الغربية أو الشرقية» يمكنها أن تتخذ اساساً لـ «الحياة» ونقصد هنا الحياة القائمة على أساس «العدالة» و «الحق» ونؤكد على هؤلاء ضرورة مطالعة هذا المؤلَّف النفيس ليطّلعوا بطريقة علمية على حقائق التاريخ، ويتلمّسوا بدقة مواصلة المستكبرين المعاصرين تكرار حوادث هذا التاريخ ثم ليضعوا كل هذا الفساد والظلم أمام آية واحدة فقط من القرآن الكريم وهي التي تقول: «ان

أكرمكم عند الله اتقاكم» فيروا كيف رفض الاسلام كل الفوارق القومية والعنصرية والطبقية وغيرها، وجعل المقياس الوحيد للتفاضل بين الناس التقوى القائمة على المراعاة التامة لحقوق الآخرين وعدم ممارسة الظلم وعدم الخضوع له، فوضع للفرد المسلم مبدأ جعله يرى «بلال» الأسود مفخرة من مفاخر الاسلام الخالدة.

وأخيراً نتقدم بكامل الشكر والتقدير الى كل أولئك الأكارم الذين طلبوا منا بالحاح طوال فترة توقف طبع سلسلة بحوث «العدالة الاجتماعية» مواصلة هذا العمل، ونحن ننتظر منهم دوماً أن لا يبخلوا علينا بتوجيهاتهم واقتراحاتهم القيمة كما كان دأبهم في السابق، كما نتقدم بالشكر والتقدير الى كل الذين كانوا لنا عوناً في هذا السبيل ونسأل الله تبارك وتعالى مزيداً من التوفيق للعاملين في هذا المجال جميعاً.

الخطبة الأولى

الجمعة: ١٣٦٣/١/٣ هـ.ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه: **«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير»**. (الحجرات / ١٣).

في اول صلاة جمعة تقام في عام ١٣٦٣ هـ.ش ، والتي تصادف مع الأسبوع العالمي لمكافحة التميز العنصري، نبدأ بحث العدالة الإجتماعية بشأن العناصر البشرية المختلفة، ومكافحة التمييز العنصري في العالم المعاصر. وهو من بحوث العدالة الاجتماعية المهمة جداً. ونأمل ان نوضح من على منبر صلاة الجمعة المقدس هذا، وخلال سلسلة من الخطب التي ستلقى في هذا الشأن على الشعب المسلم في ايران والشعوب الاخرى في أرجاء العالم، واحدة من اهم القضايا العالمية مع شرح موقف الاسلام منها، ونقد مواقف سائر المذاهب والتيارات الفكرية السائدة في العالم منها.

قد لا يبدو الخوض في هذا البحث مهمّاً جداً وحيوياً لدى قليلي المعرفة بالامور اذ لا وجود في داخل بلادنا لقضية التمييز العنصري والنزاع بين العناصر المختلفة، وان العناصر شبه المختلفة عن بعضها التي تعيش في بلادنا مثل الفرس والأكراد والاتراك والعرب والبلوش والتركمان لا تجد بينها قضية اسمها الفوارق العنصرية، ولكن الاسلام اليوم مطروحٌ في العالم بأسره بما في ذلك افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية وهي مناطق تعد الضحايا الأُولى لقضية

التمييز العنصري حيث عانت الأمرّين من ذلك، وسيثبت بما سأوضحه أن كل العالم المحروم والمستضعف يعاني من هذه المصاعب أمام مجموعة من المستكبرين، وستعرفون مما سيأتي أن قاعدة الاسلام العالمية تتعزز بهذه البحوث.

فاذاكان تصدير الثورة مهمّاً لدينا، واذاكانت عالمية الاسلام هي الأصل عندنا، واذا كنا نصرف الأموال ونقدم الضحايا ونتحمل المشاكل من أجل الشعوب الأخرى، واذا كانت قضية الحركات الاسلامية والانسانية تحظى بتأييدنا، واذاكانت محاربة الاستكبار قضية تهتم بها ثورتنا، فلابدَّ أن نخوض هذا البحث ونفصّله.

وهذا البحث من البحوث التي تكشف الوجه القبيح للمستكبرين الحاكمين في العالم على حقيقته، وتوضح موقف الاسلام الحازم والعادل من هذه القضية العالمية التي ابتليت بها البشرية ردحاً من الزمن، وسيتوضح بذلك لماذا يحظى طرح هذا البحث من على منبر صلاة الجمعة الذي هو منبر اسلامي بالضرورة القصوى. وقد ذكرت من قبل أن البحث الاقتصادي يحظى بأولوية اكبر بسبب تعلقه بالشؤون الداخلية للبلاد ولذلك قدّمناه بالبحث على غيره

أما بحوث العلاقة بين الحكومة والشعب، والفوارق بين المرأة والرجل، والمشاكل القضائية في العالم، والعدالة في المحاكم القضائية، فهي من القضايا الرئيسة للعدالة الاجتماعية فسأتطرق لبحثها بعد الانتهاء من موضوع التمييز العنصري .

وإنني لا أعلم كم سيطول هذا البحث، لكني أظن أنه سيكون بحثاً طويلاً نظراً للمطالعات التي اجريتها والملاحظات التي وفقت لتدوينها في هذا الشأن في أيام دراستي في حوزة العلوم الدينية.

فنحن إذن نبدأ اليوم بحثاً جديداً بعنوان العدالة الاجتماعية من حيث العناصر البشرية المختلفة ومكافحة التمييز العنصري في العالم.

التاريخ أفضل مختبر لمعرفة المدارس الفكرية :

مما يجدر ذكره هنا أننا طرحنا في بحث العدالة الاسلامية حول الاقتصاد بشكل مختصر فصلاً يحظى بالأهمية كان البحث يدور حول القيم الأصيلة التي يؤكد عليها القرآن والاسلام، والذي يتخذ وسيلة للتفاضل بين البشر. وقد قلت إن القيم هي وسيلة التفاضل في المجال الفكري والعملي. أما بقية القضايا كاللغة والعنصر والثروة والظروف الجغرافية والطبقية وكل الأمور التي هي اليوم مصدر القيمة في العالم وفي مجتمع المستكبرين، فقد ألغاها الاسلام.

وعليه فأنتم مطّلعون الأشياء التي أكد عليها الاسلام كقيم وفضائل والأشياء التي وصفها بأنها لا قيمة لها.

وهذه الفترة الأخيرة من تاريخ العالم التي تتراوح بين الأربعمئة سنة والخمسمئة أفضل مختبر لمعرفة المدارس الفكرية والتيارات السائدة فيالتاريخ والتي سنبحثها، فمنذ ذلك اليوم الذي دُوِّن فيه التاريخ وعرف كتاريخ في الثقافة العالمية، كان هناك وجود لقضية التمييز العنصري، وكان هناك أناس في كل مراحل التاريخ يعتبرون انفسهم عنصراً متفوقاً ويسعون الى استغلال الآخرين والتسلط عليهم بسبب اعتقادهم بتفوق عنصرهم.

واننا نلاحظ هذه القضية في مصر القديمة، حيث نعرف ما فعله الأقباط بالأسباط كعنصر، وهو عنصر منسيٌّ اليوم، وبعد ذلك حين اسقط احفاد يعقوب فرعون بثورة موسى، رأينا ما فعل بنو اسرائيل كعنصر متفوق بالاقباط وكل العناصر التي كانت تعيش في اطراف تلك المنطقة، وأية جرائم ارتكبوها باسم الشعب المختار والعنصر الأفضل وغير ذلك، وما يزال الصهاينة يحملون هذا التراث المشؤوم ويعملون من أجل التفوق العنصري.

وفي اليونان التي هي مهد الحضارات الغربية رأينا المدن اليونانية التي كانت تتمحور حول العنصر اليوناني المتفوق، ورأينا كيف وقع افلاطون في

فخ هذه الخرافة واضطر لتأييدها كتيار حتمي سائد.

ورأينا بعد ذلك ارسطو الذي كان تلميذ افلاطون يثور على هذه المظلمة الاجتماعية والانسانية ويحطّم هذه الاسطورة، ورأينا في ايران القديمة كيف صنف الهخامنشيون المناصب الى درجات مثل رجال الدين والعسكريين واهل الديوان والمدراء والتجّار والصنّاع فقدّسوا الوظيفة الاولى وخصصوا الوظائف الثلاثة التالية للعنصر الآري -حيث ورثنا هذه التسمية اليوم- واعطوا بقية الأعمال للناس العاديين، وهكذا نجد أن هذه القضية كانت لها الى هذا الحد جذور في الأزمنة الغابرة.

وفي الهند التي تعدّ مهد حضارة عظيمة مازلنا نلاحظ آثار الطبقية المقيتة جداً، فرغم النشاطات الانسانية للمرحوم غاندي فإنَّ (النجسين) ما يزالون من اكثر أهل الهند ظلامة، ومع ان اسماً جديداً قد أُطلق عليهم لكنهم ما يزالون على وضعهم السابق وهم في الحقيقة من مظلومي التاريخ العنصري.

وفي الصين واليابان وفي كل ارجاء العالم كلما عثرنا على جذور حضارة ومهد حركة اجتماعية هائلة وجدناها مقترنة بالعنصرية وتقديس الدم والسعي من أجل الحفاظ على وحدته والحيلولة دون امتزاج دم احد العناصر بدماء العناصر الاخرىٰ وغير ذلك من المصائب ، وإني أدع القضايا التاريخية لأهل التاريخ فهذا بحث يخص الجامعات وهو عمل ثقافي ليس هذا موضع الخوض فيه.

منذ ما يقرب من خمسمئة عام وبعد النهضة الأوربية الحديثة بدأت حركة جديدة اسميت بالحضارة الاوربية ، وهي حركة يقتضي الانصاف تسميتها بالوحشية والبربرية الاوربية ، فالجرائم نفسها التي كانوا يرتكبونها في اوربا باسم العنصر والعنصرية، يرتكبونها اليوم بلا شك بحق الناس باسم الحضارة وحقوق الانسان والحفاظ على السلام وامثال ذلك.

وحين نتصفح تاريخ المستبدين في العالم نلاحظ أن هؤلاء حين عجزوا عن الاعتماد على مدرسة فكرية صحيحة طرحوا العنصرية والقومية كنقطة

ير تكزون عليها، كما فعل المستبدون المعروفون امثال هتلر وموسوليني الذين اشعلوا حرباً عالمية ما تزال آثار الجرائم التي ارتكبت فيها قائمة، وشعوب العالم المختلفة تعرف هؤلاء ويعرفهم شعبنا، وربما اطلع ابناؤنا في مدارسهم على شيء من تاريخ هؤلاء.

الشاه المقبور يتشبث بالعنصر الآري:

ووفق هذا الأساس العنصري والقومي ارتكب هؤلاء جرائم بشعة بحق البشرية وربما تعجبون اذا عرفتم أن العنصر الآري الذي تشبّث به الشاه الملعون في الفترة الأخيرة واراد أن يضفي به الشرعية على حكمه الاستبدادي كان أساس تفكير موسوليني وهتلر أيضاً، حيث كانا يعتقدان أن الاوربيين من العنصر الآري وان العنصر الآري الأصيل لا يوجد إلا هناك، ولم يكونا يسمحان ابداً بامتزاج دم العنصر الآري بدماء العناصر الأخرى في العالم، ومن هذه الفكرة كانت تنبع جذور الفلسفة التي صنعتها فاشية ايطاليا ونازية المانيا، أي أنهم كانوا يطرحون القومية والبعد الاجتماعي معاً، ومثال ذلك الحزب القومي الاشتراكي، ومصطلح «النازية» اختصار لاسم هذا الحزب، انظروا تاريخ الحرب ولاحظوا افكار هتلر واقرأوا كتب هؤلاء وانظروا على أي شيء كانوا يعتمدون حتى جروا الويلات على العالم بمثل تلك الصورة.

فموسوليني الذي ارتكب افضع الجرائم واستخدم الغاز السام ضد الافارقة كان قد رفع لواء الفاشية ووجد له انصاراً كثيرين واحدث كوارث في العالم بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٥، أما هتلر الذي حوّل العالم الى جهنم منذ عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٤٥ فقد تحرك تحت هذا العنوان أيضاً، واخيراً رأينا قضية صدام التي تشم منها رائحة هذا الأمر أيضاً، فحين بدأ الحرب سمّاها القادسية[١]

---

١ - القادسية: اسم موضع في غربي ايران وقعت فيه معركة في عهد يزدجرد الثالث (آخر الملوك الساسانيين) وعمر بن الخطاب (الخليفة الثاني) في السنة الرابعة عشرة للهجرة (عام ٦٣٥ للميلاد)

فأبعد القادسية عن حقيقتها حيث كانت حركة اسلامية في مقابل الكفر في ذلك العصر، واعطاها صبغة المواجهة بين العرب والعجم، وافتخر بها كحركة للعروبة في مقابل العجم.

والآن اذ بدأت البحث وتحدثت عن تفاصيل الحوادث في ارجاء العالم ترون أن كثيراً من الحركات المعاصرة في أميركا وأوربا وروسيا تحمل هـذا المعنى نفسه، لكنهم يطلقون عليه تسمية أخرى، وقد تمثلت نقطة الضعف في حركة جمال عبد الناصر في استناده في مواجهته اسرائيل الى العروبة بدلاً من استناده الى الاسلام، لذلك لم يستطع من تحقيق هدف حركته، ولهذا التفكير نقاط سلبية كثيرة جداً، حيث بدأ في اوربا منذ أن خرجت قبل نحو خمسمئة عام من القرون الوسطى والفترة المظلمة وحملت راية الحركة المـادية فـي العالم مستنيرة بالعلم والفن.

الفلسفة السائدة لدى الأوربيين:

ومنذ ذلك الحين سادت بين الأوربيين فلسفة تقول ان من بـين عـناصر العالم (التي تتلخص في أربعة ألوان هي الأبيض والأصفر والأسود والأحمر) يبرز العنصر الأوربي باعتباره اكثرها أصالة أما العنصر الأحمر الذي نجده في أميركا اللاتينية واميركا الشمالية، والعنصر الأصفر الذي نجده في شرقي آسيا، والعنصر الأسود الذي نجده في افريقيا فهي من العناصر المنحطّة والتي لا ينفع السعي من أجل تربيتها ـ كما كانوا يقولون حين ذلك وما يزالون يقولون اليوم ـ إلا كما ينفع السعي من أجل تربية الكلاب.

فبالمقدار نفسه الذي يمكن أن يتقدم به الكلب ويصبح وفياً يمكن أن يتقدم هؤلاء، وهكذا سادت لديهم هذا النمط مـن التـفكير، وحـين تـزوّدوا

واستمرت اربعة أيام وانتهت بهزيمة الايرانيين ، وكان قائد الجيش الاسلامي في تلك المعركة «سعد بن ابي وقاص» وقائد الجيش الايراني رستم فرخزاد .

بالطاقة التجارية وصناعة السفن وسيطروا على حركة الملاحة البحرية تحركوا من اطراف المحيط الأطلسي وانطلقوا الى الغرب نحو اميركا وداروا كذلك حول افريقيا، وفي آسيا بدأوا من خليج البنغال والمناطق الأخرى وطافوا كل مناطق آسيا من اليابان وفيتنام وكوريا وشبه القارة الهندية وحتى استراليا واندونيسيا وكل المناطق المحيطية، والتقوا وجهاً لوجه في كل هذه المناطق بالملوّنين الذين كانوا هناك من الجنس الأصفر أو الجنس الهجين من الأصفر والأسود.

ومما يؤسف له انهم استخدموا في هذا المجال سلاحاً ماضياً جداً وهو الانجيل والمسيحية الذين تظاهروا بحملها رياء كما كان شأنهم في السابق.

وقد ولدت المسيحية في الشرق وفي فلسطين بالذات وكان زعيمها رجل من الشرق الأوسط، ثم انتقل مركزها الى روما وخضعت للبابوات والزعماء المسيحيين الذين كانوا يتعصبون تعصباً شديداً للبيض الأوربيين.

وفي عام ١٤٩٣ حين اكتشفوا القارة الأمريكية لأول مرة ووصل النبأ الى البابا الكسندر السادس كتَب وثيقة رسمية منح بموجبها القارة الأمريكية كلها من القطب الجنوبي وحتى القطب الشمالي للبرتغال واسبانيا اللتين اكتشفتاها، وكأن اللّه منح البابا العالم كله عن طريق المسيحية ليمنح هو بدوره دفعة واحدة اراضي الملايين من البشر في هذه القارة الذين يمارسون اعمالهم في مزارعهم وقراهم وجبالهم للبرتغاليين والاسبان وفق وثيقة رسمية.

يقول أحد المفكرين المناضلين الأفارقة: إن الأوربيين جاؤوا الى افريقيا فقدموا لنا الانجيل فأعجبنا به لكنهم كانوا لا يرغبون فينا بل في ارضنا، وقد ادركنا الآن أنهم أخذوا منا الأرض واعطونا الانجيل، ولم يجلب لنا الانجيل سوى الخرافات والعبودية لكن أرضنا أعطتهم كل شيء .

وهذا يعني أن الأوربيين عرضوا الدين على المفكرين في البلدان الافريقية والمناطق الأخرى بهذا الشكل، ولو أننا نجد اليوم في افريقيا مجالاً خصباً جداً للحركة الاسلامية ونجد اكثر من ستين أو سبعين في المئة من شعوب

افريقيا يتعطشون للاسلام رغم أن كثيراً من الرؤساء الأفارقة عملاء للأجانب الأوربيين والاميركيين ونجد سفارتنا في البلدان الأفريقية تخضع لرقابة الشرطة الدولية ووكالة الاستخبارات الأميركية والاسرائيلية والروسية والانكليزية، فمرد كل ذلك الى خوفهم من الاسلام، وقد بدأ هؤلاء عملهم منذ خمسمئة عام، وسوف تلاحظون في البحوث القادمة تحركات قام بها هؤلاء في ارجاء العالم باسم المسيحية والحضارة والعنصر الأبيض والآري، وباسم العنصر الذي يحق له السيادة على غيره حسب اعتقادهم.

وسوف أورد في البحوث القادمة مقاطع من تاريخ هؤلاء وسوف تعجبون من مدى قوتهم الاعلامية التي اخفوا بها وجوههم القبيحة، واننا نرى اليوم أن قضية التمييز العنصري قد خرجت منذ فترة من قاموس الكفاح، والسبب في ذلك يعود ايضاً الى نفاق هؤلاء، وقد رأينا كيف احتفل العالم في الاسبوع الماضي بكل هدوء بيوم مكافحة التمييز العنصري، ثم انكم ترون أن (الرئيس الاميركي الاسبق) كندي وقع قبل نحو عشرين عاماً ضحية هذه القضية، فهؤلاء يعملون بشيطنتهم وكل الوسائل الدعائية التي يملكونها على ابعاد هذه القضية عن اذهان الناس، واني ارغب في احياء هذه القضية التي لابد من إحيائها ليفهم العالم ويفهم المستضعفون من يواجهون.

الاسلام والعنصرية :

انظروا ماذا فعل الاسلام قبل ألف واربعمئة عام حيث بلغ التعصب العنصري ذروته في الجزيرة العربية، ولم يكن العربي الأصيل يوافق ابداً على امتزاج دمه بدم الايرانيين والروم والافارقة وغيرهم.

لقد أعلن النبي (ص) هذه الآية التي قرأتها في اول الخطبة حيث قال تعالى: **«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ اكرمكم عند الله أتقاكم».**

وقد طرحت التقوى هنا كمحور ، فلا فرق بين العنصر الأسود والأبيض

والأصفر، وقد وجه النبي (ص) الناس توجيهاً جيداً من الناحية الايديولوجية، أمّا من الناحية العملية فقد بلغ حداً جعل به رجلاً مثل بلال الحبشي الذي كان عنصراً متّقياً ولكنه ذو وجه افريقي خشن وصوت رديء جداً مؤذناً.

وحين اعتلى بلال العظيم الكعبة لأول مرة بتلك الهيأة وذلك الصوت وصدح بالأذان، صَمّ اشراف مكة آذانهم وقالوا: لقد جلب لنا النبي كل هذه المصائب فغضضنا عنها الطرف فمن هذا الرجل؟ ولم يكن النبي يكره الصوت الجميل والحسن اذ اننا نعرف أن الاسلام يشجع الصوت الحسن فحين كان الامام السجاد يتلو القرآن كان السقّاء الذي يمر من امام بابه يطيل الوقوف عنده ويظل الماء يقطر من قربته التي على كتفه حتى تفرغ، وقد اشار القرآن الى صوت داود أيضاً.

فلم يكن النبي إذاً يستحسن الصوت القبيح بل اراد أن يمنح القيم المرتبة الاولى، ويجعل لون البشرة والجمال الظاهري والصوت الحسن في المرتبة الثانية، وهكذا كرّمت التقوى والجهاد بلالاً فصار تلك الشخصية العظيمة في الدولة الاسلامية، هذا هو محور حركة النبي (ص) والتي سأتحدث عنها في البحوث القادمة ان شاء اللّه، وهكذا حل النبي (ص) القضية في ذلك الزمان.

أما سلمان الفارسي الذي كان عجمياً فقد صار من أهل البيت[١] ، وصار المقداد الذي ولد من امرأة سوداء من اقرب المقربين، وسوف نقارن ان شاء اللّه بين هذه الأمور واعمال الأوربيين لنرى كيف يدّعون الانسانية والديمقراطية والدفاع عن حقوق الانسان.

وسنرى كيف حل الاسلام هذه المعضلات المهمة جداً وجعل محوره قائماً على التقوى ثم نرى كيف يعاني العالم اليوم من هذا التمييز العنصري.

فالعنصريون الأوربيون والأميركيون يرتكبون اليوم كل الأعمال الشائنة ثم يطلقون عليها تسميات أخرى.

---

١ - قال رسول اللّه (ص): سلمان منا أهل البيت.

الخطبة الثانية

الجمعة: ١٣٦٣/١/٣١ هـ.ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه: اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، **«ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي»**. (النحل/٩٠).

مزاعم باطلة ودعم الخونة لها:

كانت بحوثنا السابقة التي دارت حول الاقتصاد ذات طابع داخلي في اغلبها وقلّت فيها الصبغة الدولية والعالمية. لكن هذه البحوث تطرح في معظمها الطابع السياسي الدولي للإسلام وقلّما تتناول القضايا الداخلية.

ومع أن أول نظرة تلقى على هذه البحوث لا تدل على أنها بحوث الساعة لكن المواضيع التي سأذكرها ستجعلكم تدركون أنها أهم البحوث العالمية الجذرية المعاصرة التي ينبغي أن نتناولها في رسالتنا الاسلامية العالمية.

وقد قلت في البحث السابق أن الأوربيين أو ما يسمى بالعنصر الأبيض زعموا باطلاً أن معظم سكان العالم يستحقون العبودية لكونهم ملوّنين ومن عناصر تافهة في الوقت الذي يستحقون هم السيادة وحكم العالم، ومما يؤسف له أنهم استخدموا لإثبات هذه المزاعم الظالمة علماء باعوا أنفسهم فجعلوا لها أسساً علمية وفكرية كما زعموا.

ولا شك في أن أوربا (أي كل البلدان الأوربية تقريباً سواء في الشطر

الشرقي من اوربا أو في شطرها الغربي) والولايات المتحدة الاميركية متقدمة اليوم من الناحية المادية، أي إنها بلدان متقدمة ومطلقة اليد بعد أن خطت خطوات واسعة من الناحية المادية، وقد أدى هذا التقدم في المجال الصناعي والعلمي الى بروز توهم وزعم كاذب في اذهان شعوبها بسبب تلك السيادة فاعتبرت نفسها من عنصر متفوق واعتبرت بقية سكان العالم متوحشين أو شبه متوحشين وبرابرة لا يحق لهم سوى تقليد الآخرين، ثم ساد لديهم اعتقاد خطأ جداً جعلهم يفرضون ثقافتهم على سائر شعوب العالم ويخطّئون افكار تلك الشعوب وتقاليدها، ومما يؤسف له أن حالة التغرب التي برزت لدى المثقفين والمتحررين في العالم الذي جُعِلَ متخلفاً عززت هذا الأعتقاد الظالم لدى الأوربيين والأميركيين، وصارت وسيلة لفرض افكارهم، فصارت البشرية تتحمل اليوم خسائر هائلة من هذا الأمر وصارت تُرتَكَب كل يوم مظالم لايمكن تعويض خسائرها.

تسلط سابق:

اننا لا نناقش هنا كون الأوربيين والأميركيين والروس متقدمين اليوم من الناحية المادية، لكننا حين نعود الى جذور ذلك نجد هذه الفوارق تعود الى حالات اغتصاب، ونراهم قد حصلوا عليها نتيجة جرّهم الويلات على قارتي آسيا وأفريقيا، وتدمير كل ارجاء آسيا ونهب اميركا اللاتينية، فقد نهبت الثروات المادية والانسانية والثقافية ومفاخر الاكثرية الساحقة للبشر البالغة ثلاثة مليارات ونصف المليار نسمة لكي يعيش في مقابل ذلك خمسمئة ألف شخص في ترف ورفاهية، كل ما في الأمر أن هذه الأقلية كانت تملك منذ البداية امكانيات السرقة ومازالت تملكها.

ولو اننا صورنا فيلماً عن هذه القرون الأربعة أو الخمسة السابقة يحكي كيف تتحرك الثروات ورأى العالم هذا الفيلم وتجلت للناس الفاجعة التي حصلت خلال هذه المدة، فلربما استطعنا لفت انظار الذين يعرفون القليل من

هذه الأمور في العالم الى هذه الفاجعة التاريخية، فسيل الذهب والنفط والمواد المولدة للطاقة والقوى البشرية والثروات الثقافية ينهمر من ارجاء العالم عن طريق السفن والطائرات والسكك الحديد والسيارات نحو جزر الثروة والترف، ومن جهة أُخرى يتلقى اهل تلك الأرجاء فضلات البضائع الكاسدة للبلدان المرفهة، وسوف يأتي تفصيل ذلك بشكل استدلالي ومصنف في البحوث القادمة.

وقلت بشأن اكتشاف القارة الأمريكية إنه حين وصل كريستوفر كولومبس الى هناك وحصل حسب قولهم على هذا الفخر الكبير باكتشافه تلك المنطقة الجغرافية منح البابا اثر ذلك اسبانيا والبرتغال ـ وفق وثيقة أصدرها ـ جزءاً من قارة أفريقيا وكل أمريكا (من القطب الجنوبي وحتى القطب الشمالي)، واستمرت هذه الأعمال، فشكلت الدول الأوربية في حينها جيوشاً خاصة يتألف الواحد منها من عدة سفن حربية وكمية من الأسلحة وعدد من الأشرار الذين كان معظمهم من السجناء المحكومين بأحكام طويلة المدة، وانطلقوا نحو أرجاء العالم، فانطلق الروس نحو آسيا، والبرتغاليون نحو افريقيا والاسبان نحو اميركا، ثم تبع هؤلاء الانكليز والفرنسيون والألمان والهولنديون وارتكبوا الأعمال التي سنذكرها.

تحليلات العلماء التي سميت علمية في خدمة المستعمرين :

ولكي يتمكن هؤلاء من تسويغ كل تلك المظالم لدى شعوبهم ولكي تتقبلها الشعوب المظلومة أيضاً، فقد لجأوا الى ادمغة مريضة لبعض العلماء لكي يخلقوا اسساً فلسفية وايديولوجية لتفكيرهم الظالم، فوضع أولئك العلماء تصنيفاً عجيباً وخيالياً لأنفسهم تحت عنوان الأجناس المتفوقة والأجناس المنحطّة، وجعلوا أصل الجنس المتفوق متمثلاً في الجنس الآري ذي الشعر التمري والبشرة البيضاء والجمجمة الطويلة ومنحوه صلاحية السيادة على العالم، وجعلوا بقية البشر من الجنس المنحطّ وهم الملونون وذوو الجماجم

المستديرة.

وقد وجدنا طيلة القرون القليلة الماضية أن المختبرات ومراكز البحوث الغربية كانت تعمل على الدوام في ضد السياق لكي تستمر هذه التقسيمات وتخلد، وهناك عبارات شائنة جداً في بعض هذه المقولات التي يصفونها بالعلمية تجعل المرء يشمئز من مثل علماء الاجتماع والأحياء هؤلاء، ومثال ذلك عبارة تقول: إن قضاء الوقت لتربية الجنس الأسود يعطي في حده الأقصى الثمار التي نجنيها من تربية الكلاب، والفائدة التي يحصل عليها الانسان من ذلك، وعبارة تقول: الزواج بين الاجناس المتفوقة والأجناس المنحطة تدمير للجيل المتفوق، وعبارة أُخرى تقول: إن مزج دم العنصر الأبيض بالعناصر الأخرى سواء الأصفر أو الأسود أو الأحمر هدر للطاقات الأصيلة التي يتميز بها الدم الأبيض، أو أن مركزاً للبحوث كان يعمل في المجال نفسه (وكان تابعاً للفرنسيين) وبعد ثلاثين سنة من البحث قرر أن الجنس الأسود الذي يقطن شمال افريقيا (الذي كان يصول فيه الفرنسيون ويجولون) مجرم بالفطرة، أو أنهم كانوا يصرّحون بأن أفريقياً متعلّماً ومتطوّراً لا يرقى دماغه الى درجة أعلى من دماغ ازيل بعضه لرجل أبيض.

ولو أرادوا أن يمدحوا فغاية ما يقولون: إن الأفارقة اناس عاطفيون تخضع حركاتهم لتأثير الأثارات العاطفية، وأفضل سبيل لإخماد ثورات مثل هؤلاء أن نفرض عليهم مشاهد رياضية مثيرة مثل الملاكمة والمصارعة ومصارعة الثيران، فهذا التفكير كان سائداً لدى الأوربيين والاميركيين وكثير من علمائهم ومراكز بحوثهم، وكان هؤلاء يطبقون عملياً هذه الأفكار المنحرفة.

كانت هذه أعمالاً ارتكبها الأمريكيون والأوربيون بحق شعوب مناطق العالم المختلفة ، وينبغي التنبُّه هنا الى أن الأميركيين البدائيين أي سكان أميركا الأصليين والمحليين تعرضوا بأنفسهم في البداية لمثل هذه المظالم من الأوربيين المهاجرين، أما الأميركيون الذين يحكمون الآن قارة اميركا فهم في الأصل انكليز وفرنسيون واسبان وألمان هاجم أجدادهم قارة اميركا المكتشفة

حديثاً وارتكبوا المذابح بحق الهنود الحمر المظلومين واجبروهم على الهجرة وانتزعوا منهم اراضيهم بالقوة (فاحفاد الأوربيين هم الذين يحكمون اميركا في الحقيقة) والغريب أنهم يسبغون على تحركاتهم هذه منذ فترة طويلة طابعاً انسانياً، فيزعمون أنهم يدخلون هذه البلدان بعنوان الحضارة وتعليم الأهالي المتوحشين والارتقاء بمستواهم الفكري، وتحريرهم من الخرافات وامثال ذلك، وهم يزعمون الآن أنهم أخذوا بأيدينا وانقذونا من التوحش، ويصرّون على ذلك، وقد ألّفوا آلاف الكتب في هذا الشأن وهم يعتبرون انفسهم الآن احق منا في كل شيء.

التغرُّب:

ومما يؤسف له أن حالة التغرب التي برزت لدى كثير من مثقفي البلدان المختلفة قد كرست هذه القضية في العالم كما ترون ذلك حالياً، ومما يجدر ذكره أن هذا التغرب اقل لدينا من غيرنا، لكن الوضع اسوأ بكثير في البلدان الأخرى، ففي كثير من البلدان المتخلفة هناك مشكلة تتمثل في أن الطبقة الدارسة والرائدة من ذوي الأدمغة المتنورة والضمائر الحية كما يزعمون قد ابتليت بهذه الأفكار الغربية بدرجة جعلتهم يعجزون عن ادراك المشاعر الحقيقية لابناء شعبهم، وهذه المشكلة قائمة في العالم اليوم، فالمتغربون في ارجاء العالم يُعدُّون أحد عناصر تطبيق مثل هذه الأفكار التي دمرت البشرية خلال القرون الخمسة الأخيرة، وقد عبّر أحد العلماء عن هذه الحالة تعبيراً دقيقاً وصحيحاً وسماها «الاستسلام»، وهذه الحالة تبرز عادة لدى الفئران، فحين يهاجم قط فأراً نرى الفأر تضطرب احواله وترتعش مفاصله ويفقد صوابه بسبب ما يعانيه من الضعف وما يراه من هجوم القط عليه فيبلغ به الحال أن يغمض عينيه متوهماً أن القط لا يراه بعد أن صار هو لا يرى القط، ويستسلم امام القط استسلاماً يفقده كل ارادة وكل قدرة على الدفاع، فحين يستسلم كائن هكذا أمام كائن مفترس مهاجم، تسمى هذه الحالة حالة الاستسلام

ويسمون الكائن مُستبَعاً أي خاضعاً للسُبُع، وهذه الحالة سائدة لدى كثير من المفكرين ظاهراً وعديمي الفكر واقعاً في المجتمعات التي جُعِلت متخلفة، فلا يخطر ببال أحدهم أبداً أن شعبه قادر على أن يعيش مستقلاً، بل يعتقدون مثلاً أنه لما غزت اوربا واميركا وروسيا الفضاء فلابد أن يكون نمط تفكيرهم صحيحاً أيضاً، ولما كانوا قد سيطروا على كل مصادرهم المائية فلابد أن يكون دينهم صحيحاً أيضاً، ولأنهم استطاعوا استخراج كل معادنهم بعد أن نهبوا غيرهم فلابد أن تكون قضاياهم الثقافية والفكرية صحيحة أيضاً. وهكذا نجد هؤلاء لا يودون اعطاء قيمة لأفكار شعبهم المستقلة أمام أفكار أُولئك، ويكفيهم أن يتبجحوا أمام الناس بأربعة مصطلحات انگليزية ليكون ذلك وثيقة تثبت صحة اقوالهم، فهذه المقولة كتبتها الصحيفة الانگليزية الفلانية، وهذا الكلام بثّته الاذاعة الأوربية الفلانية، وقيل هذا في الجامعة الاميركية الفلانية، ويكفي لديهم هذا وثيقة لإثبات افكارهم وهكذا أدت حالة التغرب والخواء الذاتي وخسران الذات الى عجز الشعوب عن الوقوف على اقدامها، فإن كنتم من أهل البحث فاذهبوا وانظروا في كل مكان ثارت فيه الشعوب أو انتفضت كيف برز المتغربون واعادوا الشعوب الى العبودية بهذه الافكار، لأنهم لا يعترفون بتحقق هذا الأمر، هذا الاعتقاد سائد لدى الغربيين وهؤلاء يشجعونهم عليه أيضاً، هذه الحال سائدة في العالم بشأن البيض حيث صدقوها هم أيضاً، وما ان يوشك الناس على أن يفهموا الأمر حتى يمنعوهم، وقد رأينا مثلاً أهل الهند (شبه القارة هذه) الكبيرة التي يسكنها ستمئة مليون نسمة أو سبعمئة مليون كيف اشعل غاندي والمسلمون هناك ، تلك الثورة العظيمة وحين انتصرت لم يسمحوا لأنفسهم بالتخلي عن اللغة الانگليزية مثلاً.

وهم ما يزالون يحافظون على ذلك كأثر من آثار الحضارة، و بعد ذلك رأينا المصائب التي جرّتها عليهم بقايا الاستعمار هناك، أو اننا نرى في البلدان الأفريقية كم ينتفض الناس ويثورون وحين يتسلّمون زمام الأمور نرى مثلاً عقيداً متغرباً يدبر انقلاباً فيضيّع كل شيء ، وتحدث هذه الأمور واحدة بعد

أخرى .

ينبغي منح الناس أُسساً فكرية صحيحة :

لقد رأيتم ماذا حدث في الحركة الدستورية (في ايران) فقد انتفض الشعب وانتصر لكننا وجدنا أيضاً اشخاصاً متغربين برزوا من كل جانب وانتزعوا من ايدي الشعب كل تلك المكتسبات ، وفي هذه الثورة أيضاً نرى الأمر واضحاً جداً، وعلى جيلنا الجديد أن يتلمس في التاريخ هذه الأشياء التي نقولها، فالشعب ثار وانجز عملاً كبيراً بعيداً عن أية مدرسة فكرية أجنبية، ثم رأيتم كيف جاء الذين كانوا يحملون أفكار الليبرالية وماذا أرادوا أن يفعلوا بهذه الثورة سواء كانوا من النوع الشرقي أو الغربي وكلاهما الآن من فئة واحدة، فكانوا يتوهمون بأن على الثورة أن تكون إما روسية أو معتمدة على اميركا أو فرنسا أو غيرها ، رأيتم ماذا فعلوا بهذا الشعب، كل ما في الأمر أنه ينبغي اعطاء الناس جذوراً فكرية صحيحة، واعطاؤهم معلومات واقعية، وتطهير الأذهان من هذه السفسطات ، فالجنس الأفضل والمنحط دعوى كاذبة، اذ خُلِقَ الناس من أصل واحد ومن أب واحد وأُم واحدة، ولافضل لأحدهم على الآخر سواء في قلوبهم أو ادمغتهم أو مشاعرهم أو أعصابهم او قابلياتهم أو حركاتهم، فلو عوملوا معاملة صحيحة واستمرت الحال على هذا الشكل جيلاً او جيلين وحفزت القابليات التي منحها اللّه لهم والكامنة في كيانهم، لتمكّنوا من الدراسة كالآخرين ولاصبحوا من العارفين مثل غيرهم ومتدينين كذلك، كما يمكنهم أن يكونوا أشراراً بالدرجة نفسها، فلم يخلق اللّه هذه الفوارق، ولم يبتدع نظام الخلقة هو الذي اراد هذا الظلم بحق البشرية، وحين رأى الاميركيون والأوربيون أن عهد الرقّ قد ولّى، وأن العبيد لا يعملون لهم بمقدار ما يأكلون؛ طرحوا شعارات إلغاء الرق والتمييز العنصري، والمساواة بين الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، لكنهم يكذبون، فسياستهم وحكمهم وطريقهم ونهجهم في الحياة لا يتفق وهذه الاقوال، وها هو العالم اليوم

يتحدث بهذه الأقوال كذباً، فما نراه اليوم في أميركا نفسها هو أن المرء حين يلاحظ معيشة السود ثم يلاحظ معيشة البيض، لا يراهما متساويتين مع ان البيض يرفعون الشعارات حول هذه القضية منذ عقود عدة. وقد عبر احد العلماء عن ذلك بالقول: لو أراد بقية الاميركيين العيش كما يعيش السود فان مدينة مثل نيويورك ستكفي الاميركيين كلهم، هذا هو الفارق بين معيشة الفريقين، وسأقص عليكم قصصاً عجيبة حدثت في جامعاتهم حول هذين الجنسين لتعلموا بعد ذلك ماذا يجري في العالم، ففي ارجاء العالم المختلفة ومن شرقه الى غربه هناك بلدان كثيرة تؤدي أتاوة لون بشرة شعوبها أو لأنها ليست من الجنس الأبيض ولا يرى دم العنصر الأبيض في عروق أبنائها.

قيمة الانسان بالتقوى :

ليست هذه القضية قضية يمكننا أن نمر بها مر الكرام، ما أحلى الاسلام العزيز، هذه الرسالة التحريرية والانسانية التي حلّت هذه القضية قبل أن تطرح هذه الشعارات وهذه الاقوال، حيث اشرت الى جانب من ذلك في البحث السابق، وها أنا أشير اليوم اليه ومن الآن فصاعداً سأواصل هذه البحوث بمقارنة دائمة بين الاسلام وما لدى أولئك، ففي تلك الأيام التي لم يكن بالامكان ابداً التفوّه بهذه الأحاديث طرح الاسلام أُطروحته بالآية التي سمعتموها وهي:

«يا أيُّها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير».

لو لخصنا كل الكتب في عبارة واحدة، لكانت خلاصتها أن المقياس والفضيلة والقيمة ليست باللون ولا بالشكل ولا بالأب ولا بالأُم ولا بالأسرة ولا بالمنطقة الجغرافية، بل بروح التقوى التي قد تبرز لدى الإنسان، واننا نجد في صدر الاسلام سوداً كثيرين كانوا يسيرون جنباً الى جنب مع النبي وعلي بن ابي طالب والخلفاء وسائر العلماء، ويتقلّدون المناصب، وهو أمر يعجز العالم عن

تحمله اليوم أي بعد (١٤٠٠) سنة من ذلك الزمان، فاليوم يصعب على الاميركي كثيراً ان يجلس في حافلة الى جانب أسود، وقد يجلس لأن القانون ألزمهم بذلك، لكنهم يكذبون، ففي داخل البرلمان الاميركي حين يقترعون فتخرج نتيجة القرعة أن يجلس أسود الى جانب ابيض يعتبرون ذلك من سوء الحظ، لكننا وجدنا الامام الحسين (ع) يستوي لديه ولده مع غلام أسود، ففي كربلاء كان يرافق الامام الحسين (ع) احد هؤلاء السود ذكر التاريخ أن اسمه كان «جَوْنْ» وقد يُقرأ اليوم «جان»، وكان ذلك الشخص في البداية خادماً لأبي ذر ومعجباً به، ولم تكن الخدمة عند هؤلاء تعطي معناها كما هو اليوم، فحين كان اولئك الخدم يدخلون في خدمة اسيادهم كانوا يعيشون معهم كعيشهم، ولم تكن الخدمة إلا اسماً، ولم يكن العبد إلا اسماً ، لكن هذا الشخص صار بعد ذلك أخاً لابي ذر، وحين رحل ابو ذر عن هذه الدنيا بقي «جون» مع أهل بيت النبي (ص) ثم ذهب مع الامام الحسين (ع) الى كربلاء ، وفي يوم عاشوراء حين استشهد بعض اصحاب الامام الحسين، رأى الامام أن هذا الرجل الأسود قد تحرك حتى وقف بين يديه وقد لبس كفناً ثم قال: أتأذن لي يا مولاي أن اذهب للجهاد؟ فقال له الامام (ما مضمونه): لقد تحملت متاعب كثيرة من اجل أهل بيت النبي طوال حياتك فحسبك ذلك واعداؤنا لا يريدون قتلك إنهم يقصدونني أنا، فلا حاجة لقتالك، وانك قادر بعدي على اعانة الاطفال والبنات الصغار، وما ان اتم الامام كلامه انهمرت الدموع على وجهه «جون» الأسود وطأطأ رأسه وحزن حزناً شديداً، فسأله الامام عن سبب حزنه، فقال: اني قد مَنَّيتُ نفسي بالشهادة ودخول الجنة مع أهل بيت النبي (ص) ومع اصحابك والجلوس مع النبي (ص) لكنك قضيت على أُمنيتي وهو أمر لا أطيقه، فقال له الإمام (ما مضمونه) إني لم اقصد أن أحزنك فلك اجر الشهداء لأنك جئت الى الجهاد بنية خالصة لكن لا حاجة الى ذلك، فقال «جون» انا في الرفاه ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم!! لا والله لا كان ذلك أبداً . ان ريحي لنتن ، وان لوني لأسود، واني أرجو ان يختلط دمي

بدمائكم فيطيب ريحي ويبيّض لوني . فلما سمع الامام الحسين (ع) منه هذا الكلام سمح له بالبراز، فبرز وقاتل حتى قتل وجرت العادة يوم عاشوراء أن يذهب ابو عبد اللّه (ع) الى الذين يستشهدون فيأخذ جنازتهم الى مكان خاص، ولم يكن ذلك الشاب الأسود يتوقع هذا الأمر، فحين وقع على الأرض ودع أبا عبد اللّه (ع) بصوت عالٍ بدلاً من أن يطلب معونته فسلم عليه السلام الأخير وودعه وأغمض عينيه وظل يفكر في الشهادة والرحيل عن هذا العالم، وفجأة سمع صوت أبي عبد اللّه (ع) الدافئ ففتح عينيه فرأى الامام الحسين (ع) وقد وضع رأسه في حجره وهو يمسح الدم عن وجهه الأسود ووضع خدّه على خدّه ففرح فرحاً شديداً وقال: **مَنْ مِثلي وابن رسول الله واضع خدّه على خدّي .**
ثم إن الامام الحسين (ع) قبله وودعه كما فعل مع ولده علي الأكبر حين استشهد، هذه مفخرة من مفاخر الإسلام ورسالته.

الخطبة الثالثة

الجمعة: ١٣٦٣/٣/١١ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه: **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير»**. (الحجرات / ١٣).

ذكرنا في البحثين السابقين أن الغربيين والأوربيين ارتكبوا ـ لكونهم من الجنس الأبيض ـ ابشع ما يمكن ارتكابه من جرائم بحق الملونين خلال الأعوام الخمسمئة الأخيرة، وسوف نطرح هذا البحث في الخطب القادمة بشكل منفصل في فصول محددة لأن له ابعاداً تاريخية وانسانية من جهة ولأنني خشيت من جهة أُخرى أن يخطر ببال مستمعينا أن هذه البحوث تعود الى الأزمنة الماضية، ولم يعد الأمر على تلك الحال اليوم بعد أن تعززت حقوق الانسان في العالم وحدَّدَ اعلان حقوق الانسان حقوق الاجناس والجماعات البشرية بأجمعها وأعلن العدالة في هذا المجال فلا ضرورة لطرح القضايا التي تتعلق بالماضي، واني اذ رأيت هذا الاحتمال قد برز في اذهان بعضٍ وجدت من الضروري تقديم بعض فصول الحديث المتعلقة بآخر البحث، وايراد بعض الأقوال حول الوضع المعاصر لكي تعلموا أن العالم يتحمل اليوم من التمييز العنصري ابشع المظالم، ومن الطريف أن مصدر هذه المظالم هم اولئك الذين يتشدّقون بحقوق الانسان ويذبحون البشرية بحربة حقوق الانسان، وزعيمة هؤلاء أميركا، ولابد من القول أن كل الغربيين يرتكبون هذه الأعمال ويرتكبها

الروس أيضاً إلا أن الغربيين اسيادهم في هذا المجال .

الحقوق الانسانية وحرمان الزنوج والهنودالحمر منها :

ما نعرفه عن حوادث الفترة الأخيرة أن اعلان حقوق الانسان [1] أُقِر في الامم المتحدة عام ١٩٤٨ أي نحو قبل (٣٦) سنة وذلك بحضور ممثلين عن (٥٦) بلداً، وسننقل هنا بعضاً من ذلك الإعلان الذي جاء في عباراته ومزاعمه بنصر كبير، وحلَّ على الورق كثيراً من المشاكل حيث جاء فيه: كل الاجناس البشرية متساوية أمام القانون ولا ينبغي التمييز بين انسان وآخر بسبب اللون أو الدم أو اللغة أو الدين أو أي سبب آخر. وهناك من يتوهم أن القضية انتهت بهذا الإعلان، لكن الذين يتصفّحون التاريخ بعد مضي (٣٦) عاماً من صدوره يرون أن شيئاً لم يحصل وما تزال هناك مظالم كثيرة جداً، واننا نرى افجع حقب التاريخ البشري في امريكا التي هي زعيمة هذا التيار وفي تاريخها الحديث أي بعد اكتشاف تلك القارة وذهاب الأوربيين البيض اليها ونزاعهم مع الملونين الذين كانوا هناك والملونين الذين جاءوا بعد ذلك، فحتى قبل نحو مئة وعشرين عاماً حيث كان الرق رسمياً وقانونياً هناك كان السود الأفارقة يؤخذون الى هناك بوضع يرثىٰ له، ويوضعون كعبيد في خدمة الملاكين والأشراف في اميركا، وقد شاهد أبناؤنا جانباً من تلك المأساة على شاشات السينما في شكل قصة كوخ العم توم أو قرأوا عنها في القصص.

ومنذ مئة وعشرين عاماً ألغى ابراهام لنكولن العبودية ولم يعد هناك عبيد بشكل رسمي لكن السود ظلّوا يحرمون في أميركا من اهم الحقوق الانسانية، وليس السود وحدهم الذين يعانون من تمييز البيض هناك بل يوجد جنس آخر في اميركا هو الجنس الأحمر (الهنودالحمر) الذي يعد المالك الحقيقي لاميركا ويعاني الوضع نفسه، فحين وصل الأوربيون قارة أميركا اخذوا

---

١ - سيأتي النص الكامل لهذا الإعلان في آخر الكتاب.

يمارسون ضد هؤلاء ابعد الأساليب عن الانسانية، فارتكبوا بحقهم المذابح وأبادوهم شيئاً فشيئاً، ولكي يبيدوهم تماماً ويستولوا على أراضيهم اخذوا يقيمون حفلات ويدعون الهنودالحمر اليها ثم يلوثون الأغطية والنارجيلات وكل شيء بجراثيم الجدري أو الأمراض الفتاكة الأُخرى فأبادوا بذلك اعداداً كبيرة منهم، كل هذه الأشياء مدونة في التاريخ، فلو تصفحنا التاريخ وعددنا مظالم هؤلاء التاريخية لاتضحت لنا جرائمهم التي لا توصف.

اننا نجد الآن مثلاً يضرب بين الاميركيين يقول: إن افضل الهنودالحمر هم الميتون منهم، أي أنهم لا يريدون الحياة للهنودالحمر إطلاقاً، وقد حصر الهنودالحمر في اميركا في اماكن محدودة وهناك صراع حادٌ بينهم وبين الاميركيين الحاكمين لكن أحداً لا يسمع أصواتهم، وقبل فترة عقدوا مؤتمراً حضره مندوب من ايران أيضاً .

وقد نقل المندوب الايراني اشياء عما يدور هناك، وكُتِبَ مقالٌ بهذا الشأن، انه شعب اغتصب كل حقه وارضه وهويته ومع كل هذا فهم يتصرفون معهم كما رأيتم.

أما عن السود فهناك اشياء كثيرة سنشير الى بعض منها، ففي عام ١٩٤٨ حيث صدر إعلان حقوق الانسان لم يكن هذا الاعلان حقيقياً، أي أنه حين انتهت الحرب العالمية الثانية وأُنهكت الدول الغربية واستيقظت الشعوب المظلومة وأخذت تتحرك من اجل التحرر، صدر هذا الاعلان لكي يخدعوا تلك الشعوب ويخدروها فكان هذا الاعلان مخدراً أُغيِّرَ ظاهرالأمر فقط أما حقيقة الأمر فقد بقيت كما كانت، وما تزال على تلك الحال.

ففي امريكا ظل التعامل نفسه يجري مع السود، حيث نرى مثلاً في عام ١٩٥١ أي بعد ثلاث سنوات من صدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان ان ثمانية وثمانين شخصية مناضلة ومجاهدة كتبوا رسالة الى الامم المتحدة لمصلحة السود واشتكوا فيها قائلين أن أوضاعهم لم تتحسن اطلاقاً بعد اعلان حقوق الانسان بل ساءت اكثر، وقد تضمنت تلك الرسالة التي وزعت كوثيقة

مهمة، ثلاثة آلاف حالة من الجرائم التي لا تغتفر ارتكبها البيض في حق السود في أميركا.

جرائم اميركا بحق السود :

منذ عام ١٩٤٨ بدأ نضال السود في اميركا من اجل نيل حقوقهم التي تضمنها الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، وحوادث تلك الفترة التي نقلتها الصحف تجعل المرء يدرك أن معيشة السود في اميركا كانت لا تشبه معيشة البيض إطلاقاً، فكانت كنائس الفريقين ومقابرهم وفنادقهم ومقاهيهم وقطاراتهم ومدارسهم ومحلات سكناهم منفصلة عن بعضها، ولو أنهم ارادوا اجراء تجربة لدواء أو عملية جراحية جربوا ذلك على السود، وكانت ذريعتهم في ذلك أن السود اقوى جسماً ويتحملون المشاق اكثر من غيرهم، انظروا كيف يتعامل هذا الشعب الذي يرفع الآن لواء حقوق الانسان!

وفي عام ١٩٥٤ أي قبل ثلاثين سنة أمرت المحكمة العليا في اميركا تحت ضغط الرأي العام الذي كان يساند اعلان حقوق الانسان بالغاء هذه الفوارق، أي توحيد القطارات والسيارات وكل الأشياء التي تخص الفريقين، وأعطت للسود الحق في استخدام هذه الأشياء ، فحتى ذلك اليوم لو ركب أسود حافلة تخص البيض أخذوه للمحكمة، ولو حاول السفراء والضيوف الافارقة السود الذين كانوا يزورون اميركا النزول في فنادق البيض منعوهم من ذلك.

وفي تلك الفترة سجل طالب يدعى آترين لوسي في جامعة للبيض في ولاية آلاباما، وحين دخل الجامعة تظاهر آلاف الطلاب ضده وضد رئيس الجامعة وظلوا يمارسون ضغوطهم حتى فصلوه من الجامعة، هكذا كانت ثقافة الاميركيين، حتى الطلبة الشبان لم يكونوا قادرين على تحمل هذا النمط من التفكير، وكان من الحوادث الأخرى التي وقعت في آلاباما ونشرتها الصحف أن رجلاً أسود تجرأ ومارس حقه فتعرض لضرب شديد من البيض وحين كان يُضرب رأته امرأة كانت ترتدي ألبسة أنيقة وهي تجرّ وراءها كلبها بسلسلة

ذهبية وتدفع عربة وضعت فيه طفلها فتقدمت اليه فاندهش الناس متسائلين عما ستفعله فرفعت طفلها من عربته ومسحت رجله على وجه ذلك الأسود أمام أعين الحضور المندهشة لكي ينال ذلك الطفل فخر المشاركة في ضرب هذا الرجل الأسود، وقد تكرر دائماً أن يحاكم أسود لمجرد ارتياده مقهى للبيض مثلاً، وقد ألغي هذا القانون قبل نيف وعشرين سنة، وحتى حين توحدت حافلات السود والبيض لو ركب أبيض حافلة وكان اسود جالساً فعليه أن ينهض ليجلس الأبيض مكانه وكان هذا الأمر يسري حتى لو كانت امرأة عجوز سوداء جالسة وصعد الحافلة شاب ابيض إذ كان عليها أن تُجلسه في مكانها وإلا تعرضت للمحاكمة.

هؤلاء الاميركيون المتشدقون بحقوق الانسان ما يزالون حتى الآن على هذه الصورة ولم يتغير إلا ظاهر الأمر، وليس الأمر بالشكل الذي يجعل أحدنا يتصور أنهم حلّوا قضية التميز العنصري .

واستمر هذا النضال حتى عام ١٩٦١ وبلغ ذروته قبل ثلاث وعشرين سنة، حيث تحمل السود خِلالها أشد الضغوط فلجأوا الى الأسلحة وترددت انباء كثيرة تقول إن السود في مناطق هارلم والميسسبي وآلاباما وفي بعض الولايات الاميركية الجنوبية يعدون الأسلحة ورُفِعَ في امريكا شعار الجمهورية السوداء لان هناك اعداداً ضخمة من السود حيث يشكلون نحو أحد عشر في المئة من السكان أي أن هناك ما يقرب من خمسة وعشرين مليون اسود يوجد معظمهم في الولايات الجنوبية، فكان هؤلاء يريدون اقامة جمهورية سوداء لكن الخديعة التي أراد اعلان حقوق الانسان تمريرها على العالم استخدمت في امريكا أيضاً كوسيلة سياسية لكي يسيطروا على تلك التحركات العنيفة.

وقد كتب «والترليدمن» وهو من المحلّلين الاميركيين البارعين مقالاً تحليلياً هز امريكا حيث حلل فيه تاريخ الهند، وقال: إن التمييز العنصري الذي كان سائداً في الهند هو الذي أدى الى انفصال باكستان عنها، وإني أرى اليوم حوادث الهند تتكرر في اميركا واستشهد ببعض الامور فتأثر به الرأي العام

للطبقة المحافظة فخطط هؤلاء لزرق السود بحقنة مخدرة جديدة، فانبرى لهذا الأمر الحزب الديمقراطي الأمريكي بزعامة كندي وتصدى لقضية منح السود حقوقهم، وفي عام ١٩٦١ نظم السود تظاهرة ضخمة توجهت نحو واشنطن شارك فيها مئتا ألف شخص، انظروا كيف يتحرك مئتا ألف أسود نحو واشنطن وماذا يحدث، لقد جرت في الكونغرس نقاشات حول المساواة لتخدير هؤلاء، وادلى كندي بأحاديث ذات دلالات كبيرة حيث قال: ان الارقام والاحصاءات تشير الى أن للطفل الأسود حين يولد اليوم في بلادنا نصف حظ الطفل الابيض من فرص إنهاء مرحلة الدراسة الثانوية وله ثلث حظ الابيض بشأن فرص الدخول الى الجامعة وثلث حظ الأبيض أيضاً بشأن فرص حصوله على عمل مناسب، هذه هي العدالة التي كانت سائدة قبل اثنين وعشرين عاماً في اميركا التي تتعامل مع سكان العالم بهذه الطريقة باسم حقوق الانسان، وقد مارس كندي في الظاهر ضغوطاً كبيرة وفي اليوم الذي اقرت هذه اللائحة بعد سنوات عدة (أي بعد موت كندي) كان يوم الاثنين فسماه الأميركيون الأثنين الأسود، وبعد فترة من ذلك نشرت مجلة بحوث اميركية احصاءات وارقاماً حول معيشة السود والبيض أثبتت خلالها أنه لو أراد سكان اميركا العيش في الظروف التي يعيشها السود في محلة هارلم فبامكاننا إسكان كل الاميركيين في نصف مدينة نيويورك، انظروا كيف أن هذه المجلة اثبتت هذه الحقيقة بالاحصاءات والأرقام ولو كان الأمر غير ذلك لحاكموها، فقد أوضحت المجلة كم أسود يعيش في غرفة واحدة وتحت سقف واحد، وكم من الغذاء والبروتين يستهلكون، وكم من الالبسة يرتدون، وكم من الأدوية يستهلكون، وكم من المستشفيات يشغلون، وكم من البيئة الرياضية والدراسية، لقد قارنت المجلة بين كل هذه الامور وقالت: هذا هو وضعهم ، ففي نيويورك محلة تدعى «هارلم» يعيش فيها السود وظروف معيشتهم في عاصمة أميركا ومركزها بشكل لو أراد أن يعيشه كل سكان أميركا البالغ عددهم مئتين وعشرين مليوناً فسيكفيهم نصف نيويورك، هذه هي ظروف الاميركيين، وقد مارس الرأي

العام والاعلام السوفياتي ضغوطاً كبيرة في هذا المجال، حيث اتخذوا هذه القضية سلاحاً يشهر، واخذوا يطرحونها دائماً حتى عُدِّل الوضع قليلاً وبلغ ما عليه الآن (لكن الروس يشملهم جانب آخر من هذا البحث حيث يرتكب البيض الروس جرائم كثيرة بحق الجمهوريات الخاضعة لسيطرتهم لاسيما بشأن أرمينيا وجورجيا وآذربايجان) .

جرائم الأميركيين في العالم :

فضلاً عن ذلك ترتكب أميركا في افريقيا جرائم كثيرة، ففي جنوب افريقيا يحكم أربعة أو خمسة ملايين ابيض اكثر من عشرين مليوناً من السود وفقاً لشريعة الغاب وكان نظام روديسيا يمارس لعشرات السنين كل تلك الجرائم بحق آلاف السود وترتكب كل تلك الجرائم في قارة افريقيا وترتكب جرائم أُخرى بحق الصفر في شرقي آسيا، وكلما ارتكب البيض جرائم في ارجاء العالم فهي محسوبة على الأميركيين فلا يظن أحدكم أن جرائم هؤلاء ترتكب في اميركا فقط .

ولا بأس في أن اذكر لكم أن الاميركيين الذين يسيطرون على منظمات حقوق الانسان ولجان الحقوق كلما أرادوا قمع بلد أو ثورة عقدوا على الفور اجتماعاً واصدروا بياناً يقولون فيه ان في هذا البلد هذا العدد من السجناء ويمارس فيه هذا النوع من التعذيب وهم يتصرفون بمثل هذه الصورة مع شعبهم وابناء وطنهم، وبامكاننا أن نحمّل البيض تبعة كل الجرائم التي ارتكبت في ارجاء العالم خلال القرنين أو الثلاثة قرون الماضية.

ولاتحدث الآن عن الاسلام قليلاً لتروا كم هو الفارق بين الاسلام وهؤلاء ، ليُصغِ العالم والملونون لهذه العبارات، ان للجمهورية الاسلامية التي تطالب بحقوق المحرومين تاريخاً مضيئاً ووثائق قيمة من القرآن وسيرة نبي الاسلام (ص) تجعلها ترفع راية العدالة، عودوا الى ما قبل ألف واربعمئة سنة حيث طبق النبي الأكرم (ص) في عصر جاهلية المجتمع العربي مبادئ يعجز البيت

الأبيض وواشنطن عن تطبيقها اليوم، فبلال الحبشي شخصية معروفة من بين المسلمين، وقد كان عبداً مملوكاً لامرأة من طبقة الأشراف وكان يتعرض للأذى والعذاب دائماً، فأمر النبي أبا بكر أن يشتريه ويطلق له حريته، وقد كتب «آدم متز» الألماني في كتابه: أن النبي الأكرم (ص) بلغ في نجاحة في حل معضلة التمييز العنصري مبلغاً جعله يختار بلال الحبشي لعضوية المجلس الذي شكله لادارة شؤون البلاد والمؤلف من ستة اشخاص أو سبعة.

واليوم وبعد مضي ألف واربعمئة عام على ذلك نجد هؤلاء السادة يريدون لتوّهم منح حقوق متساوية وبهذه الصورة التي ترونها.

ولبلال الحبشي تاريخ مشرق حقاً، فحين أسلم أخذوا يمارسون في حقه اشد انواع التعذيب لأنه لم يكن من قبيلة معينة وليس هناك من يدافع عنه أو يلجأ اليه ويحتمي به ، ولكي يدخلوا الرعب في قلوب سائر الذين دخلوا الاسلام حديثاً، طلبوا منه التخلي عن دين محمد (ص)، وكان من بين انواع التعذيب الذي تعرض له أن أضجعه اشراف مكة على الرمال الساخنة في صحراء مكة ووضعوا احجاراً كبيرة ساخنة على صدره وكووه بقطع الحديد المحمرة وبدلاً من أن يئنّ هذا الرجل القوي من شدة العذاب كان يهتف «أحد، أحد» وهكذا بلغ بلال الأسود الحبشي باستخدامه الشخصية التي خلقها اللّه في طبيعة البشر منزلة سامية حتى جعله نبي الاسلام مؤذن الدولة الرسمي.

وحين امتنع بلال بعد وفاة النبي (ص) عن إقامة الأذان للخليفة الأول كان ذلك احدى الضربات السياسية الكبرى التي لحقت بالخليفة الأول، فانظروا أي منزلة سامية بلغتها شخصية انسان أسود.

هذا هو الاسلام الذي معياره التقوى، **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند اللّه أتقاكم»** فالمحور هو التقوى في الاسلام، والفضيلة تقاس بالتقوى، وحين اعترض أشراف مكة على النبي لتفضيله بلالاً الأسود ذي الصوت الرديء عليهم جميعاً قائلين: كيف نجتمع عندك مع ذلك؟ أجابهم بأنه لم يفضله هو بل إن اللّه هو الذي فضله لأنه جاهد

ولم يجاهدوا . هذه هي مفخرة من مفاخر المسلمين، واننا لن نعطي حق رفع راية حقوق الانسان وارسال نداءات تطالب بذلك الى الجمهورية الاسلامية الايرانية والبلدان الاسلامية الأُخرى للذين يزعمون ذلك وايديهم ملطخة بكل هذه الجرائم أو يرفعون الى جانب بيتهم الأبيض شعار «افضل هنديأحمر هو الهنديالأحمر الميت» أو يغمى عليهم في جلسة محكمة تحاكم ابيض لضربه أسود.

الخطبة الرابعة

الجمعة: ١٣٦٣/٣/٢٥ هـ.ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه: **«ان اللّه يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي»** (النحل / ٩٠).

سيادة حقوق الانسان!

القينا حتى الآن خطباً عدة حول العدالة الاجتماعية في مجال التمييز العنصري، وقد تحدثنا في آخر خطبة عن المساواة والعدالة في غابة الدولار ومركز الامبريالية العالمية الغربية، وبعد تلك الخطبة تلقينا الكثير من المكالمات الهاتفية والرسائل والبرقيات من ارجاء العالم ذكر أصحابها أن هذا البحث من شأنه أن يكون ذا تأثير في تنوير اذهان المسلمين والمحرومين وفي مجال عرض الاسلام على الصعيد العالمي، وفي هذه الخطبة اريد أن استعرض ـ في مجال ذلك البحث نفسه ـ حقبة خاصة من تاريخ إحدى مناطق المشرق المظلومة، وبالتحديد في الشرق الأقصى وهي حقبة من حقب التاريخ الفاضحة والمؤلمة التي لا يمكنكم أن تجدوا لها مثيلاً، فمنذ مدة وأنا أفكر في استعراض هذه الحقبة من التاريخ المعاصر في خطبة صلاة الجمعة، وكنت بحاجة الى مناسبة تقتضي ذلك، وها هي المناسبة تحصل الآن وهي مناسبة

البحث بشأن جرائم الاستكبار العالمي بحق غير البيض، وسلوكه مع المجتمعات الملونة ، منذ نحو سبعة أشهر أو ثمانية بعث الي أحد أعضاء مجلس الشورى[١] برسالة نقل فيها عن طالب مسلم كمبودي مشرّد في فرنسا وعضو في الجمعية الاسلامية للكمبوديين في فرنسا أُموراً حول كمبوديا والمشاكل التي حدثت للمسلمين هناك، وكانت رسالة تهز المشاعر بعنف، فأرسلت كتاباً الى وزارة الخارجية طلبت إليها فيه إعطاء توضيحات حول كمبوديا وسياستنا هناك والاجراءات التي اتخذتها الوزارة حول هذه الامور.

بعد ذلك أعدَّت الدائرة السياسية السابعة في وزارة الخارجية كرّاساً وأرسلته اليّ وذكرت فيه اموراً حول مصير المسلمين في كمبوديا وأوضاعهم خلال السنين القليلة الماضية، وكانت لدي من قبل معلومات في هذا المجال لكني حين قرأت تلك المواضيع رأيت كم غفل العالم الاسلامي عن مثل هذه المسألة المهمة بل كم شارك في هذه الجريمة الكبرى التي ترتكب، وفي اليوم نفسه الذي قرأت ذلك الكراس اتصلت بالسيد الخامنئي رئيس الجمهورية وقلت له اني قد تأثرت اليوم بهذا الكراس، وبعد ذلك شغلتنا المشاكل ولم نتمكن من فعل شيء في هذا الشأن حتى الآن، وها أنا اذكر ذلك في صلاة الجمعة اليوم وارى أن ذلك يؤثر كثيراً في تنوير اذهانكم واذهان كل من يقرأون هذه الخطب بعد ذلك، ويرسم بشكل جيد صورة الاستكبار العالمي، ويكشف حقيقة هؤلاء الغربيين والشرقيين الذين رفعوا لواء حقوق الإنسان وظلوا يلطمون الصدور تحته، ويفضح التيارات الرجعية التي تدّعي الاسلام، ويثبت ظلامة المسلمين والمحرومين في العالم والملونين ويوضح مدى ايمان الأمبرياليين وحتى الشيوعيين بالمبادئ التي يزعمونها مثل مبادئ حقوق الانسان والسيادة الوطنية وحق تقرير المصير وحق العدالة الاجتماعية وحكم الشعب للشعب وامثال ذلك.

---

١ ـ وهو الدكتور جعفري ممثل أهالي باختران في الدورة الاولى لمجلس الشورى الاسلامي.

جرائم الاستكبار في كمبوديا:

كمبوديا بلد صغير من بلدان الشرق الاقصى يقع في الجنوب الشرقي من فيتنام وفي الهند الصينية وهي منطقة تضم فيتنام وتايلند ولاوس وكمبوديا، وانكم تعرفون الكثر عن فيتنام وذلك بسبب الحوادث التي وقعت هناك، وكانت تلك المنطقة خاضعة بشكل رئيس للاستعمار الفرنسي، وكمبوديا التي سنتحدث عنها خضعت خلال ما يقارب التسعين عاماً الأخيرة للاستعمار الفرنسي المباشر، وقد ارتكب الفرنسيون أبشع الجرائم هناك، وسوف نبحث في ذلك فيما بعد ونوضح المسيرة التاريخية لجرائم البيض الأوربيين التي استمرت خمسمئة عام. أما الآن فسنبحث جانباً آخر من الأمر.

بعد انتصار الشيوعيين في الصين خلال الفترة الأخيرة انصب اهتمام القطب الشيوعي المتمثل في الاتحاد السوفياتي والصين على منطقة الهند الصينية، وقرر هؤلاء انتزاع تلك المنطقة من الغرب، وتعاظمت الحركة الشيوعية في تلك البلدّان، وبدأ نضال الفيتمين في فيتنام الشمالية والفيتكونغ في فيتنام الجنوبية والپاتتلاو في لاوس والخميرالحمر (الخمير روج) في كمبوديا، وفي عام ١٩٥٤ حدثت تلك الملحمة النضالية الشعبية العظيمة في «ديان بيان فو» وتحررت فيتنام الشمالية من مخالب فرنسا واحتل الأميركيون فيتنام الجنوبية وبدأ النضال الدامي لفيتنام الجنوبية، ومن كان يدور في فلكها من الشيوعيين، وكان يحكم كمبوديا - في تلك الفترة - ملك يدعى «سيهانوك» وكان اتجاه هذا الرجل معادياً لأميركا إلا أنه كان ليبرالياً ولم يكن ذا علاقة سيئة مع الصين ولم يكن للشيوعيين كثير من الشأن به، ومع أن الخمير الحمر كانوا في صراع معه إلا أنهم لم يكونوا يتلقون دعما من الخارج، وحين بلغ النضال المعادي لأميركا ذروته في فيتنام لم يكن في كمبوديا شيء من هذا القبيل، وحين نجح الفيتناميون عام ١٩٦٧ في طرد الأميركيين، قرر الأميركيون واقتضت سياستهم الاستكبارية أن يحصلوا هناك على قاعدة حصينة، فقرروا

أن تكون كمبوديا تلك القاعدة، فسيطروا عليها بانقلاب عسكري قاده العقيد «لومنول» وصارت تلك البلاد من القواعد الأميركية الرئيسة، فطبقت اميركا بذلك في كمبوديا السياسة نفسها التي تطبقها الآن في منطقتنا، فحين هزمت في ايران هزيمة منكرة أخذت تخطط لتثبيت مواطئ اقدامها في العراق، لكنها كانت عاجزة عن تدبير انقلاب عسكري هناك فصارت تعمل على تثبيت وجودها في العراق بطرق مختلفة أي عن طريق الأردن ومصر والسعودية والكويت وفي الفترة الأخيرة عن طريق اسرائيل، أما في كمبوديا فقد نفذت هذا الأمر بالانقلاب العسكري فصارت كمبوديا أميركية، وحين سادت هذه الحال وسقط سيهانوك ثار الشعب الكمبودي على حكم لومنول بتحريض من فيتنام والاتحاد السوفياتي والصين، فكان الخمير الحمر الشيوعيون هم الذين رفعوا راية الكفاح ضد لومنول، واستمرت تلك الضغوط حتى نجحوا في دحره عام ١٩٧٥ واقامة حكم الخمير الحمر الشيوعي في كمبوديا، فصارت تلك البلاد منذ عام ١٩٧٥ (أي منذ نحو تسعة أعوام) دولة شيوعية، وفي الفترة ذاتها انتصر «الباتتلاو» في لاوس وبدأ في تايلند أيضاً النضال الشعبي والشيوعي ضد النظام الحاكم.

وهنا بدأت القصة المثيرة، حيث كانت فيتنام الشيوعية موحدة اذ توحّد شطراها الشمالي والجنوبي وكانت لاوس شيوعية أيضاً، وكان شيوعيو فيتنام ولاوس من النوع الروسي اي من فئة الروس المرنين الذين يتعاملون بمرونة مع الأقليات وسائر الفئات، لكن الخمير الحمر زعموا أنهم يرغبون في تطبيق الشيوعية الأصيلة في كمبوديا، وهكذا جسّدوا هناك أبشع حقب التاريخ العالمي، وإني لا تهمني هنا قضية الخمير الحمر بقدر ما يهمني أن أشرح سياسة الاستكبار العالمي في هذا الشأن لذلك أتحدث عن طبيعة هؤلاء، لقد جاء هؤلاء وقالوا: اننا نرغب في تطبيق الشيوعية الأصيلة، حتى أنهم كانوا يرفضون ثورة «ماو» الثقافية ويقولون أن «ماو» كان محافظاً ولذلك أخفق، فكانوا لا يعترفون بأحد غير أنفسهم، اذ قالوا مثلاً: من الأمور التي ركزت عليها

تعاليم ماركس قضية الاسرة التي قال بشأنها: «ان الأسرة من ثمار الاقتصاد البرجوازي ونتيجة لاستغلال الرجل الذي يستعبد المرأة والابناء ويطلق على ذلك اسم الاسرة، وفي اليوم الذي تدخل النساء المجتمع ويحصلن على اعمال كالرجال وينلن الاستقلال الاقتصادي، فلن يبقى في ذلك اليوم معنى للأسرة، اذ ستكون المرأة حرة والرجل حراً والأطفال تدير شؤونهم الدولة ، وتطلق حرية الحب، ويلغى الزواج تماماً، وتطلق حرية المجتمع في علاقاته كلها» وقد طرح ماركس هذه الأمور في كتابه المهم جداً المسمى بـ «الاتجاه الألماني» وذكرها أيضاً في كتاب «رأس المال» ، كما ذكر انجلز في كتاب «أصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة» الذي هو من مذكرات ماركس: «هذه كانت وصية ماركس» كذلك قال لينين بشأن هذا الكتاب: «انه كتاب تكمن وراء كل كلمة من كلماته حقيقة تاريخية واقعة» وهم يهتمون كثيراً بهذا الكتاب، وقد شرحت هذه القضية في هذا الكتاب وكتاب مبادئ الشيوعية الذي جاء فيه: حين تُحَل الأسرة في العالم يرى المجتمع حريته الأساس، ومادام للأسرة وجود فالمرأة والأطفال عبيد والرجل هو السيد.

جرائم الخمير الحمر الشيوعيين :

قال الخمير الحمر الشيوعيون: علينا حل الاسرة أولاً، وقبل ذلك كان لينين يؤيد هذه الفكرة لكنها كانت غير قابلة للتطبيق لذلك لم يعمل بها حين حكم روسيا، ومن مبادئ الماركسية الأخرى موقفها من الملكية الخاصة حيث تقضي المبادئ الأولية لزعماء الماركسية بعدم وجود ملكية خاصة تجاه أي شيء حتى الحذاء وفرشاة الأسنان والمنديل، أي أنهم لم يعترفوا بأية علاقة ثابتة بين الانسان والأشياء ، ونحن نتذكر ويتذكر اصدقاؤنا حين كنا في السجن أن الذين كانوا يرغبون في تطبيق الشيوعية على أنفسهم بشكل كبير لم يكونوا يؤمنون اطلاقاً بأن احذيتنا والبستنا مثلاً ملك لنا فكانوا يكفّرون من لا يؤمن بذلك، وكانت هناك في السجن قضية الايثار حيث كان أحدنا لا يرغب في أن

يحتاج غيره الى شيء ولديه هو منه ما يزيد عن حاجته وكانت هذه حال مقبولة، لكن اولئك لم يكونوا يعترفون بملكيتنا لهذه الأشياء فخلقوا لنا متاعب عن هذا الطريق، وفي كمبوديا قالوا بشأن الملكية الخاصة: لا توجد ملكية لأي شيء وعلى الناس أن يأتوا ويأكلوا طعامهم ويذهبوا ولا يعملوا والحكومة مسؤولة عن توفير الملبس والمأكل بالقدر الكافي، وكانوا لا يعترفون بالحياة المدنية، فدمروا المدن تماماً، ولم يكونوا يعترفون بالخبراء والمتخصصين فقتلوهم جميعاً، قتلوا الأطباء والمهندسين جميعاً، وكانوا يرفضون الثقافة الأجنبية ويرون ثقافة الاسلام والمسيحية والبوذية كلها من الآثار التاريخية للبرجوازية القديمة لذلك قضوا عليها كلها، وارتكبوا المذابح بحق رجال الدين من المسيحيين والبوذيين والمسلمين إلا من قبل منهم العيش كاحد افراد الخمير الحمر، وكان يعيش في كمبوديا عدد يتراوح بين مليونين وسبعة ملايين نسمة ويزعم الغربيون ان ثلاثة ملايين شخص قتلوا خلال تلك الأعوام الأربعة ويزعم الروس الفيتناميون أن أربعة ملايين شخص قتلوا لأن الفريقين لديهم مشاكل هناك، وقد كان يعيش هناك ما لا يقل عن سبعمئة ألف مسلم، ويزعم الروس والفيتناميون أن اربعمئة ألف مسلم قتلوا، ويقول الغربيون إن من قتل من المسلمين يتراوح عددهم بين مئتي ألف وثلاثمئة ألف، وكانت طريقة قتلهم بشعة ووحشية جداً.

ابادة المسلمين في كمبوديا:

من القضايا التي تعاملوا معها هناك بكل قسوة قضية تعاملهم مع المسلمين وسبب ذلك أن المسلمين اكثر حيوية ونشاطاً من سائر التيارات الدينية التي كانت هناك مثل البوذية والهندوسية والعيسوية، لذلك تعرضوا للقمع اكثر من غيرهم.

وتاريخ المسلمين هناك يعود الى ما قبل خمسة قرون ونصف القرن حيث كانت لهم حضارة في منطقة تدعى «چامپا» تقع جنوبي فيتنام وهي الآن جزء

منها، وكان الچامپيون يسكنون هناك منذ القرن الثاني للميلاد وبعد ذلك دخلوا الاسلام وساهموا بشكل جماعي في تعزيز الثقافة الاسلامية هناك، حتى أن الخط العربي ساد هناك وحل محل الخط المحلي، وانتقلت الكتب والمساجد الى هناك وبدأت حركة محمودة جداً قام بها أولئك فصارت لديهم جذور اسلامية عميقة، وحين جاء الخمير الحمر قرروا قطع جذورهم الثقافية فأحرقوا كل الكتب التي بالخط العربي ولم يبقوا منها شيئاً، وبعد أن سقط الخمير الحمرلم يعد أحد قادراً على العثور على كتاب بالخط العربي إلا اذا كان مدفوناً تحت التراب أو مخبوءاً مع الكنوز، وكانت الخطة التي نفذوها لحل الأسرة أن أقاموا مخيمات في القرى فصلوا فيها بين الأزواج فوضعوا الزوج في مخيم والزوجة في مخيم آخر وأرسلوا البنين والبنات الى مخيمات أُخرى منفصلة ومنعوا وجود عضوين من أسرة واحدة في مخيم واحد لكي تقطع العلاقات الاسرية تماماً، وانقطعت أيضاً وبشكل تام علاقة الأطفال الصغار بأبويهم لكي لا تلقنهم الأسرة أية تعاليم ثقافية أو ايحاءات فكرية، فانظروا أية مشاكل حدثت؟ كان من المشاكل قضية الزواج والمحارم وغير المحارم التي كانت قضية مهمة جداً لدى المسلمين، وقد وضعوا قانوناً يقضي باعدام كل من يخالف ذلك، ولم يكن يمر يوم لا يقتلون فيه عدداً من المسلمين في كل مخيم بسبب عدم رضوخهم للزواج غير المشروع، وكانت النسوة المسلمات محجبات الى حد ما. فمنع هؤلاء الحجاب، وحين رأوا أن ذلك لم ينفع؛ أمروا بأن يتعرّى الناس من المحزم فما فوق وقالوا أن الجزء الأعلى من الجسم لا يحتاج الى لباس، وقد اشير في المصادر الغربية والشرقية الى أن الشابات المسلمات ذوات الشعر الطويل كن يستخدمن شعورهن لستر اجسامهن فأمروا بحلق شعر رؤوس النساء والبنات لكي لا يفعلن ذلك، وكان العمل في سلك رجال الدين يعد جريمة، وكان يكفي لذلك أن يثبت على أحد أنه من رجال الدين، وكانوا ملتزمين بذبح الكلاب والخنازير أمام أعين المسلمين والقاء لحومها في الطعام الذي كان عادة حساء معداً من الأرز والكَلَم، واطعام

المسلمين ذلك مع أنهم يعلمون أنهم لا يأكلون طعاماً نجساً، ولو امتنع احدهم عن أكله لم يكن جزاؤه إلا الإعدام.

وكانت طريقة اعدامهم بالساطور والمعول أو بشكل جماعي، فلكي يقتصدوا كانوا يجمعون عدداً من الذين اعتبروهم مجرمين في مكان واحد ثم يبيدوهم جميعاً بالقنابل اليدوية، أو يضعونهم في شاحنة ثم يفرغونها في وادٍ أو مكان من هذا القبيل وبذلك كانوا يبيدونهم جميعاً اذ كان لا يجدي عندهم قتلهم واحداً واحداً، ولا تتصوروا ان هذه الأمور من دعايات الغربيين الذين ارادوا تشويه سمعة هؤلاء ، أو انها من دعايات الشرقيين، بل أن الفريقين نقلوها، إضافة الى ذلك نقلها اللاجئون من هناك، حيث هناك الكثير من اللاجئين الذين قدموا من هناك، ومن مراكز اولئك اللاجئين ماليزيا التي يعيش فيها عدد كبير منهم، فحين كان الخمير الحمر يحكمون كمبوديا كان الماليزيون يستقبلون اللاجئين من هناك، فجاء هؤلاء اليها، وقد وصلني كراس يتحدث عن هؤلاء اللاجئين وقرأته فوجدته كراساً يدعو الى الأسى حقا، وهناك عدد من هؤلاء اللاجئين في فرنسا ومناطق اخرى، على أية حال مرت أربعة اعوام على هذا الوضع ثم هاجمت فيتنام كمبوديا وجاء الى الحكم هناك العقيد سامرين وهو شيوعي روسي مؤيد لفيتنام وسقط حكم الخمير الحمر فانضووا تحت حماية الصين ورابطوا في جنوب كمبوديا بدعم من الصينيين، وهم يحتلون الآن موقعاً صغيراً.

الذئاب التاريخيون المعاصرون :

وهنا يبدأ بحثنا الرئيس وهو تحليل لموقف الشرق والغرب، انظروا كم هو معوج ضمير العالم، وكم يكذب هؤلاء ، وما الذي قد نعانيه من هؤلاء الذئاب التاريخين المعاصرين، فالسيد سيهانوك نفسه الذي قبض عليه هؤلاء وحبسوه وقتلوا ابنته بالرصاص وارتكبوا المذابح بحق الكثير من افراد أسرته، أجبرته الصين على تشكيل جبهة مع الخمير الحمر المنهزمين، وفي كمبوديا الآن

جبهة تسمى جبهة الخمير الحمر، وهناك جبهة أُخرى تسمى سون سان وهي جبهة اميركية يقودها ضابط برتبة عقيد تقف وراءه منظمة السي. آي. أي (C.I.A) وغيرها، وهناك جبهة صينية تمارس نشاطها باشراف سيهانوك، وقد شكلت هذه الجبهات الثلاث حكومة كمبوديا الديمقراطية الشعبية، ولكنهم لا يملكون مكاناً بل يعيشون هنا وهناك، وحكومة كمبوديا يسيطر عليها الفيتناميون منذ ذلك التاريخ أي منذ عام ١٩٧٩ وحتى الآن، اي أنها تدار بيد عميل الفيتناميين العقيد سامرين، وهذا الرجل بدوره لا يرتكب المذابح كغيره وتعامله مرن من حيث عاد كثير من المسلمين وشيدت المساجد من جديد بعد أن تحولت الى اصطبلات وعوضت المكتبات التي احرقت بعدد من الكتب وتحسن الوضع قليلاً وهو في طريقه الى الحال الطبيعية، وهنا نرى الشرق والغرب قد انقض أحدهما على الآخر وها هما الماركسية والرأسمالية تمران في اختبار وهذه عبرة من عبر التاريخ المعاصر تثبت كم يكذب هؤلاء وكم بلغوا من الصلف وعدم الحياء.

فحين كان الخمير الحمر في السلطة كان الغربيون يعارضونهم ويبثون الدعايات ضدهم، لكننا نرى اليوم الغرب كله والحلف الآسيوي (الذي يشمل خمسة بلدان هي اندونيسيا وماليزيا من البلدان الاسلامية، وسنغافورة والفلبين وتايلند من البلدان غير الاسلامية) يدعمان الخمير الحمر كما تدعمهم الصين.

وفي الأُمم المتحدة مازال الخمير الحمر يحتلون مقعد كمبوديا أي بعد مضي خمسة اعوام، فانظروا كيف تتصرف الأُمم المتحدة الوقحة هذه التي تريد تطبيق حقوق الانسان؟

وربما كانت هذه الأُمور التي انقلها قد وردت في مئات المقالات التي اُلقيت أو كتبت بالقرب من منظمة الأُمم المتحدة، ومن المؤكد أن تفاصيل هذه الجرائم مدونة في ارشيف منظمة الأُمم المتحدة، لكن المنظمة الدولية مازالت تعتبر الخمير الحمر الحكام الحقيقيين لتلك المنطقة، ونرى في هذه الجهة الروس وفيتنام وكل من يدور في فلك الروس واوربا واوربا الشرقية

وبعض الدول التي تدور في فلك هؤلاء وكوبا والهند كلهم يؤيدون جبهة سامرين، ونحن نرى أن ليس هؤلاء شرعيين ولا أولئك، فحكومة فيتنام أجنبية ينبغي أن تزول، وتلك أيضاً حكومة متجبرة خائنة ينبغي أن تزول وموقف الجمهورية الاسلامية كان منذ البداية موقف اللاشرقية واللاغربية اذ لم تعترف لا بهؤلاء ولا بأولئك، وقد حدَّدنا موقفنا منذ البداية، لكن هؤلاء على هذه الصورة ، وأعضاء عدم الانحياز الذين اجتمعوا في دلهي كانت من مناقشاتهم الساخنة هل يحضر في حركة عدم الانحياز سيهانوك ليمثل كمبوديا أم يمثلها سامرين، وأخيراً نجح الهنود بضغط الروس في إلغاء مقعد الخمير الحمر مع أن العقيد سامرين لم يحصل على أصوات كافية ليحضر كممثل عن كمبوديا، انظروا ماذا تعني هذه المواقف التي تتخذ في العالم؟ وكيف تتخذ اندونيسيا التي يسكنها اكثر من مئة وأربعين مليون مسلم مثل هذا الموقف أمام قاتل ثلاثمئة او أربعمئة ألف مسلم؟ وكيف تضع هؤلاء تحت حمايتها؟ وكيف تدافع عنهم في الأُمم المتحدة؟ وكذلك ماليزيا التي هي خليط من المسلمين وغيرهم ومعظم سكانها أي بضعة وخمسون في المئة منهم مسلمون، هذه القضية تثبت أن ما يزعمونه من حدود فكرية وعقائدية كله كذب، وان كل هذا الذي يقولونه مكر ورياء ، وها أنتم ترون أميركا التي تدافع بهذه الصورة عن حقوق الانسان، والغربيين الذين يزعمون ذلك ، كيف يدافعون عن الخمير الحمر ويساندونهم مع كل ما اقترفوه من الجرائم، وكيف يسعون من أجل الحفاظ على مقعدهم في الأُمم المتحدة. فكيف تعطي الأُمم المتحدة التي لديها كل هذه المؤسسات الخاصة بحقوق الانسان لنفسها الحق في الاحتفاظ بمقعد هؤلاء ؟ ثم انظروا في المقابل الى الروس الذين يدعمون الشيوعية الدولية كيف حاربوا الخمير الحمر وهم يمثلون الشيوعية الأصيلة حين كانوا يحكمون هناك. وحسناً فعلوا اذ حاربوهم، فأنا لا أقول لماذا حاربوهم لكنني اقول إنهم لا يعملون وفقاً للمبادئ، بل يكذبون، فعنوان الشيوعية العالمية قضية كاذبة، والمهم هو مصالح القطبين والمصالح السياسية، وعنوان حقوق

الانسان لدى اميركا وانكلترا وفرنسا عنوان كاذب تماماً، والقضايا السياسية هي المهمة، والأصوات في الأُمم المتحدة هي المهمة، والأسواق والمواد الخام والنفط هي المهمة، هذه هي المبادئ لدى هؤلاء ، هذه الفئة هي التي تسود العالم اليوم، والعالم الشرقي والعالم الغربي كلاهما سكت عن الجرائم التي ارتكبت في كمبوديا وهي جرائم لم يسبق لها مثيل في العالم بعد جرائم هتلر، لكن هؤلاء فاقوا هتلر من حيث نوع جرائمهم، لأن هتلر لم يقتل مثل هذا العدد أي لم يرتكب المجازر بحق اكثر من خمسين في المئة من الناس، وكذلك لم يقتل بهذه الصورة، فاذا كان الأمر هكذا وهم يعترفون به فكيف يضحي هؤلاء بمبادئهم من أجله، اننا نواجه هذا العالم الذي يفتقد المبادئ ثم يتهمنا هؤلاء ويطلقون علينا تسمية الأصولية، واذا كان المقصود بالأصولية اتباع الأصول والمبادئ فهو صحيح، لكن هؤلاء لا يقصدون ذلك بل يريدون أن يقولوا إن هؤلاء رجعيون ومتشدّدون لا يمتلكون المرونة المعقولة. هذا هو الذي يقصدونه ، ويرون ما يرتكبونه مرونة.

هذه الفئة تتجسّد في هؤلاء الذين ترونهم في العالم، وقد رأينا في بلادنا أولئك الذين تعرفنا عليهم في السجن حيث دهشنا حين سمعنا أنهم قبضوا على رفيق لهم يدعى شريف واقفي وقتلوه بالديناميت الذي وضعوه في بطنه وفجروه، هؤلاء هم من فئة الخمير الحمر وهم من النوع الاميركي، أي أن اتجاههم هكذا فحين لم تستقم لهم الأُمور هنا غادروا البلاد وصاروا خدماً لصدام وفرنسا واميركا.

المحور الرئيس لدى الإنسان المتقي :

في عالمنا المعاصر، نجد ريغان وميتران وحسني مبارك والملك حسين والملك الحسن وصدام وطارق عزيز ورجوي وبني صدر وبختيار وتاتشر كلهم يمثلون نسيجاً واحداً، أي حين يحلل المرء أوضاعهم يجد أن الأصل لديهم هو المصالح السياسية والفئوية ومن يصوت لصالحهم ومن يتبعهم ومن يسير

وراءهم ومن يطيعهم طاعة عمياء ، واينما أرادوا تطبيق هذه المبادئ برز نظام حكم من هذا النوع، والاسلام يعارض من الأساس هذا النمط من الحياة ، وهو كما قلت يرى المقياس في التقوى والعقيدة، وهو يبني مجتمعاً متقياً، ويعطي حق الحكم للزعماء المتقين، ويحول دون هذه الأحابيل، هذه هي طبيعة الاسلام، والقرآن حين يقول: «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد»[1] فهو يتحدث عن هذا الموضوع، فهناك من يرفع الشعارات التي تدهش الناس فيقولون: ما أحسن هؤلاء ! وهم يعقدون المؤتمرات ويلقون الكلمات ويدّعون نصرة المحرومين وأتباع فلان ومقارعة الاستكبار وغير ذلك من الشعارات ولكن حين يتولون الأمر ويمسكون بزمام الأُمور يعرف المرء أي أناس هم وهو ما تحدث عنه القرآن في الآيتين السابقتين، وفي مقابل هؤلاء يتحدث القرآن عن فئة أُخرى بقوله: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءمرضات الله والله رؤوف بالعباد»[2] فالاسلام يجعل محوره متمثلاً في المضحين المتقين.

وفي بلدكم الذي تسود التقوى والمقاييس الثورية والذي يتعرض لهجوم الذين يدّعون الدفاع عن حقوق الانسان كذباً، نرى أفضل النماذج من ضمان حقوق الانسان لكن أولئك يغمضون أعينهم عنها، ففي بلدكم تحفظ حقوق الأقليات الدينية كما هو شأن الأكثرية المطلقة من الشعب، ففي أية بقعة من العالم يسود هذا الوضع؟ اننا نجد هنا خمسة من ممثلي الأُقليات الدينية في مجلس الشورى الاسلامي (ولهذه الأقليات ممثلون يفوق عددهم عدد ممثلينا في المجلس لو اخذنا بعين الاعتبار نسبة عدد الممثلين إلى عدد من يمثلونهم)

---

١ ـ البقرة / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٢ ـ البقرة / ٢٠٧ .

لهم حقوق متساوية مع غيرهم من اعضاء المجلس ويدلون بأصواتهم مثل غيرهم وبإمكان اصواتهم أن تُبطِل لائحة قانونية أو تُقِرّها، ويوم أمس الأول وجدنا في جلسة احدى اللجان الفرعية التي أحد اعضائها دكتور يهودي أن صوتاً واحداً كان بامكانه منح الثقة لأحد الأعضاء أو حجبها عنه أي كان بامكان صوت واحد أن يقرر مصير عضو مسلم في المجلس وهو استاذ جامعي أيضاً، ونحن نتبع هذه المبادئ، وهناك تيار صغير بين إحدى الاقليات التي صارت تتوقع لنفسها حقوقاً تتجاوز الحدود الطبيعية حيث اغتالوا ضيوفنا القادمين من الخارج وهو أمر ينال من سياسة البلاد الخارجية، وفي المجال الدراسي يقول الدستور الذي صوتواهم لصالحه أن كل المناهج الدراسية ينبغي أن تدرس باللغة الفارسية ولا يمكن تدريس أي منهج في المدارس باللغات الاخرى إلا ما يخرج عن المناهج المقررة، والأرمن الآن نجدهم يثيرون المتاعب ونجد تلاميذهم في المدارس لا يؤدون الامتحانات أو يرتكبون مثل هذه الأعمال ويقولون اننا نطالب بتدريس التعاليم الدينية في مدارسنا بلغتنا، لكن الدستور يمنع تدريس أي منهج رسمي بلغة الأقليات ولو حصل ذلك فإن فاعله يتعرض للمحاكمة وقد وقّعواهم على هذا الدستور، ولكنهم احرار في تأليف أية كتب دينية بلغتهم وتدريسها في الساعات غير الرسمية أو الساعات التي يرغبون هم فيها، وكذلك في طريقة سلوكهم في الكنائس والمعابد، أما في الساعات الدراسية فينبغي تدريس هذه المناهج باللغة الفارسية، لقد تجاوز هؤلاء الحدود الطبيعية في مطالبتهم بالحقوق في هذا البلد، ومع ذلك، ومع كل المتاعب التي أوجدوها لنا، لم يعاملهم أحد بعنف، هذا هو الاسلام والجمهورية الاسلامية والثورة، فلتقارنوا هذا الآن بسلوك واشنطن بشأن قضية مسجد المسلمين الذين يؤدون الصلاة منذ شهور في حر الشمس وتحت الثلوج والأمطار في الشوارع لأنهم لا يتلاءمون مع سياسة واشنطن، إننا لا نسلك هذا السلوك مع الأرمن هنا، ومع هذا نُعتبر معادين لحقوق الانسان ويعتبر أولئك السادة من روّاد حقوق الإنسان، ويعتبر أولئك

الذين يحافظون اليوم على مقعد الخمير الحمر المجرمين في الأُمم المتحدة مؤيدين لحقوق الانسان، ويعتبر أولئك الذين يدعمون صدام المجرم الذي دمر المدن بهذا الشكل الفجيع؛ من انصار حقوق الانسان ونصبح نحن شيئاً آخر.

هذه هي الفئة السائدة في العالم اليوم، فاعرفوا قدر انفسكم وحافظوا على محور الاسلام المتمثل في الحقائق والتقوى، وهذا هو سبيل اللّه وفيه مشاكل بالطبع، وهو سبيل يضعون في طريقه ما استطاعوا من صخور، ويزرعون الأشواك فيه، ويخلقون له ما استطاعوا من عقبات اقتصادية وسياسية وثقافية لأنه شكك في كل ما يدّعونه من مبادئ وأدان نمط معيشتهم، واوضح للعالم سلوكهم الخاطئ وفضحهم، لذا فهم لا يطيقون وجود حركة مستقيمة واسلامية وشعبية قائمة على أساس التقوى والحقيقة والعدل، لأن عليهم أن يثبتوا ان هذا كذب أو يثبت أنهم هم الكاذبون، فهم يفضلون القول أنه هو الكاذب، على أية حال كانت هذه توضيحات لزم أن أقولها، وآمل أن تنفع في كشف حقيقة اعدائكم وفضح مزاعمهم، وتنير السبيل امام الذين ينخدعون بهذه الأقوال لاسيما الشبّان منهم فيقومون هم بمطالعة بقية ذلك وربما كتبت بهذا الشأن كتب كثيرة يمكنهم الحصول عليها من المكتبات.

الخطبة الخامسة

الجمعة: ١٣٦٣/٤/١٥ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي». (النحل / ٩٠).

الاستكبار العالمي وافريقيا:

كانت المواضيع التي ذكرنا حتى الآن تتناول مقارنة بين تعامل الاسلام مع مشكلة التمييز العنصري وتعامل العالم الاستكباري الذي يزعم الدفاع عن حقوق الانسان معها.

وقد أشرنا في الخطب السابقة الى اوضاع المظالم العنصرية في اميركا والشرق الأقصى فيما يخص الاستكبار الغربي وفي خطبة اليوم سنشير الى القارة الافريقية السوداء لكي نحصل على انطباع عام عن حقيقة المظالم التي ارتكبها البيض في العالم، ومحورهم المتمثل في اوربا واميركا بحق شعوب قارات العالم كافة، وانكم سمعتم بافريقيا والسود لكنكم تعرفون القليل جداً (لاسيما جيل الشبّان منكم) عن ما ارتكبه هؤلاء الذين يدّعون الدفاع عن حقوق الانسان بحق أهل هذه القارة السوداء المظلومين، وقد جعلنا موضوع بحثنا هذا يبدأ بما قبل خمسمئة عام أي حين اكتشف كريستوفر كولومبس اميركا ثم خضعت القوة البحرية وامكانات الملاحة لسيطرة الأوربيين، وانطلق

المستكبرون نحو سائر القارات واستخدموا العلم والفن شيئاً فشيئاً، وانزلوا بهذا السلاح الفتاك هذه المصائب بالعالم، ولما كانت قارة افريقيا مجاورة لقارة اوربا ولا تفصل بينهما سوى مسافة قصيرة هي مضيق جبل طارق حيث تقع هاتان القارتان على جانبي البحر المتوسط فتقع اوربا في شماله وافريقيا في جنوبه، لذلك اصبح استغلال أفريقيا سهلاً جداً على اوربا وبعبارة واحدة نقول إن افريقيا تحوّلت منذ ذلك التاريخ الى مستودع تموين لأوربا، ولا مبالغة في هذه العبارة فمن حيث القوة البشرية كانت افريقيا في تلك الفترة التي كانوا يعتمدون فيها على السواعد والقوى الجسدية للانسان، تمد الاستكبار العالمي بالطاقة البشرية، ومن حيث المواد الخام والشرايين الحيوية الاقتصادية لولا أفريقيا لاختنقت اوربا اليوم أما في السابق فقد كان الوضع أسوأ، وأفريقيا قارة تضمُّ نحو خمسين دولة مستقلة أي ما يقرب من خمسين صوتاً في الأُمم المتحدة وفيها ربع اراضي العالم وتحوي امكانيات هائلة جداً، مثلاً نجد أن اثنين وثلاثين في المئة من الطاقة الهيدروليكية العالمية يكمن في افريقيا (والطاقة الهيدروليكية تعني الطاقة الكهربائية التي يمكن الحصول عليها من قوة الماء الناتجة عن اختلاف ارتفاع سطح الارض والشلالات والأنهار) فكل المياه التي تجري في سائر انحاء العالم تبلغ ٦٨٪ بينما توفر مياه افريقيا ٣٢٪ من الطاقة المائية للعالم فيما لو نظمت واقيمت لها السدود اللازمة، وافريقيا من حيث المناجم اهم قارات العالم ففيها ٢٠٪ من مناجم العالم المكتشفة ومايزال الكثير منها في افريقيا ولم يكتشف بعد اذ لم يصل أحد بعد الى اعماق الغابات البكر، فاليورانيوم مثلاً والذي يعد اهم مادة تدخل في الصناعات العالمية من الدرجة الأولى نجد ١٢٪ منه في افريقيا، ونجد كذلك في افريقيا ١٦٪ من النفط المكتشف في العالم حتى اليوم، ونجد في افريقيا اهم نحاس وافضله في العالم.

وتحتل افريقيا من الناحية الجغرافية موقعاً تشرف به على المحيط الهندي والعالم العربي والبحر المتوسط وهو موقع حساس جداً بشكل عام، ويسيطر

الأفارقة على أحد طرفي أكبر مضيقين في العالم وهما قناة السويس ومضيق جبل طارق، فلو ترك هؤلاء الناس وشأنهم لعاشوا اليوم في العالم بأفضل ممّا هم فيه بكثير ولا صبحوا في رفاهية اكبر مما يعيشه الأوربيون.

وهناك من يقول أن الأفارقة لم يكونوا يملكون شيئاً منذ البداية وبذلك يدّعون أن لهم فضلاً على الأفارقة أيضاً، وقد كُتِبَ في كتب الأوربيين: اننا منحناهم الحضارة والعلم والصحة، وهم الآن يدعون أن الافارقة مدينون لهم، في حين أن الافارقة عاشوا أسوأ نوع من المعيشة في العالم خلال الأعوام الخمسمئة الماضية وهم يعيشون الآن كذلك اسوأ ظروف المعيشة في العالم.

الاستعمار الحديث:

مثل هذه الأمور يجري في آسيا واميركا اللاتينية أيضاً، لكننا نتحدث اليوم عن هذه القارة لكي يفهم العالم ويفهم شباننا وابناؤنا ماذا فعل بالعالم هؤلاء البيض الأوربيون الذين يبلغون خمسمئة مليون، وكم هم مدينون للعالم اليوم، وكم للعالم فضل على هؤلاء ، ولماذا لايزال هؤلاء قادرين على خداع الشعوب؟ لابد أن تتوضح هذه الأمور في هذا البحث المهم الذي يتناول العدالة الاجتماعية، فقد مرت افريقيا خلال الأعوام الخمسمئة الماضية بثلاث مراحل محددة، أولاها استغرقت ثلاثمئة عام وهي مرحلة العبودية التي سعى الأوربيون فيها الى أخذ العبيد من افريقيا وكانت صادرات افريقيا المهمة هي العبيد وبعد ذلك جاءت فترة الاستعمار الرسمي وسأشرح لكم معنى الاستعمار، لقد كانوا يطلقون على بلد اسم المستعمرة رسمياً حين كانت الدولة الأُم تعين حاكمه فمثلاً كانت فرنسا تستعمر الكونغو وكانت انگلترة تستعمر الهند وتسيطران على كل شيء فيهما.

وبعد مرحلة الاستعمار الذي ازالته الأُمم المتحدة بشكل ظاهري مؤخراً، جاء الاستعمار الحديث الذي هو أسوأ في حقيقته من الاستعمار نفسه، حيث يرتكبون الأعمال نفسها بصورة انتداب أو بأشكال أُخرى، وقد انهك الأُوربيون

افريقيا بالرق، ولا يعلم ماذا ارتكبوا بحق الافارقة إلا الذين يقرأون ما كُتِبَ بهذا الشأن. والحد الأدنى الذي اؤكد عليه لمعرفة كيفية استرقاق الأوربيين الافارقة هو مطالعة كتاب «كوخ العم توم» واذا كان فلمه موجوداً فليعرضوه ليشاهده ابناؤنا فهو يحكي جانباً من هذه القضية، أمّا كم خرج من افريقيا من العبيد فهو من معضلات التاريخ، فقد ذكروا أرقاماً تتراوح بين عشرة ملايين ومئة مليون، والأوربيون انفسهم يقولون ان أكثر من عشرة ملايين عبد أُنزلوا على سواحل اوربا واميركا وتسلّموهم احياء ، لكن الباحثين الافارقة يقولون إنهم اخذوا خلال تلك الفترة مئة مليون عبد، فلنقل نحن عشرة ملايين كما يزعم هؤلاء لكن الحقيقة انهم اكثر من هذا العدد، وكان هؤلاء يجلبون العبيد من أجل العمل في الأعمال المنحطة التي كانت ضرورية في اميركا اللاتينية واميركا الشمالية واوربا، فكانوا مثلاً يستخدمونهم بكل قسوة في المناجم ومحلات الشحن والتفريغ ومزارع المناطق الحارة والموانئ والمناطق ذات المناخ الرطب، وكانوا يزعمون أن الافارقة يتمتعون بأضخم الاجسام والقوى اللازمة للعمل، وكانوا يأخذون العبيد الذين تتراوح اعمارهم بين عشرين عاماً وخمسة وثلاثين عاماً أي افضل سني عمر الانسان قدرة على العمل، فكانوا لا يشترون عبيداً تقل اعمارهم عن العشرين أو تزيد عن الخامسة والثلاثين، وكانوا يشترطون من جهة أُخرى أن يتألفوا من رجلين في مقابل امرأة واحدة أي حين كان أحدهم يذهب ليشتري عدداً من العبيد فإنه كان يشتري مثلاً عشرة رجال وخمس نساء ، لأن عدداً كبيراً من الرجال كانوا يموتون في المناجم والأعمال الشاقة وكان عدد كبير منهم يعيش في اماكن مثل الغابات والمناجم حيث لا وجود للنساء ، وكانوا يقولون أن هؤلاء لا يحتاجون الى نساء وان امرأة واحدة تكفي لرجلين، فكانت هذه احدى نتائج حساباتهم الاقتصادية، وكان من الشروط المهمة الأُخرى لشراء العبيد أن يكون العبد قد أُصيب بالجدري خلال حياته فكانوا لا يشترونه إن لم يكن قد أُصيب بالجدري لأنه كان من المتوقع ان يصاب بالجدري فيموت. وعليه فلابد أن

تكون علامة الجدري على وجهه، وكانوا يأخذون العبيد من الحروب والنزاعات التي تحدث في افريقيا وقد أحالوا هذا الأمر الى زعماء القبائل والعشائر وزعماء المناطق الافريقية أي أن قبيلتين تتقاتلان وكل قبيلة تأسر عدداً من القبيلة الأُخرى تعطي للاوربيين من ينفع للرق منهم، وكان هناك سماسرة يعملون للوساطة في هذا الأمر، وكانت في اميركا واوربا محال خاصة كمراكز لشراء العبيد وبيعهم، ومن تلك المراكز «لويدز» هذه الشركة العالمية الكبيرة للتأمين والتي تملك اليوم في العالم قدرة تساوي ما تملكه عدة دول حيث كانت يومها مقهى في سواحل انگلترة حيث صارت مركزاً لباعة العبيد ومن هناك بلغت هذا الموقع الذي تحتله اليوم، ثم انهم كانوا يجلبون العبيد من الأماكن التي يأخذونهم منها مشياً حتى الساحل، فانظروا الآن كم كان يقتل منهم خلال الحرب؟ وكم كانوا يجرحون خلال الأسر. فلا يعود بالامكان استخدامهم؟ وكذلك من تفتك بهم الاوبئة التي كانت منتشرة في ذلك الزمان؟ وقد كتبوا اهم أن نسبة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ ٪ من العبيد كانوا يموتون في السفن حين كانوا ينقلون من ساحل افريقيا الى اميركا أو أوربا، وكانت المستودعات في اسفل السفينة على غير الحال التي هي عليه الآن فلم تكن فيها أسرّة أو نوافذ للتهوية، بل كانت مستودعات تحفظ فيها الحيوانات فكانوا يضعون هناك العبيد ويلقون اليهم ببعض الطعام فيأكلونه ويقضون حاجتهم في المكان نفسه، ثم انهم حين كانوا يشترونهم كانوا يحتفظون بهم بطريقة قاسية ويربطونهم بالسلاسل ويستخدمونهم في المناجم ويضعون عليهم الحرس ليراقبوهم كي ينجزوا عملهم بالشكل المطلوب، فكان هؤلاء يعملون في اليوم مدداً تتراوح بين (١٢) ساعة و (١٦) ساعة في حين كان الآخرون يعملون ثماني ساعات في اليوم.

نتائج جرائم الاميركيين والأوربيين في افريقيا :

أعرض عليكم احصاءً يثير العجب حقاً، وهو احصاء رائع جداً يحكي عن

الحقيقة، وهذا الاحصاء الذي استخرجوه من التاريخ (وهو احصاء لا يمكن أن يكون دقيقاً بل هو قائم على بعض الحسابات النسبية) يقول: ان عدد سكان افريقيا كان عام ١٦٥٠ أي قبل نحو (٣٥٠) سنة وفي القرن السابع عشر (١٠٠) مليون نسمة، وكان عدد سكان اوربا (١٠٣) ملايين، وبعد مئة عام بلغت افريقيا (٧٠٠) مليون وأوربا (١٤٤) مليوناً، وبعد مئة عام أُخرى بلغت أوربا (٢٧٤) مليوناً فيما عادت افريقيا الى المئة مليون نفسها، وبعد خمسين سنة أي عام ١٩٠٠ بلغت افريقيا (١٢٠) مليوناً فيما بلغت اوربا (٤٢٤) مليوناً، فخلال هذه الفترة التي تبلغ (٣٥٠) عاماً تضاعف سكان اوربا اربع مرات بينما لم يزدد عدد سكان افريقيا إلا بمقدار (٢٠) مليوناً، ويرى المؤرخون كلهم أن ثبات عدد سكان افريقيا يعود الى الاسترقاق حيث كانوا يأخذون الطاقات المنتجة وتبقى الاوبئة والمجازر وامثالها للأفارقة، وبهذه الطريقة دفعت افريقيا ثمن تكامل اوربا واميركا، ومما يجدر ذكره أن افريقيا شهدت خلال هذا القرن أي بين عامي (١٩٠٠) و (١٩٨٣) قفزة سكانية كسائر الشعوب المتخلفة فبلغ عدد سكانها (٤٠٠) مليون في مقابل سكان اوربا الذين يتراوح عددهم بين (٦٠٠) مليون و (٧٠٠) مليون.

هذه الجريمة الكبرى التي ارتكبها الأوربيون بحق افريقيا حيث بلغ سكان كل بلدان العالم خلال (٣٥٠) عاماً أربعة اضعاف أو خمسة بينما ظل عدد سكان أفريقيا ثابتاً ولا يمكن القبول بأي سبب لذلك سوى استرقاق هؤلاء الذي ساهم فيه كل من الاميركيين والأوربيين.

ثم حين قضي على العبودية فلربما تتصورون أن الافكار الانسانية كانت سبباً لذلك، وربما كان اشخاص مثل لنكولن يحملون افكار إنسانية، ولكن بشكل عام توصل التيار الاستكباري الى نتيجة تقول أن الرق لم يعد ينفعهم، فحين دخلوا عصر الصناعة قال أحد الرأسماليين الغربيين: ان العبيد الافارقة ينفعون للاعمال الزراعية وغير الفنية والمناجم التي لا وجود للآلات المعقدة فيها، لكنهم لا ينفعون للمكائن المعقدة والثمينة لأنهم سيعطلون هذه المكائن

ويشلون عملها، وحين رأوا أن العبودية لا تتلاءم مع الأعمال الفنية والصناعية، أوجدوا تياراً هائلاً ألغوا به العبودية فتوقف سيل العبيد الذي كان يتدفق من افريقيا على اوربا واميركا وسائر المناطق الاستكبارية، وتحول الى العمال الرسميين الذين ترونهم الآن، أي انه لو أُخِذَ منهم العمال الاتراك والعرب الافارقة فسوف تتعطل اعمالهم دفعة واحدة، ولو كان الفرنسيون الجزارون قادرين (من الناحية الاقتصادية لا من الناحية الانسانية) على افراغ مصانعهم من عمال شمال افريقيا المسلمين لما توانوا عن ذلك لحظة واحدة، على أية حال كان الذي نريد قوله إن أفريقيا التي تملك كل هذه الطاقات التي ذكرناها تحولت اليوم الى هذه الحال التي ترونها.

الفوارق بين الدخل والاستهلاك الفردي في البلدان الفقيرة والغنية :

سأذكر لكم اثنين أو ثلاثة من الاحصائيات الدولية لتنظروا ماذا ارتكب الأوربيون من الجرائم بحق الافارقة، يقال أن الدخل الفردي يبلغ اليوم في الدول المتقدمة مثل اميركا وغيرها نحو أربعة آلاف دولار. أما في أفريقيا فيبلغ متوسطه (١٤٠) دولاراً، وهذا المتوسط لا يصدق على كل البلدان الأفريقية لأن هناك بلدان غنية مثل جنوب افريقيا ومصر وليبيا والجزائر. فحين يقاس متوسط دخل هذه البلدان به في البلدان الأُخرى يظهر رقم يبلغ (١٤٠) دولاراً وإلا فالدخل الفردي السنوي لبلد مثل الكونغو يبلغ (٥٢) دولاراً، ويبلغ في تشاد أقل من ذلك، وعلى هذا يحصل كل أميركي بشكل متوسط على دخل يبلغ اربعة آلاف دولار في السنة . بينما يحصل الأفريقي على (١٤٠) دولاراً، وفي المناطق المحرومة نجد الدخل السنوي يبلغ ما يتراوح بين (٥٠) و (١٠٠) دولار، فهؤلاء يتربعون على بحر من النفط والذهب بينما تصرف ثرواتهم في القصور الأوربية، وأمّا بشأن الاستهلاك في اميركا فيبلغ الاستهلاك السنوي من الحديد والفولاذ لكل اميركي نحو (٧٠٠) كيلوغرام أي إن كل اميركي يستهلك هذه الكمية من الحديد في بنائه وسيارته ومعيشته واعماله

الحكومية بينما يبلغ مقدار الاستهلاك الفردي في الحبشة (هذا البلد الأفريقي القديم) من الحديد والفولاذ كيلوغرامين ، أي أن كل اميركي يستهلك من الحديد اكثر من كل حبشي بـ (٣٥٠) مرة، وفي بلدان مثل تشاد نجد طبيباً واحداً لكل (٧٥) ألف شخص، بينما نجد في بلدان كايطاليا والبلدان الاوربية المتقدمة، طبيباً واحداً لكل خمسمئة شخص، فأين الخمسمئة من الخمسة والسبعين ألف؟ فضلاً عن الأمراض الكثيرة المعدية هناك حيث نجد الطفل مريضاً منذ ولادته وحتى وفاته وهو يحتاج الى الطبيب كل يوم، أما في البلدان الأوربية والاميركية فالرعاية متوفرة بدرجة لا تعود معها حاجة الى الطبيب في الظروف العادية إلا اذا وقع حادث معين.

فكيف يمكن القبول بهذا الظلم؟ فمن كل ألف طفل يولدون في افريقيا يموت مئة وخمسون، أما في اميركا والمناطق الأُخرى التي تعيش من جيوب الافارقة فلا يموت حتى عشرون طفلاً من كل ألف، هذا هو وضعهم الصحي.

والمتخصصون الآخرون على هذه الصورة أيضاً سواء المهندسون واساتذة الجامعات والعاملون في التصوير الشعاعي وكل من يخطر ببالكم فهم على هذا النحو.

قد ينخدع الأوربيون أو ينخدع عدد من ابنائنا فيقولون «كانت افريقيا على هذا النحو منذ القدم والأوربيون عملوا ودرسوا حتى بلغوا هذه الدرجات» فنجيبهم بالقول: كلا . لم يكن الوضع على هذه الحال. ففي تلك الأيام التي كانت بعض البلدان الأفريقية عامرة كانت أوربا تعيش حياة متوحشة، وكمثال على ذلك حين وصل المسلمون غربي افريقيا ودخلوا الاندلس أرادوا الاستحمام فلم يجدوا حماماً واحداً في كل تلك المنطقة اذ كان الأوربيون يعتقدون أن الحمام مكان الجن ولو بنوا حماماً فسوف يفعل بهم الجن الافاعيل، وهكذا بنى المسلمون أسبانيا بناءً جعل المستشرقين يعترفون أن الحضارة الاسلامية في اسبانيا هي التي انتشرت في اوربا شيئاً فشيئاً وأدت الى نضج شعوبها.

أما مصر فقد كانت في عهد الفراعنة وقبل آلاف السنين من بلدان العالم المتحضرة ومايزال الأوربيون عاجزين عن حل لغز بناء الأهرام المصرية، وقد كانت على ضفاف النيل حضارة متقدمة على طول التاريخ البشري، وفي الحبشة كانت هناك حضارة انسانية. ففي عهد صدر الاسلام حين اطلع النجاشي على شيء من الاسلام كان أول من أسلم في الحبشة. وهذا يعني مدى سمو الشعور الانساني هناك في ذلك العهد، وفي السودان وزمبابوي وبين البحيرات الافريقية وفي شرق افريقيا كانت هناك حضارة متقدمة، فكيف يمكن الزعم إذن ان هؤلاء هم الذين ذهبوا الى افريقيا وآنتشلوا الأفارقة من الوحشية.

وحين كانت اوربا خاضعة لتسلط افكار القرون الوسطى لم تكن هناك قرون وسطى في افريقيا أي في شمالها الغربي وشرقيها، وكان الافارقة متحضّرين في المناطق التي وصلها المسلمون، فكيف إذن اصبحت أميركا واوربا في هذه الحال؟ هذا ما سيتوضح من خلال ما سأذكره في البحوث القادمة، ان النحاس والعاج والماس والذهب والفحم الحجري والنفط يذهب كله من افريقيا الى اوربا، وتعرض كل الصناعات الافريقية الدقيقة في أسواق الأوربيين، وقد شُغّلت الصناعة الأوربية بالقوى العاملة الأفريقية، وشُغّلت الملاحة البحرية الأوربية والاميركية بعائدات الأفارقة، حتى أن الأُمم المتحدة تدار بأصوات الأفارقة، فخمسون صوتاً أفريقياً يسيطر عليها المستعمرون وبإمكانهم استخدامها ضد من يشاؤون.

وقد استخدمت فرنسا مئتي ألف جندي افريقي في الحرب العالمية الثانية، وكانت تقاتل بهؤلاء ، وقلما دخل الأوربيون ميدان الحرب بأنفسهم.

وقاحة المدافعين عما يسمّى بحقوق الإنسان :

هذا هو وضع مدّعي حقوق الانسان، إذ تصدر عنهم اعمال غير مسبوقة تجعل المرء يذهل لوقاحتهم ، قال أحد شخصياتنا: كنا في رحلة مع اوربي

فاصطدم طائر بسيارته فاوقفها وترجل منها وأخذ الطائر وداوى جرحه ثم اخذه وسلّمه الى جمعية الدفاع عن حقوق الحيوان لكي يحافظوا عليه، وبعد ذلك كتبت الصحف عن هذه الحادثة بالعناوين البارزة: إن ضمير الأوربيين والبيض بلغ درجة من السمو حتى صار لا يطيق كسر رجل طائر، لكن الأوربيين انفسهم هم الذين يقتلون الناس في مناجم الفحم الحجري جماعات جماعات بالغازات السامة ويدفنونهم هناك، وهم أنفسهم الذين يثيرون الحروب ويسفكون الدماء في أرجاء العالم كله.

ان لديهم مستشفيات خاصة لكلابهم، لكن لا وجود لمثل ذلك للاطفال الأفارقة الذين ينهب الاميركيون ثرواتهم هذه هي الفئة المدافعة عن حقوق الانسان في العالم.

تعامل الاسلام مع السود :

أمّا الاسلام، فما أن بدأت دعوته حتى وجد السود الافارقة ملاذاً آمناً في احضانه، وكان من اعتراضات مستكبري الجزيرة العربية على النبي (ص) أنهم كانوا يقولون له: ان الغلمان والعبيد أحاطوا بك فكيف نجلس نحن الى جنب بلال؟ أبعِدْ عنك هؤلاء العبيد لكي نؤمن بك. وقد أحدث النبي (ص) وضعاً لم يدع أحداً يجرؤ على أن ينظر الى هؤلاء السود نظرة احتقار، وحدث مرة أن خاطب أحد الصحابة الكبار رجلاً أسود طبقاً لتقاليد الجاهلية بالقول: «يا ابن السوداء» وكانت هذه العبارة مما يسب به أشراف قريش السود، وحين سمع النبي بذلك غضب غضباً شديداً حتى احمر وجهه وانتفخت اوداجه وقال لذلك الصحابي (ما مضمونه): تعساً لك، أتلوم مسلماً لأنه ولد من أُم سوداء، الا تستحي من ذلك؟

ويروى أن ذلك الصحابي الجليل ادرك عظم خطئه فوضع رأسه على الأرض وطلب الى ذلك الأسود أن يطأ برجله وجهه لكي يزول عنه تكبره.

هذه هي الثقافة التي اوجدها النبي، لقد ربّى من هؤلاء السود رجالاً تربية

لم يكن يصدقها أحد، أما الأوربيون والاميركيون الذين يزعمون أنهم بلغوا درجة راقية من الحضارة فانهم يقولون أن هؤلاء السود يساوي أحدهم اوربياً ازيل نصف مخّه، فنظرة الأوربيين الى استاذ جزائري مثلاً كنظرتهم الى شخص اوربي بسيط أُزيل نصف مخه.

تصرف امير المؤمنين (ع) مع رجل أسود :

حدثت للامام علي بن ابي طالب (ع) قصة مع رجل اسود أنقلها لكم كنموذج لهذا السلوك لكي تروا ما هو المقياس الذي وضعه الإسلام؟

كما تعلمون، جعل النبي الأكرم (ص) (أي الدين الاسلامي الحنيف) قيمة الانسان بالتقوى، لأن التقوى مقياس للأفراد وللحكومة أيضا ، أي إنه اذا كان حكام مجتمع معين يفتقرون الى التقوى فهم عاجزون عن مراعاة قيمة التقوى في العالم، فالتقوى مقياس فردي واجتماعي اينما حل فيه نقص أخل بالمجتمع، وفي كتاب بحار الأنوار رواية تقول: إن علي بن ابي طالب (ع) كان في المسجد مرة فجاءه رجل اسود وهو يبكي وجلس الى جانب الإمام على دكة القضاء وقال له: طهّرني، فسأله الامام عن سبب ذلك، فقال: إني ارتكبت ذنباً إذ سرقت فإني اريد أن تقيم عليّ الحد لكي انجو من جزاء يوم القيامة.

وقد حدث مرة في احدى الدول الأوربية (ويبدو أنها كانت فرنسا) أن ذهب عدد من الأشخاص الى المحكمة وقالوا إنهم مجرمون، واني اذكر كيف ثارت في حينها ضجة في الصحافة العالمية وحتى في الصحف الايرانية وقالوا انظروا كم بلغ الشعب الفرنسي من الرقي حتى صار المجرم يذهب بنفسه الى المحكمة. وهذه نقطة ايجابية لكن الأوربيين يكذبون، فأيديهم ملطخة بالجريمة ولن يعترفوا بذلك أبداً ، وهم يزعمون دائماً أن لهم فضلاً على الجانب المقابل، انهم يسرقون ويزعمون أنهم متحضرون، وهم يعرفون كيف يمررون هذه الدعايات على الناس، أما المتغربون لدينا والذين كانوا في عهد النظام السابق أحراراً في الوصول الى الصحف والكتب وغيرها من وسائل

الاعلام العامة، فقد كانوا يتبجحون بهذه الأمور أمام النـاس لكـي يـجعلوهم يرضخون للحضارة الغربية، إنَّ لدينا في الاسلام أموراً أروع بكثير مـن هـذه الاشياء ، لقد كانت عندنا قبل (١٤٠٠) سنة مشاهد كهذه لكننا نشهد في هذا الزمان أنه حين يقبل أسود للدراسة في جامعة آلاباما الاميركية فانهم يتلقونه بالبيض الفاسد والطماطم التالفة ثم يطردونه من الجامعة.

نعم، حين سأل الامام علي الأسود عما فعله، قال له: لقد سرقت (وكان ينبغي قطع يد السارق، لكن الاسلام لا يرغب في اقامة الحد الإسلامي بكثرة وقسوة وهناك عبارة مشهورةفي الفقه الاسلامي حول الحد يفتي كل الفقهاء على أساسها وهي: «تدرأ الحدود بالشبهات» أي لو ظهرت شبهة حول الذنب فعلى القاضي الاستفادة من تلك الشبهة والامتناع عن اقامة الحد) فاراد الامام علي (ع) أن يضعف اعتراف ذلك الشخص لكي لا يقيم عليه الحد، ولابد أن يراعى هذا المبدأ في قضائنا وعلى القضاة المطلعين على الموازين الشرعية ـ وكثير منهم مطلعون عليها ـ أن لا تقوم سياستهم على أسـاس السـعي لجـمع الملفات والاتيان بالشهود من الغيب لكي يثبتوا على أحد السرقة أو الزنى ـ نعوذ باللّه ـ ثم يقيموا عليه الحد، عليهم أن يلتمسوا أدنى شبهة ويمتنعوا عن اقامة الحد.

قال له الامام علي (ما معناه): ربما تكون على خطأ وكنت جائعاً فسرقت مضطراً، فقال: كلا يا مولاي، لم أكن مـضطراً بـل كـنت قـادراً عـلى العـمل والامتناع عن السرقة، فقال الامام (ما معناه): ربما سرقت من مكان ليس عليه حرز (لأن الحد لا يجري على السارق إلا اذا سرق من مكان عليه حرز ـ أي قفل ـ) فقال: كلا ، لقد سرقت من مكان عليه حرز، وهكذا طرح الامام علي (ع) كل احتمالات الشبهة، لكن ذلك الرجل نفاها كلها وقال: أنا سارق فاقطع يدي واني أصر على ذلك لكي لا يكون عقابي في الآخرة.

بعد ذلك قطع الامام يده كما أمر اللّه، فحمل ذلك الرجل يده المقطوعة وخرج من المسجد، فرأى ذلك المشهد احد المنافقين الأراذل من اعداء امير

المؤمنين وكان ينتظر سنوح فرصة لبث الدعايات ضد الامام، فتبع ذلك الرجل وسأله: «من قطع يمينك؟» فقال له الرجل الأسود: اتبعني لأخبرك، فجره الى حيث اجتمع القوم فكرر عليه السؤال فشرع الأسود بمدح الامام علي (ع) وقال: لقد ذهبت بنفسي الى المحكمة وأُقيم علي الحد برغبة مني، وإني ممتنٌّ من أمير المؤمنين (ع) إذ أقام علي حد اللّه، فأخبروا الامام وهو في المسجد أن ذلك الغلام الأسود يمدحه أمام الناس، فقال الامام لولده الحسن (ع) وكان حاضراً هناك (ما مضمونه): انطلق يا بني وات بعمك الأسود، وهكذا نرى كيف أن رئيس الدولة الاسلامية العظيمة يصف أمام الناس أسود تواباً أُقيم عليه الحد بأنه أخوه، فجاء الامام الحسن بذلك الرجل فقال له الامام (ع) (ما مضمونه): لقد قطعت يدك وأنت تمدحني، فقال له الرجل: يا مولاي، انك انجزت ما عليك وأسديت إلي افضل خدمة وإلا كيف كنت أجيب يوم القيامة حين أُسأل عن ذنبي هذا؟

وجاء في بقية الرواية أن الامام أشفق على ذلك الرجل فوضع اصابعه المقطوعة في مكانها ودعا اللّه فعادت الى ما كانت عليه، (وهذا الأمر لا يثير العجب لأن أدعية أئمتنا كانت مستجابة فكانوا يعملون هذه الأُمور بكل سهولة لكن ذلك لم يكن امراً عادياً في حياتهم اليومية) هذه القصة الرائعة التي تدل على التربية الاسلامية والمستوى السامي لشعور رجل أسود. وطريقة تعامل الحكومة الاسلامية مع السود يعجز عن تحمّلها الغربيون المتجبرون الذين يدَّعون اليوم الدفاع عن حقوق الانسان، الى هنا أخرج من هذا البحث بنتيجة تقول: ان العنصر الأوربي الأبيض قد ارتكب أسوأ انواع الظلم وأشدها قسوة خلال الاعوام الخمسمئة الماضية بحق العنصر الأفريقي الأسود، وما يزال ذلك مستمراً بشكل جديد، ومايزال الاستعباد الذي كان في الماضي مستمراً الى اليوم خلف واجهة «الانتداب» مع تلك السرقات نفسها.

هؤلاء لا يحق لهم أن يدّعوا الدفاع عن حقوق الانسان، انهم يكذبون في ادعائهم نصرة حقوق الانسان، وحين يحل يوم يوافقون فيه على التعامل مع السود والبيض بطريقة واحدة فعندها نصدق أنهم يدافعون عن حقوق الانسان.

الخطبة السادسة

الجمعة: ١٣٦٣/٥/٢٦ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» (النحل / ٩٠).

الاستناد الى مزاعم وهمية :

قلنا في الخطب الماضية إن الأعوام الخمسمئة الماضية التي مرت على العالم تعدُّ حقبة تسلط الاستكبار الغربي على شعوب القارات الأخرى حيث نجد جذور هذا التسلط في اوربا، فآسيا وافريقيا واستراليا وأمريكا كانت كلها مسرحاً لهذه الحركة الظالمة خلال القرون الخمسة الأخيرة، والفلسفة التي يطرحونها لتبرئة انفسهم هي التفوق العنصري مستندين في ذلك الى زعم وهمي يقول: إن الجنس الأبيض والآري يحمل في ذاته تفوقاً يعطيه الحق في قيادة قافلة البشرية، وان المميزات الطبيعية هي التي تمنحه الحق في التمتع بمكاسب في ميادين الحياة والسياسة والاقتصاد والحكم وغير ذلك، هذه هي خلاصة بحوثنا السابقة، وقلنا: إننا في مقابل ذلك نجد رأي الاسلام الذي لا يمنح هذا الحق لأي عنصر من العناصر، بل يرى البشرية كتلة واحدة، ويرفض فكرة العنصر الأفضل، ويعطي حق الافضلية للناس وفق محاور خاصة تقوم

على كفاءاتهم المكتسبة التي يمكنهم الحصول عليها بالعلم والعمل والتقوى والسعي، ولا يعطي سيادة طبيعية لأي انسان على آخر وقد نظّم تعامله مع سائر الشعوب وفق هذا الأساس ثم اوضحت أن هذا البحث ضروري جداً للجمهورية الاسلامية والثورة الاسلامية التي نتحدث عن تصديرها، ونعتبر أنفسنا حملة الرسالة الإلهية، ومفسري الاسلام في العالم المعاصر المليء بالضلالات، ومع أن هذا البحث لا ينفع كثيراً في داخل البلاد لكن من شأنه أن يكون نافعاً ومنيراً للطريق أمام المسلمين الذين يتطلعون الى الاسلام في خارج ايران أي الذين هم في القارة الهندية وأفريقيا وأقصى بقاع العالم، لذلك اخترت هذا البحث كواجب من واجبات خطيب صلاة الجمعة في عاصمة الجمهورية الاسلامية.

لقد ذكرت ما فعله الأوربيون بالشعوب الأُخرى خلال الأعوام الخمسمئة الأخيرة أي بعد عصر النهضة الثقافية مع كل ادعاءاتهم الكاذبة وما يحدث في داخل أمريكا التي هي اليوم تجسيد لاوربا الأمس، والجرائم التي ارتكبت في القارة الأفريقية.

الإستعمار أسوأ ظواهر التاريخ البشري :

ان الشكل الجديد من الاستعمار الذي يسود العالم ويسود العلاقات الدولية منذ ثلاثة قرون أو أربعة يعد أسوأ ظاهرة في التاريخ البشري منذ عهد سيدنا آدم وحتى اليوم، وهو أسوأ حتى مما حدث في عهد تسلط المغول، وقد يعجب الذين يسمعون هذه العبارة فيقولون: كيف يمكننا أن نجد أسوأ من تسلط المغول مع كل ما ارتكبوه من جرائم وسفك للدماء؟ فلو درس أحدهم العلاقات على ظاهرها الانساني الذي يدّعيه هؤلاء فلربما لا يصدق هذه العبارة، لكننا لو تعمقنا في هذه الأمور فلابد من القول إن أبشع حقب التاريخ الانساني منذ القرون الأولى وحتى اليوم تتمثل في هذه القرون المعدودة الأخيرة التي تسلط فيها الأوربيون على سائر أرجاء العالم، ومارسوا أعمالاً

ظالمة، ومايزالون يمارسونها، وهذه عبارة مثيرة جداً تمثل بالضبط النقطة المعاكسة لريادة قافلة الحضارة التي يزعمها الأوربيون لأنفسهم، والذي ينبغي قوله هنا هو أن الاستعمار ليس أمراً ينحصر بهذا اليوم أو بالأمس، فمنذ أن وجد في العالم قوي وضعيف، وانقسم الناس الى فئتين: قوية وضعيفة، أو مستكبرة ومستضعفة، وكان هناك شكل من اشكال الاستعمار أي استغلال الآخرين وتضييع حقوقهم بشكل من الأشكال، لكن الاستعمار الجديد هو نوع خاص رتبته الدول الأوربية خلال القرون الأخيرة مع تلك الأصول والأسس والفروع والمزاعم. وهنا تكمن المشكلة، فإن استعماراً بهذه الابعاد الهائلة من التجبر والظلم والنهب والسلب لا يمكن العثور عليه إلا في هذه الحقبة التاريخية وحسب، فهذا الشكل لا يمكن مقارنته مع ما نعرفه عن الأزمنة الغابرة من معيشة الغابات والهجمات التي كانت تشن على الأقوام الأُخرى، ونحن لا نعلم ماذا سيؤول اليه الحال في المستقبل.

وهناك مرحلتان محددتان تقسمان هذه الحقبة التاريخية الى قسمين: احداهما حديثة جداً ومازال نعيشها، والأُخرى استمرت قرنين أو ثلاثة وانتهت بعد الحرب العالمية الثانية تقريباً، فالمرحلة الأولى التي كانت واسعة وطويلة هي مرحلة الاستعمار الرسمي والمرحلة الثانية ماتزال مستمرة منذ عام ١٩٤٥ أي قبل نحو اربعين سنة، وهذا هو الأسلوب الجديد من الاستعمار والذي يحتاج الى شيء من التفصيل الذي سأذكره لاحقاً.

ماذا يعني الاستعمار؟

لابد أن يتوضح معنى كلمة الاستعمار قبل أي شيء آخر، ففي اللغة الفارسية وفي أدبياتنا لا نملك كلمة للدلالة على هذا المعنى وهذه الكلمة (أي الاستعمار) عربية جاءت من العمران وتعني الإعمارأيضاً، فمن يسعى من أجل العمران والإعمار يمكن أن نطلق عليه هذه الصفة، أمّا لماذا استخدم العرب هذه الكلمة فاستخدمناها نحن بعدهم، فهذا أمر غير واضح كثيراً، وأصلها

اللاتيني «كولون»التي كانت باللاتينية القديمة «كلينار» وقد اخذ هؤلاء كلمة «كـولوني» مـن الفـرنسية، ويـقال إنـهم كـانوا يـطلقون فـي البـدايـة اسـم «كولونيسپ» على المهاجرين الذين كانوا يهاجرون بشكل جماعي ويعمرون منطقة خالية من السكان ويطلقون على تلك المنطقة اسم «كولوني» فكانوا يعبرون عن هذه العملية بكلمة «كولونياليسم» الى هنا وهذه الكلمات تتمتع بأبعاد عادية ولا شيء فيها، وكانت هذه حقيقة واقعة أي كان الأمر على هذا الحال دائماً. فكلما ازداد عدد السكان في منطقة ما وكان هناك مكان خالٍ في بقعة أُخرى انبرى بعضهم وهاجر اليها مـن أجـل تـربية المـواشـي والزراعـة والتجارة والملاحة والأُمور الأُخرى، وكانت هذه العملية على هذا النحو تقريباً في بدايتها، أي منذ أن رأى الأوربيون أن منطقتهم قد ضاقت عليهم ولم تؤمّن معاشهم ففكروا في الهجرة الى مناطق أُخرى من العالم تستطيع ان تسـعهم، وحين نجحوا في احـتلال البـحار وامـتلاك الأسـلحة النـارية وعـبور البـحار والوصول الى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية واميركا كلها؛ بدأت هذه الأُمور واختاروا مستعمرات في بقاع العالم المختلفة وكانوا لايدخلون البـلدان فـي الأيام الأولى بل يظلون على السواحل ويقيمون العلاقات من هـناك، حـتى اكتسبت الأُمور طابعاً معقّداً خلال هذه القرون المعدودة حتى صارت تاريخاً عجيباً في عالمنا، وتوسعت هذه العملية شيئاً فشيئاً حتى دخلوا منازل الناس ووصلوا الى كل ارجاء العالم تقريباً، اذ لا يمكننا القول إن هناك بقعة لم تطأها أقدام هؤلاء ، فمثلاً كانوا يتحركون من بلد صغير مثل هولندا أو البـرتغال أو غيرها من البلدان التي تساوي مساحتها مساحة محافظة من محافظات بلادنا فيعبرون المحيطين الأطلسي والهندي ويصلون المحيط الهادئ ويسـتعمرون الناس على سواحله، وقد يعجب أحدنا ويخطر بباله سؤال يقول: لماذا فـعل هؤلاء ذلك؟ وكيف اكتسبوا هذه القدرة حتى صار الانكليز يـفتخرون بـأن الشمس لا تغيب عن امبراطورية انگلترة وهو ما كان حقاً فأين ما كان هناك نهار في مكان من العالم كانت امبراطورية انگلترة قد وصلت إليه، وهـؤلاء

كانوا في الصين والأرجنتين وسوريا والهند والمناطق الأُخرى أيضاً، وكانت الكرة الأرضية في أيديهم مثل كرة كبيرة. فأينما كان فيها نهار كان هناك العلم الانكليزي ومنطقة خاضعة لنفوذ ملكة بريطانيا العظمى، وكان هذا الامر يعتبر من مفاخرهم.

تغيير شكل الاستعمار في الأعوام الأخيرة:

ثم صارت هذه التسمية قبيحة حيث استيقظت الشعوب وكان لابدَّ من تغيير شكلها، وهناك قضية محفوظة في اذهان الكثير من الناس لاسيما من زار منهم اوربا والذين شاهدوا عنها افلاماً كثيرة وسمعوا عنها قصصاً كقصة ماركوبولو القديمة فانهم تنتابهم اليوم حالة من الغبطة وهناك صورة في اذهان الناس عن اوربا بأنها عامرة فحين يذهب المرء الى هناك يرى أن كل المناطق متصلة ببعضها بالطرق الحديثة ذات المسارات المتعددة وأن قراهم معبدة طرقها في الداخل والخارج وأن شبكات انابيب المياه الصالحة للشرب وصلت كل مكان، وأن كل الموانئ فعالة وانهم اعتنوا بسواحل البحار وسائر الاماكن وهم يستغلّون كل متر من الأرض، فحين يرى المرء أن كل شيء هناك يبهر الأبصار والمزارع منظمة ووسائط النقل كذلك، وحين يرى الأراضي والجبال والبحار والغابات وغيرها عامرة كلها، والناس كلهم يستخدمون الطاقة الكهربائية، ووسائط النقل في غاية من الجودة والعطل والنزهات جيدة، والصحة والسلامة في درجة جيدة، والمستشفيات متوفرة في كل مكان، ولو القينا نظرة على البلدان المتخلفة لرأينا عكس ذلك تماماً أي كل شيء خرب ومبعثر، فعند ذاك تبرز في ذهن الناس حالة خاطئة لاسيما الاطفال والشبان والذين لم يتقدموا في العمر كثيراً حيث يتصورون أن لابد أن هؤلاء الناس يتمتعون بكفاءة معينة لذلك تقدموا هكذا في برهة من الزمن، ولا يبحثون عن جذور هذه القضية وعن سبب هذا التحول الذي طرأ هناك، وأصل القضية أن الوضع كان قبل اربعمئة أو خمسمئة سنة بشكل جعل كل ثروات العالم من

الماس والذهب والعاج والمعادن الثمينة التي يطول النقاش الآن لتحديد قيمة الغرام الواحد منها، وكذلك الامكانيات الأُخرى تجمع من ارجاء العالم وتبنى بها أوربا، وأن أُسس هذه البلدان أُقيمت في وقت لم يَدعوا فيه الشعوب الأُخرى تفكر في هذه الأشياء ، فالطرق والسكك الحديد والأنفاق واستخراج المعادن وكل هذه الأشياء التي علينا اليوم انفاق الكثير من الدولارات لبناء متر واحد منها، بناها هؤلاء في ذلك الزمان من امكانياتنا وهم لا ينفقون اطلاقاً اليوم الأموال التي ننفقها نحن لبناء بلادنا، إنهم لا ينشئون الموانئ والسواحل والطرق ومحطات الكهرباء إطلاقاً، وقد انجزوا كل الأعمال الأساسية في وقت استفادوا فيه من امكانيات الآخرين بصور مختلفة، والمرء الذي لا يملك عمقاً كبيراً حين ينظر الى ذلك اليوم فلربما يصبح من المتأثرين بأوربا أو اميركا ويشعر بالحقارة تجاه شعبه وقومه وعنصره وأرضه، ومما يؤسف له أن هذه الحال سائدة لدى شعوب البلدان التي جُعِلت متخلفة، ولا يمكن القضاء عليها، فالشعوب لديها هذه الحال، ومازال هذا السيل من الثروة يتدفق من هذه المنطقة الى هناك فيما يتدفق فقدان الثروة من هناك الى هذه المنطقة وهي عملية تصاعدية منذ أن بدأت وحتى الآن، ولم تدخل المسيرة التنازلية بعد.

وضع بلدان العالم بعد الحرب العالمية الثانية :

في عام ١٩٤٥ أي بعد الحرب العالمية الثانية عقد في مدينة سان فرانسيسكو الاميركية مؤتمر لدراسة شؤون الدين فلم تستطع المشاركة في ذلك المؤتمر من قارتي افريقيا وآسيا سوى إحدى عشرة دولة مستقلة أي ثلاث دول أفريقية مستقلة وثماني دول آسيوية مستقلة. أما بقية بلدان العالم فقد كانت مستعمرات بشكل رسمي. (وساشرح لكم معنى المستعمرة فيما بعد لتعرفوا كيف تعيش شعوب المستعمرات) فقد كانت اوربا وجزءٌ من أميركا مستقلاً وكذلك تلك الدول المستقلة المعدودة التي نمتنع عن ذكر اسمائها واحداها مثلاً ايران التي لم تكن مستعمرة لكننا نعلم جيداً مدى استقلالنا في

حينها.

فبلد مثل الهند التي يقال إن عدد سكانها بلغ الآن ستمئة مليون نسمة أو سبعمئة، وبلد مثل الصين التي بلغ عدد نفوسها الآن ملياراً من السكان كانتا مستعمرتين لجزيرة صغيرة في المحيط الأطلسي تدعى انكلترة وهي جزيرة مساحتها خمسون أو ستون ألف كيلو متر مربع ـ ولو أضفنا إليها اسكتلندة وايرلندا فسوف تكبر قليلاً ـ وعدد سكانها أربعون أو خمسون مليون نسمة، بلغوا الآن ستين مليوناً. وكان عدد نفوسهم في ذلك الزمان أقل من هذا بكثير وعلى مساحة من الارض صغيرة جداً، فكانت تسيطر على كل هذه المنطقة التي ذكرت منها الهند والصين على سبيل المثال، وكان اكثر من مئة بلد وآلاف الجزر وكل هذه المناطق في العالم مستعمرات للدول الاستعمارية، فكان لدول مثل انگلترة وفرنسا عددٌ كبيرٌ من المستعمرات، وكان لدول مثل البرتغال وهولندا وألمانيا عددٌ أقل، وكانت اوربا مع كل هذا الذي فيها من نعم ورفاه ومع كل هذا الذي تدّعيه اليوم من الدفاع عن حقوق الانسان ومساعدة الضعفاء الذي تتبجّح به احياناً، وزعمها اعمار المناطق الأُخرى كانت في زمن من الأزمنة ترتزق على مائدة البشرية الممتدة في ارجاء العالم، وكانت تجمع كل هذه الثروات الطائلة وتبني بلادها وتدمّر البلدان الأُخرى، وسوف اشير فيما بعد الى وثائق هذه الأقوال واثبت كيف كان يتصرف هؤلاء مع الشعوب، وماذا كانوا ينهبون ومايزالون ينهبونه، ولم يتغير من ذلك إلا الإسم وحسب.

مزاعم الاستعمار:

ماذا فعل هؤلاء لإعمار تلك المناطق؟ وكم من الثروات نهبوا؟ حين ينظر المرء الى قائمة الاشياء التي نهبها هؤلاء تخنقه العبرة ويود أن يبكي من اعماق قلبه ويلعن هؤلاء الذين يرون كيف تعيش البشرية في تعاسة وشقاء ثم يريدون اشباع انفسهم بتدمير الشعوب.

افرضوا مثلاً شخصاً يدخل باحة الجامعة هذه التي جلست فيها كل هذه

الجماهير في هذا الجو الحار، ثم يلحق الأذى بهذه الجماهير ويسخر منهم من أجل راحته وسلامته، فانظروا اي شعور ينتابكم تجاه ذلك الشخص؟ وهكذا فعل الأوربيون بسائر مناطق العالم، فعندنا الآن اكثر من خمسين بلداً مستقلاً في افريقيا، وعشرات البلدان المستقلة في آسيا، وعشرات البلدان المستقلة حديثاً في اميركا اللاتينيةوعندنا مئات الجزر الصغيرة والكبيرة في المحيط الهادئ والأطلسي والهندي وفي ارجاء العالم المختلفة، وهذه البلدان كانت تعد من البلدان الأوربية، أي كان لهؤلاء وزارة في بلدهم تدعى وزارة المستعمرات، وكان وزير المستعمرات يعين للبلدان المستعمرة حكاماً كما يعين وزير الخارجية الآن سفراء الى البلدان المختلفة، وكان أولئك الحكام يذهبون الى البلدان التي يعيّنون عليها فيحكمونها ويأخذون كل ما يجدونه هناك ينفع بلدهم ويجلبون لمستعمرتهم كل المعدات التي لم تكن تنفع بلدهم أو الفائضة عن الحاجة فلم تعد ذات نفع، فكانوا يأخذون مثلاً النفط والخشب والعاج وجوز الهند والقهوة والكاوچك والماس والآثار والأعمال الفنية والمفروشات الثمينة. ولو وجدوا انساناً ذا قابليات جيدة أخذوه كيدٍ عاملة جيدة، وكانوا يسلكون هذا السلوك مع بلدان العالم كلها، وفي المقابل كانت مصانعهم تنسج الأقمشة والألبسة وتنتج مستلزمات المعيشة بأي شكل يشاؤون ثم يرسلونها الى تلك البلدان، وكانوا يقررون لشعوبها ما يستهلكونه، ويقرّرون أسعار بضائعهم كما يشاؤون ، هذا هو معنى المستعمرات.

والاستعمار! هذه الكلمة الجميلة جداً التي تفوح منها رائحة العمران والإعمار ؛ تستخدم للتدمير هكذا، وبعد أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، خلقت ظروفاً جديدة وتعززت القوى التحررية في العالم، فشعر هؤلاء أنهم لم يعودوا قادرين على إدارة تلك البلدان بشكل رسمي من جزيرة انگلترة، أو قصر الايليزيه، أو الأماكن المشابهة، فاجتمعوا وأقرّوا قانوناً دولياً يقضي باستقلال البلدان المستعمرة كافة فخلقوا بهذا القانون حالة جديدة لا تسخط فيها الشعوب ولكن يبقىٰ معها الوجود الاستعماري في تلك البلدان، وهذه

الحالة الجديدة، هي الاستعمار الحديث الذي سنتحدث عنه فيما بعد.

تعامل الاسلام مع البلدان المختلفة :

وفي مقابل هذه الجرائم يمكننا تصوير تعامل الاسلام مع الشعوب الأُخرى، فالاسلام لا يسمح مطلقاً بأن يأتي بلد باعتباره منتصراً أو عنصر باعتباره متفوقاً فينقضَّ على شعوب البلدان الأُخرى وينهب ثرواتها ويسد حاجاته منها، فهذا يعد من ابشع الأعمال في نظر الاسلام ولو كانت تلك الشعوب كافرة، واني أذكر هنا مثالاً أو مثالين على هذا التعامل، وسوف نأتي في البحوث القادمة بمزيد من الوثائق والشواهد على ذلك لكي تفهم شعوب العالم أية عدالة يمكن أن تقوم في المجتمعات البشرية لو سادت الحضارة الاسلامية بمعناها الحقيقي العالم يوماً ما ، فهناك نقطتان في حياة النبي (ص) لم تفسرا بعد واني اذكرها كوثيقتين وسيتم شرحهما فيما بعد إن شاء اللّه، فقد حدثت عند فتح مكة وبعده وفي معركة حنين امور يمر بها المؤرخون أحياناً لكنهم يعجزون عن تفسيرها مع أن بعضهم أشار اليها اشارات عابرة.

فالعفو والصفح الذي مارسه النبي الأكرم في مكة، وتقسيمه الغنائم بعد معركة حنين؛ من الأُمور الرائعة جداً، فمكة خلقت اكثر المتاعب لرسول اللّه طوال حياته، حيث تعرض النبي الأكرم (ص) لكل ذلك الأذى طيلة مكوثه فيها وحين هاجرها الى المدينة واتخذ منها عاصمة للاسلام كان مركز العداء للنبي الأكرم والتحريض عليه في مكة حيث كانوا يحرضون عليه القبائل والافراد ويثيرون الحروب ضده.

عفو مكة :

حين فتح النبي الأكرم (ص) مكة كانت كل أرجاء الجزيرة العربية تتوقع أن تسوّى مكة مع الأرض ويسلب أهلها ويدفعوا غرامة الجرائم التي ارتكبوها خلال الأعوام العشرين الماضية ضد النبي الأكرم (ص). لكن سلوك النبي

الأكرم مع أهل مكة كان على خلاف ذلك، إذ لم يتصرف كقوة منتصرة، إقرأوا تاريخ حروب العالم، وطالعوا تاريخ حروب تلك الفترة، ثم اقرأوا تاريخ حروب النبي الأكرم (ص)، لقد كانت سُنّة الحرب وقانونها في ذلك الزمان أن المنتصر يأسر كل المنهزمين ويتملّكهم فتصبح الاناث إماءً والذكورُ عبيداً، كما يتملك كل أموالهم ويفعل فيهم ما يشاء.

فالمدينة التي صرفت طوال ثماني سنوات كل ما تملك من أجل الاسلام، وكانت ترى أن مكة هي مصدر كل تلك المتاعب والبلايا، كان عليها الانتقام من مكة حين انتصرت عليها، واسترجاع ما تحمّلته من مصاريف وخسائر، والتعويض عن الجنود الذين فقدتهم من أهل مكة، لكن النبي الأكرم (ص) لم يسمح بأدنى تعرّض لأموال أهل مكة وأعراضهم مما اذهل المراقبين كلهم.

وبعد فتح مكة تمرّدت على النبي (ص) قبيلتان هما: هوازن وثقيف، وكانتا من القبائل المتغطرسة والغنية في تلك المنطقة، وخدعتا قبيلة سعد التي كانت تربطها بالنبي الأكرم (ص)، علاقة رضاعة، فجاءت هذه القبائل الثلاث الى خارج مكة بثلاثين ألف مقاتل مع عدة كثيرة جداً فألفت جيشاً لم يحارب النبيَّ (ص) مثلُهُ حتى ذلك الزمان، فعسكر ذلك الجيش واستعد للحرب، فأعد النبي لقتالهم نحو اثني عشر ألف مقاتل، حيث يقول القرآن المجيد عن جيش النبي الأكرم (ص): ﴿اعجبتكم كثرتكم﴾[1] فتوجّه النبي (ص) لقتالهم فوقعت «معركة حنين» التي مني فيها جيش المسلمين في البداية بهزيمة مؤقتة بسبب كمين العدو وفرار بعض اصحاب النبي (ص) وبعد ذلك مباشرة شن رسول اللّه (ص) هجوماً جديداً على الأعداء فهزمهم وفر رؤساؤهم الى الطائف واما كن أُخرى فغنم النبيُّ (ص) كل ما يملكون وهو أربعة وعشرون ألف بعير واكثر من أربعين ألف رأس من الغنم وكميات كبيرة من الفضة وسائر مستلزمات المعيشة وهي غنائم كثيرة جداً لم يحصل النبي على مثلها في كل حروبه، كما أسر منهم

---

١ - سورة التوبة، الآية: ٢٥

ستة آلاف مقاتل.

وهنا تصرف النبي الأكرم (ص) تصرفاً انتقده عليه المقربون اليه يومها، فقد كانت بين قبيلة سعد امرأة تدعى حليمة السعدية التي كانت مرضعة الرسول (ص)، فطلبت ابنة أخت حليمة السعدية ـ واسمها شيماء وهي اخت النبي الأكرم (ص) من الرضاعة ـ أن تلتقي به ثم جاءت اليه وحين رآها النبي وعرف أنها أخته من الرضاعة قام من مكانه وفرش لها عباءته واجلسها عليها ورحب بها كثيراً.

وجاء في بعض التواريخ أن شيماء شفعت لقومها، وجاء في بعض آخر أن جماعة جاؤوا من الطائف الى النبي (ص) يستشفعونه ويطلبون منه أن يعامل اسراهم برأفة ، فصفح عنهم النبي (ص) وخيّرهم بين استرداد الاموال والأسرى، فاختاروا استرداد الأسرى، ثم تنازل لهم النبي (ص) عن حصته وحصة عبدالمطلب، فقال المهاجرون ونحن نتنازل أيضاً عن حصتنا، وكذلك قال الأنصار وغيرهم من الفئات. لكن بعض الفئات لم تتنازل، ولم يكن وضع الحرب والغنائم في حروب صدر الاسلام كما هو الآن، فالذين كانوا يقاتلون كانوا يدفعون نفقاتهم بأنفسهم، ويأتون بالأسلحة الخاصة بهم، وكان بعضهم يتبرع بالأموال والدرع والسيوف لغيره، وخلاصة القول إن الحروب كانت تدار بأموال الناس. فكانت الحكومة تعطيهم الغنائم في مقابل ذلك بعد أن تأخذ خمسها فكانت تقسم الباقي عليهم كما نص عليه الفقه الاسلامي، وكان النبي قد قرر أن لا يأخذ تلك الأموال الى المدينة، وحين يتمعن المرء اليوم في هذا الأمر يجده في غاية الروعة، فلو تقرر أن تصرف تلك الغنائم على أهل المدينة (الذين انفقوا خلال سبع سنين أو ثماني سنين كل ما يملكون من أجل الاسلام ولم يشتغلوا بحرفة ولا بتجارة، ولا ادخروا شيئاً من المال، بل كانوا ينفقون كل ما كانوا يحصلون عليه من أجل حروب الاسلام الدفاعية) لكان من حقهم أن يأخذوا شيئاً من تلك الغنائم ويعوّضوا به شيئاً مما فقدوه، وحين قسم النبي الأكرم (ص) الغنائم لم يعط الانصار ـ الذين كانوا أقرب اصحابه اليه ـ منها

شيئاً، فأحدث هذا الأمر انفجاراً في معسكر النبي (ص) وفي المنطقة بأسرها، حيث قسم النبي معظم الغنائم على «المؤلفة قلوبهم» من بين قبائل العرب، والقضية الأساس في هذا الأمر أن النبي الأكرم (ص) لم يكن يرغب في أن تجمع اموال أهالي القبائل والقرى والمدن الفقيرة في تلك المنطقة وتصرف في إعمار منطقة أُخرى، فالنبي الأكرم (ص) نفسه لم يأخذ من تلك الغنائم، ولا أعطى منها للانصار الذين كانوا أهل المدينة، ولا احتفظ بها في بيت المال، بل أعادها الى الناس ثانية. وقد جاء الى النبي (ص) أحد اصحابه وقال له: ان الناس غير راضين وقد قال بعضهم، إن النبي لم يكن يملك شيئاً حتى ولا إبرة خياط (وكان النبي (ص) قد طلب الى اصحابه ان يعيد الى بيت المال إبرة كان قد اعطاها زوجته لتخيط بها ملابسه) فقال له النبي (ص) فاجمع الناس لي، فجمعهم، فأتاهم رسول اللّه (ص) فقال: **«ما حديث بلغني عنكم؟ ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم اللّه بي؟ وفقراء فأغناكم اللّه بي؟ وأعداء فألّف اللّه بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى** واللّه يا رسول اللّه، وللّه ورسوله المنُّ والفضل. فقال: **ألا تجيبوني؟** قالوا: بماذا نجيبك: فقال: **واللّه لو شئتم لقلتم فصدقتم: أتيتنا مكذَّباً فصدَّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك. أوَجَدتم يا معشر الأنصارِ في أنفسكم في لُعاعةٍ من الدنيا تألّفتُ بها قوماً ليُسْلِمُوا ووكلتكم إلى اسلامكم؟ أفلا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول اللّه الى رحالكم؟ والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت آمرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعباً لسلكتُ شِعبَ الانصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.»** فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول اللّه قِسْماً وحظّاً، وتفرّقوا.

فعاد النبي الأكرم بيد خالية من بين بحر من الثروة التي كانت في ذلك اليوم ضرورية جداً لمجتمع المدينة، ففي ذلك اليوم كان كثير من اهل المدينة لا يملكون منازل لسكناهم وكان كثير منهم لا يملكون مستلزمات الزواج، وكان كثير منهم لا يملكون عند سفرهم أو عند الحرب بعيراً أو بغلاً أو سيفاً، حتى بلغ الأمر حين اراد النبي الخروج الى الحرب مرة (إقرأوا ذلك في سورة التوبة) أن

بعض الذين كانوا يريدون الخروج الى الحرب لم يكونوا يملكون وسائل النقل فبكوا وعادوا الى اماكنهم، أي أن النبي الأكرم (ص) كان محتاجاً من الناحية العسكرية أيضاً، لكنه مع كل ذلك لم يسمح بأن تنفصل أموال قبيلتي هوازن وثقيف من اطراف مكة وتتدفق على المدينة فتعمر المدينة وتخرب مكة، فالنبي لا يقبل بهذا الشكل من التعامل، وانها قضية في غاية السمو، ومما ينبغي قوله أني لم أجد بين الوثائق التاريخية نصوصاً عن النبي الأكرم (ص) تشير الى هذه النقطة بصراحة، لكن المرء يمكنه أن يفهم أن من أسرار هذا التحرك الذي قام به النبي الأكرم (ص) أن لا يسمح بإفقار منطقة لإغناء منطقة أُخرى بأموال هي أموالهم واموال المقاتلين أيضاً، وبتلك الصورة أدخل النبي الأكرم (ص) الطمأنينة الى قلوب الأنصار وأقنعهم بتلك الطريقة التي رأيناها، وبهذا التعامل يُوجِد خلافاً داخل معسكره ولكن في مقابل عدالة تقول بعدم جواز إفقار منطقة بسبب مجيء الاسلام إليها.

تقوى الحكومات:

ثم نرى هؤلاء الأوربيين ذوي المزاعم الكثيرة، يعطون العالم الاسلامي دروس العدالة وحقوق الإنسان، وبهذا الشأن سأتحدث في الفصول القادمة من احاديثي كيف أن هؤلاء لم يكونوا يتركون شيئاً في البلدان المستعمَرة، فكانوا ينقلون الى بلدانهم كل ما لفت انظارهم وجذب انتباههم، وبامكانكم اليوم مشاهدة كل الوثائق والمفاخر التي تخص الشعوب المستعمرة في متاحف اوربا، وبامكانكم أن تلاحظوا في شوارع اوربا ومتاجرها ومناجمها ومصانعها وبراريها وغاباتها وبحارها آثار ثروات الشعوب المستعمرة، هؤلاء يريدون اعطاء المسلمين دروس العدالة وفي المقابل يأخذ المسلمون حق الوحشية، ولديهم كل هذا الذي نراه من آثار الحضارة والانسانية، ثم يعتبر هؤلاء انفسهم رواد العالم، اننا نقول كجمهورية إسلامية وكمفسرين للاسلام وكمبلغين لرسالته الحقة الى العالم المعاصر: ان الدولة التي تريد خدمة البشرية وتدعو

الى الحكومة العالمية والتي حررت نفسها الى حد معين من التعصب القومي والعنصري والوطني واللغوي وصارت تسير وفق مبادئ البشرية والانسانية والمبادئ الاساسية للخلقة التي منحت للجميع بصورة متساوية، هذه الدولة وهذه الرسالة هي الجمهورية الاسلامية اليوم ومركزها في بيت الإمام ومجلس الشورى الاسلامي ومجلس أُمناء الدستور، ومع هذه الجماهير المجاهدة والمكافحة التي تدعو الى اقامة العدالة الاسلامية في كل ارجاء العالم.

والتقوى التي ينبغي الحديث عنها في البحث هي تقوى الحكومات لا تقوى الأفراد، وهي تقوى الرسالة وتقوى النظام الحاكم والمنتصر الذي ينبغي عليه أن يحذر من استخدام قوته وسلطته وامكانياته ونفوذه من أجل تضليل الشعوب الخاضعة لسيطرته وتضعيفها، واننا نرى هذه التقوى متمثلة في الاسلام وفي زعماء الاسلام الحقيقيين، ولهذا على جيراننا والذين يظنون أن الجمهورية الاسلامية ستنهبهم اذا فُسِحَ لها المجال يوماً ما، أن يتأكدوا أن هذه التقوى سائدة بين جيشنا وحراسنا ولا تسمح لنا بممارسة الظلم والتجبر ونهب اموال الشعوب الأُخرى ومصادرة كرامتها وثرواتها، بل اننا مستعدون في ظل تعاليم النبي (ص) ان نقدّم لكم من العون والمساعدة ما يسمح شعبنا بتقديمه، والتحرك من أجل خلاصكم كما تخلص الشعب الايراني.

الخطبة السابعة

الجمعة: ١٣٦٣/٦/٢ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله الأئمة المعصومين، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير»** (الحجرات / ١٣).

اكبر فضيحة وأسوأ خبث:

مربنا في البحث الماضي أن حكم العالم كله كان خلال القرون الأخيرة بشكل مباشر أو غير مباشر في ايدي تلك الدول الأوربية المعدودة، وان الاستعمار بشكله الأوربي يمثل على مسرح التاريخ البشري ظاهرة لم يكن لها حتى الآن مثيل في الخبث والخزي خلال أية فترة من فترات التاريخ البشري، وقد يدور في أذهان الجميع لاسيما الشبان سؤال يقول: كيف أمكن لفئة محدودة تسكن الجزر أن تكتسب كل هذه القدرة لكي تبسط هذه الهيمنة الجهنمية على سطح الكرة الارضية وفي كل ارجاء العالم، وأية أساليب استخدمها هؤلاء لتحقيق هذه الهيمنة؟ لكن الذين يعرفون الأوضاع الحالية ويرون هذه الهيمنة غير المرئية بل العميقة للاستكبار الذي لم يعد ينحصر في اوربا بل يشملها اضافة الى أميركا واجزاء من آسيا التي يسيطر عليها الروس، بامكانهم أن يدركوا جيداً كيف كان الوضع في السابق، لكنني فكرت في أن

اشرح باختصار اساليبهم تلك في تحقيق الهيمنة والسيطرة، وطرقهم التي ماتزال مستمرة بشكل جديد لكي نتمكن بذلك من أن نرسم لمستمعينا صورة عن الأمر.

وسائل الاستعمار:

لقد استخدم هؤلاء كثيراً من الوسائل والأدوات حتى اخضعوا هذه الشعوب لقيود العبودية، فكان تقدم اوربا اول وسيلة في ذلك وهذه حقيقة تدخلت فيها عوامل عديدة منها الحروب الصليبية وغيرها، على أية حال لقد سيطر هؤلاء على الطاقة الصناعية الحديثة في حينها وبالمستوى الذي كانت عليها في ذلك الوقت، فتقدموا على سائر الشعوب بخطوات معدودات، ولما لم يكن سائداً بينهم مذهب فكري بنّاء ليكبح جماح تلك القدرة وينظمها ويجعلها في خدمة البشرية، فقد استخدمت تلك الطاقة من أجل الظلم والجور والاستعمار والاستغلال والاستكبار، وبامكانكم أن تتصوروا بلداناً عدة لكل منها مساحة محدودة وعدد محدود من السكان، لكنها متقدمة على غيرها وتملك قدراً اكبر من الامكانيات انطلقت قبل نحو خمسمئة عام من أجل تحقيق اهدافها الاستكبارية المشؤومة، وكلما تقدموا ازداد هذا الطريق الذي اختاروه للسلب والنهب تعقيداً وعمقاً يوماً بعد يوم، وعززوا امكانياتهم اكثر بالتجارب التي حصلوا عليها من الماضي، فقد جرّب هؤلاء كل ما يخطر في بالنا اليوم من وسائل للتسلط فحافظوا على كل ما ينفعهم، وتخلّوا عن كل ما لم يكن مفيداً.

وكان أول شيء امتلكوه قوة السلاح، وقوة بحرية قتالية كانت تعتمد اكثر ما تعتمد على البحر، والأسلحة النارية التي اكتسبوا تجربة استخدامها ايضاً، ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن حيث مرت عدة قرون كانت اكثر أسلحة العالم تفوقاً عند هؤلاء دائماً، وكلما صارت تلك الأسلحة قديمة أو عرف الآخرون أسرارها، احتفظوا لأنفسهم بأنواعها الأكثر تقدماً وباعوا الأقل تقدماً منها الى

الآخرين، لقد كان هؤلاء متفوقين في مجال الاسلحة دائماً.

أما الأساليب التي كانوا يستخدمونها فتبدأ بالتجارة العادية التي كانت سائدة في العالم بين الشعوب والدول، وشراء الأراضي في البلدان التي كانوا يطمعون فيها، وابرام العقود طويلة الأمد، وشراء ذمم زعماء القبائل والعشائر والشخصيات المتنفذة والاقطاعيين الكبار والصغار، وإعداد عملاء يخضعون لحمايتهم، ومنح القروض للحكومات والشعوب التي كانت تعقبها اخطار كبيرة دوماً والحصول على مكاسب مما يمثل اهم اساليب الاستعمار الحديث، وتنتهي بإيفاد البعثات التبشيرية والمبشرين الاخلاقيين والدينيين وأمثالهم. هذه هي الأساليب التي خطرت ببالي فقط ولو ان شخصاً أراد أن يدوّن كل تلك الأساليب التي سجلها التاريخ لتكوّنت لديه قائمة طويلة جداً.

النهب هدف المستعمرين :

المهم في كل هذه الوسائل التي ذكرتها أن الهدف كان السرقة والنهب والتجبر والتسلط السياسي والاقتصادي، ولم يكن هناك أي هدف انساني إلا اذا كان من أجل تجميل وجوههم القبيحة، أوكان يحدث من قبيل المصادفة أن يكون أحد رجالهم إنساناً ذا ضمير حي. فيقدم بعض الخدمات لكن الاستعمار لم يهدف الى هذا الأمر، وكانت الصفات البارزة لتعامل الأوربيين مع الشعوب الاخرى في هذه الحقبة التاريخية تتمثل في العنف والكذب والخداع والاحتيال، وغيرها من الأمور التي ستمر بنا نماذج منها خلال البحوث القادمة، ففي البحوث القادمة سنشرح القروض على حدة، والأمتيازات على حدة، والبعثات التبشيرية وغيرها بشكل محدد ونتحدث عنها. فكل من هذه الأمور يحتاج الى خطبة منفصلة في الأقل، وستوضح بعض الأمور خلال البحوث، وبحثنا لهذا اليوم يدور حول القضايا العامة ومقارنتها بما هو لدى الاسلام.

لجوء الاستعمار الى الذرائع :

لقد كان هؤلاء يلجأون دوماً الى مثل هذه الذرائع التي ذكرتها اضافة الى ذرائع مرحلية متناسبة مع الزمان والمكان من أجل التسلط على منطقة من المناطق، وها أنا أشير الى نماذج من ذلك لكي يتوضح مسار البحث، وستطرح خلال هذه البحوث احداث كالتي وقعت في قناة السويس ولبنان والاماكن الأُخرى، وسيتوضح لكم حقيقة هذه الأحداث ونوعها والأهداف التي تكمن وراءها ، ان المرء حين يقرأ تاريخ الصين يلاحظ اموراً عجيبة، واني اذكر الصين من قبيل المصادفة فالوضع نفسه في ايران والهند ومصر مثلاً.

والصين بلد يقطنه مليار من السكان وهو ذو مساحة كبيرة بشكل ملحوظ، وقد شهد أعرق حضارات التاريخ وأعمقها حيث سادت افكار شخصيات مثل كونفوشيوس[1] ، ويعد تاريخ الصين فيما يخص علاقتها بأوربا خلال القرون القليلة الماضية مليئاً بالمآسي لدى الذين يفكرون بماضي الشعوب والانسانية، وإني انقل هنا حقبة واحدة من ذلك التاريخ تعرفونها انتم وهي قضية حرب الأفيون.

حرب الأفيون :

كان الانكليز قبل نحو مئة وخمسين سنة قد اعدوا خططاً للصين حيث كانوا يشترون منها الشاي وينقلونه الى منطقة البنغال وغيرها من المناطق الآسيوية ويبيعونه هناك، ثم يعطون للصين بضائع أُخرى من بينها الأفيون وهو أمر كانت تعارضه الحكومة الصينية، وقد كان للانكليز مناطق رسمية لتوزيع

١- وهو أشهر علماء الصين . ولد عام ٥٥١ قبل الميلاد وتوفي عام ٤٧٩ قبل الميلاد ، وهو الذي طرح مذهباً أخلاقياً يقوم على أساس الاخلاص للتقاليد الوطنية والقومية والاسرية . ويرى هذا المذهب وجود نوعين من الارواح في العالم وهما : الارواح النافعة والخيّرة والأرواح المضرة والشريرة ، وأن هذه الارواح هي السبب في سعادة الانسان أو شقائه ، ويعيش اتباع كونفوشيوس الذين يزيد عددهم على أربعمئة مليون نسمة في كل من الصين و بورما وكوريا وتايوان وغيرها .

الافيون لكنهم كانوا يوزعونه في ارجاء الصين كافة عن طريق التهريب أيضاً، فالسياسة الاستكبارية تقتضي استخدام هذه الوسائل لتخدير الشعوب وهي سياسة قديمة وماتزال مستمرة ولن يتخلوا عنها أبداً لأنها أسلوب لاستثمار الناس وإضعاف الروح الحماسية للبشرية، لذلك لن يتخلوا عنها بسهولة، لقد كان هؤلاء يستخدمون الأفيون والهيروئين والحشيشة وامثال ذلك من الاساليب المتقدمة للصناعة والفنون العلمية من أجل تخدير الذين كانت لديهم قابلية للتحرك، وانهاك قواهم. فكانوا يلجأون الى بث هذه المخدرات وإشاعتها في اوساط المثقفين والأُمراء ومراكز السلطة وفي مراكز التجمعات الشعبية كالمقاهي التي كانت السياسة تنطلق منها في السابق.

وهكذا وزع الانكليز الأفيون على نطاق واسع في الصين (والذي اعرفه من مطالعاتي أن ثلاثة حروب افيون وقعت في الصين وهذه هي احداها حيث وقعت بين عامي ١٨٢٠ و ١٨٣٠ أي قبل نحو مئة وخمسين سنة) وارادت الحكومة الصينية أن تقاوم انگلترة فاعتقلت عصابة لتهريب الافيون واحتجزت اعضاءها، فأعلنت انگلترة الحرب على الصين وأرسلت قوتها البحرية (وكانت تملك قوة بحرية كبيرة في آسيا أيضاً) واحتلت احد موانئ الصين المهمة وهو ميناء هونغ كونغ الذي ماتزال تسيطر عليه وفرضت على الصينيين اتفاقية تانغينك وبعد ذلك احتلت خمسة موانئ صينية أُخرى وبسطت نفوذها الى داخل الصين ولذلك قصة مثيرة جداً، انظروا كيف تعطي قضية بسيطة (وهي القبض على عصابة تهريب) ذريعة لدولة لكي تهين بلداً مثل الصين بهذا الشكل، وبعد ذلك ابتزوا الصينيين حتى عام ١٨٨١ بعقد أثنتي عشرة اتفاقية مفروضة عن طريق فرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وايطاليا وبعض الدول الاوربية الأُخرى وحتى پيرو، واضافة الى ذلك فُرِضت اليابان وروسيا على الصين أيضاً، وهكذا صار حال هذا البلد الكبير الذي كان قادراً على أن يتحول الى أهم قوة في العالم بسبب عدد سكانه ومساحته الواسعة، مما أدى الى حدوث ثورة هناك وقضايا أُخرى، وإننا نجد نموذجاً لذلك في بلادنا

ايضا، ففي عهد ناصر الدين شاه كانت افغانستان تابعة لنا ولم تكن لتلك البلاد هوية مستقلة على الإطلاق، ولما كان السوفيات قد سيطروا بمعاهدة تركمن شاي على عدد كبير من مدن ايران فقد أراد الانكليز أيضاً أن يقتطعوا شيئاً من ايران فمارسوا الضغوط لكي نجلو عن افغانستان وكانوا يتحينون لذلك الفرص، فحدثت حادثة صغيرة حيث وقع شجار بين ميرزا هاشمي الذي كان يعمل في السفارة الانكليزية، ورجال الحكومة، فاتخذت انكلترة ذلك ذريعة وقطعت علاقاتها بايران، وأصدرت في العام التالي اوامر لبحريتها فاحتلت بوشهر وهددت خرمشهر وقالت اخرجوا من افغانستان لكي لا نتقدم اكثر، هذه كانت طبيعة هؤلاء.

وقد حدث هذا الأمر عام ١٨٥٨ تقريباً أي قبل نحو مئة وثلاثين سنة عندما لم نكن نحن من المستعمرات بل كنا بلداً مستقلاً وكانت ايران تعدّ احدى القوى العالمية حيث كانت تسيطر على العالم يومها عدة قوى هي الهند وايران والصين ومصر والدولة العثمانية، فسعى هؤلاء لدحر مراكز القوى هذه لكي لا يكون لها نفوذ في العالم.

أما الفرنسيون فقد ارسلوا الى الهند الصينية بعثة تبشيرية فتعرض اثنان من اعضائها للاهانة أو ضربهما الناس، فأرسلت فرنسا للانتقام لاهانة اثنين من القساوسة طلائع الاستعمار جيشاً الى الهند الصينية واحتلت سايغون وظلت تسيطر على الهند الصينية من عام ١٨٥٨ وحتى مئة سنة من ذلك تقريباً، إذ احتلت فيتنام وكمبوديا ولاوس وتايلند وسائر اجزاء تلك المنطقة حيث يقولون هم (أي الفرنسيون) أن مليوناً من أهالي تلك المنطقة قتلوا خلال هذه الفترة، وهم يقللون بذلك العدد كثيراً مع أن المليون عدد كبيراً جداً، فخلال ثورتنا وخلال هذه الحرب الواسعة وعمليات الأرهابيين السفاكين لم يبلغ عدد شهدائنا المئة ألف بل العدد أقل من هذا بكثير، فانظروا ماذا فعلوا بتلك المنطقة ليبلغ عدد القتلى مليون شخص حسب ما يقولونه هم، وفي الجزائر أيضاً يقال إن مليون شخص قتلوا، وقد بقي هؤلاء في الهند الصينية حتى أنزل

الفيتناميون آخر ضربة بهم في (ديان بيان فو) عام ١٩٥٤ وطردوهم بركلة، ثم جاء الاميركيون وحلوا محلهم فوقعت الحوادث الأُخرى.

ذرائع الجيش الالماني الخادعة :

وللألمان سوابق في هذا الأمر أيضاً، فقد تعرض قس ألماني للاهانة أو قتل في الصين، فأعدَّ ويلهالم قوة كبرى لمحاربة الصين انتقاماً لمقتل قس أو اهانته، وحين كان الجيش يستعد للرحيل حضر ويلهالم وخطب فيه وقال لقائده (وكان يدعى: جوزيف مارياآبن): أُوجز لك أوامري العسكرية في عدة عبارات هي: «لا تتسامحوا، لا تأخذوا أسرى وتأتون بهم، واستخدموا أسلحتكم بشكل لا يسمح لصيني أن يجرؤ على الوقوف في وجه جندي اوربي حتى مئة سنة أُخرى هذا هو منهج الجيش الذي أُرسِلُه الى الصين» . فجاء هؤلاء واحتلوا خليج كياشر وفرضوا اتفاقية امدها تسعة وتسعون عاما، واحتلوا بهذا الأسلوب اجزاءً واسعة من الصين بحجة الثأر لقس قتل أو أُهين، وحين اندلعت الحرب العالمية لم يعودوا قادرين على البقاء هناك، هذه هي ألمانيا وتلك هي فرنسا وانگلترة ، أما أميركا فلم تكن قد دخلت الميدان في ذلك الوقت بل كانت تعاني من مشاكلها الخاصة حيث كانت في طريقها للخروج من تسلّط الأوربيين.

السياسة الحربية في صدر الاسلام :

فانظروا الآن الى الفرق بين تعامل الاسلام مع الشعوب غير الاسلامية التي كانت تتورط في الحرب معه وما تطالب به الحضارة الاسلامية والحركة الاسلامية في العالم وتعامل هؤلاء وما يطالبون به، والذي اريد ذكره هنا متفق عليه تقريباً، فقد كان اسلوب النبي (ص) حين يرسل جيشاً أو جماعة للحرب او الدفاع أن يتحدث اليهم في البداية.

الحاجة الى التقوى :

في البدء كان النبي (ص) يوصيهم بتقوى اللّه، وكما قلنا مراراً فالتقوى تعد في الأساس قاعدة التحرك الاسلامي في الميادين العسكرية والاقتصادية والثقافية والتعليمية وفي العلاقات الأُسرية وفي كل مجال، أي إنها المقياس في أن يعيش الانسان حالة سليمة في كيانه تمنعه من الانحراف الى أي اتجاه كان أو الى الأفراط أو التفريط، ونحن نعبر عن ذلك بالتقوى، فأول ما كان يفعله النبي (ص) أن يذكرهم اللّه تعالى، لأن التقوى لازمة للجميع وهي أكثر لزوماً للعسكري، لأن الذي يحمل السيف أو البندقية ويضع اصبعه على الزناد فيتمكن من تدمير مدينة وقتل جموع من الناس يحتاج الى التقوى اكثر من الذي يحمل سكيناً أو الذي يملك متجراً أو الذي يزاول أعمالاً اصغر، واننا نحتاج الى التقوى في مجالات الحياة كلها، وقد كان النبي (ص) يؤكد على التقوى بشكل خاص حين يرسل الجيش ثم ينهاهم عن الاستحواذ على لأموال التي تقع في أيديهم في ميدان الحرب أي أن يتحلّوا بتقوىً مالية، ثم يقول لهم «ولا تمثلوا» أي لا تمثلوا بالذين يقعون في ايديكم ولا تقطعوا عضاءهم، ثم ينهاهم عن الخدعة لأنهم يحملون رسالة الارشاد (في حين كان ؤلاء يذهبون للدفاع، وكان النبي (ص) يسمع مثلاً أن فئة اجتمعت في مكان ا لتشن هجوماً أو تدبر مؤامرة، فحين كان يرسل جماعة لقتالهم كان ينهاهم ن الخداع والاحتيال) وكان يأمرهم أن يوجهوا دعوتهم بصراحة، واذا أراد ولئك أن يستجيبوا لدعوتهم فليمنحوهم الفرصة لذلك، وكان يأمرهم بقوله: ولا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا صبياً، ولا تحرقوا شجرة» وينهاهم عن إلقاء سم في مياه العدو وغير ذلك من الأمور العامة التي كان من الممكن أن حدث كلها في ميادين الحرب، هذه هي وصية النبي (ص) لمحاربيه، وتلك ي وصية الفئة الأوربية الى الجيوش التي ترسلها لاحتلال المناطق التي لم كن تحاربهم.

فأين الصين مثلاً وأين أوربا، فلو أردنا أن نرسم خطاً مستقيماً على الكرة

الأرضية يصل بين الصين والمانيا فسنجد كم هي طويلة المسافة بينهما، فعلى هؤلاء أن يعبروا المحيط الأطلسي ثم يجتازوا رأس الكاب ليصلوا الصين ويحاربوا هناك.

لقد كان النبي الأكرم (ص) يوصي بهذه الوصايا الذين كانوا يريدون التصدي للاعداء الذين تحرشوا به وهاجموه ، هذا هو الاسلام وذلك هو نظام حقوق الانسان الذي رفع لواءه هؤلاء اليوم وظلوا يتبجحون به امام الشعوب المظلومة والمغلوبة.

ظهور الحركات والانتفاضات :

كتب قائد ألماني يدعى «واكلوين» كان حاكماً للمستعمرات الألمانية في افريقيا طوال أحد عشر عاماً تقريراً يجدر بنا قراءته، وقد كانت ألمانيا امن افضل الدول الاستعمارية ومع ذلك جاء في التقرير: «إني الخص تجربتي التي استمرت احد عشر عاماً في أن الأنتفاضات تتصاعد وان هذا الاسلوب الذي نمارسه في المستعمرات لا يجدي نفعاً، فإما أن نعترف بضرورة منح العنصرين الأبيض والأسود حقوقاً متساوية أو اسمحوا لنا أن نبيد العنصر الأسود تماماً، فمادام هناك أسود واحد يعيش في افريقيا فاننا عاجزون عن الحفاظ على أمن مستعمراتنا» ، وقد شرح كاتب فرنسي شهير قبل عشرين سنة لعدد خاص من مجلة فرنسية ما فعله الأوربيون في آسيا وافريقيا فقال: «ان سلوكنا نحن الفرنسيين والانكليز والطليان والألمان والهولنديين والبلجيكيين والنمساويين والدانماركيين و.. (ثم ذكر اسماء عدة بلدان أُخرى) في المستعمرات يتلخص في عبارة واحدة وهي السرقة والقتل» هذه هي خلاصة تصرفات هؤلاء السادة في العالم وهكذا يتعاملون وكان من ينصبونه على منطقة من المناطق حاكماً مطلقاً هناك وكانوا لا يريدون على الاطلاق للشعوب الخاضعة لسيطرتهم كرامة ولا رفعة ولا معنويات ولا شخصية، هذا كان وضع البلدان المستعمرة، اما البلدان الأُخرى مثل بلدنا ايران فلم تكن مستعمرة بشكل

رسمي لكي يحكمها حاكم انكليزي أو اوربي، لكن كان يحكمها حكام غير كفوئين وغير جديرين ويسلكون سلوكاً شائناً.

المصير الذليل لرضاخان:

لا تدرون كيف طردوا رضاخان حين قرروا طرده في الثالث من شهريور (الخامس والعشرين من آب) ذلك الرجل المتغطرس الذي كان اسمه وزئيره في داخل ايران يهز كيان العتاة جميعاً، والذي نجح في اخضاع العتاة والعشائر وقطاع الطرق كلهم، فهل حين ارادوا طرده عرف بالأمر أحد؟ انهم لم يفعلوا شيئاً سوى انهم قالوا له اخرج من ايران، وفي ذلك الحين كنا نحن صغاراً ونسكن في اطراف رفسنجان فسمعنا انهم قد أخذوا رضا شاه، وأنه سيحل في الليل ضيفاً في منطقة من مناطق كرمان، وهكذا أركبوه السفينة بكل ذلة واخذوه الى جزيرة موريس وجعلوه يعيش ذلك الوضع الذي يرثىٰ له، وكان ابنه ملكاً هنا وهو يعيش هناك بذل، وأخيراً أخذوه الى جنوب افريقيا التي هي وكر من اوكارهم وعاملوه بذلك الشكل ، فانظروا كيف أن بلداً مستقلاً مثل ايران التي لم تكن يوماً مستعمرة كيف أخذو ملكها مع ذلك التجبر وتلك الأُبهة اللذين صنعهما لنفسه امام الشعب، ودون أن يزيله منافس له، أي كان ذلك ممكناً مثلاً لو حدثت ثورة وحل محله شخص آخر، فمع أنهم نصبوا ولده مكانه لكنهم طردوا الاب بتلك الصورة الذليلة في عهد حكم ابنه، وبامكانكم أن تفهموا من هذه القضية بالذات كيف كان هؤلاء يعاملون الناس في مستعمراتهم، وفي قصة أُخرى حدث مرة في عهد القاجاريين أن ضاع كلب من كلاب القنصل في تبريز، فاتهم عدداً من المسلمين التبريزيين البارزين بضلوعهم في هذه القضية فوجهوا لهم انذاراً واخيراً اعتقلوا أحدهم واحتجزوه وقالوا إنهم سيظلون يحتجزونه حتى يعثروا على كلب القنصل. هكذا كان وضع ايران المستقلة وكان اللّه في عون شعوب الهند الصينية وافريقيا واميركا اللاتينية وشعوب كل منطقة من العالم حكمها هؤلاء ، هذه هي حقيقتهم اليوم،

وهكذا كان دأبهم دوماً وفي كل مكان فإن لم يجدوا ذريعة رسمية اختلقوا ذريعة بأنفسهم وتدخّلوا.

مؤامرة قناة السويس :

كل تصرفات هؤلاء بهذه الصورة، وقد ذكرنا أنهم اتخذوا شجار الحاج ميرزا هاشم موظف السفارة الانكليزية ذريعة لاحتلال بوشهر، والوضع على هذا المنوال بشأن قناة السويس أيضاً، فلا يعلم أحد هل كانت هناك ألغام أم لم تكن، وهل انفجرت أم لم تنفجر ، ليتخذ هؤلاء المكالمة الهاتفية المجهولة لشخص زعم أنه من الجهاد الإسلامي ذريعة فيأتوا بقواتهم ويحتلوا قناة السويس[1] هذه هي طبيعة هؤلاء ، وبهذه الطريقة يحتلون جبل طارق وينما

---

١ ـ قناة السويس: قناة في مصر تصل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر وقد حفرها فرديناند دي لي سبس «F.de Iessps» الفرنسي في القرن التاسع عشر وانهى حفرها الأمريكيون، ويبلغ طول هذه القناة من خليج السويس على ساحل البحر الأحمر وحتى بور سعيد على البحر المتوسط (١٦٨) كيلو متراً، وقد اختصر بحفر هذه القناة الطريق البحري بين اوربا وآسيا بنسبة ٤٤٪، فالسفن التجارية التي كانت قبل حفر القناة مضطرة للدوران حول افريقيا من أجل التردد بين آسيا وأوربا صارت بعد حفرها تدخل آسيا عن طريق البحر المتوسط وقناة السويس، وبعد اقامة الجمهورية في مصر انتزعت تلك الدولة ملكية القناة من انكلترة واختصت بها نفسها، وتحظى قناة السويس باهمية استراتيجية بالغة، ونظراً لهذه الأهمية والخطورة فقد تناقلت وكالات الانباء في آب من عام ١٩٨٤ خبراً يقول أن السفن التجارية اصطدمت اثناء عبورها هذه القناة بألغام بحرية وأصيبت بأضرار بعضها طفيف وبعضها بالغ، ثم طرحت الامبريالية الخبرية هذه القضية بأهمية اكبر واتهمت الجمهورية الاسلامية بضلوعها في ذلك «ولم يكن ضلوع الجمهورية غير تهمة باطلة» .

وكان من اهداف تلك الأزمة المفتعلة النيل من الجمهورية الاسلامية في ايران، وكانت لهذه المؤامرة علاقة مباشرة بالحرب المفروضة لأن دكتاتور بغداد كان قد طلب الى الدول العربية أن لا تسمح للسفن الايرانية بالعبور من البحر الأحمر ومضيقي «السويس وباب المندب» الاستراتيجيين لكي يزداد الضغط على ايران. «وكان لتلك المؤامرة اهداف أخرى يضيق المجال عن ذكرها في هذا الهامش».

والخليج الفارسي ، وكلما قرروا احتلال منطقة افتعلوا ذريعة لذلك ، ومن حسن الحظ اننا يجدر بنا أن نكون مسرورين اليوم اذ نجد أن هناك من يقف في وجوههم ، فلو لم تكن ايران فمن كان بامكانه التنفس في المنطقة اليوم ، ومن الذي كان يتحدث أمام هؤلاء ويفضحهم ، فدول الخليج الفارسي والمصريون والعراقيون والسوفيات كلهم يشتركون في المصالح ، وحتى لو ضاق الأمر عليهم كثيراً فسيقولون افغانستان لكم ولبنان لنا ، وهكذا كان الوضع في السابق أيضاً ، فلو برز حاكم مستقل أو تيار مستقل وحر وقوي في منطقة ما وفضحهم ومنعهم من تصرفاتهم ، استخدموا ضده هذا الأسلوب، فكيف احتل هؤلاء لبنان؟ لقد تحركت اسرائيل من تلك الجهة وتحركت اربع دول مستقلة وكبيرة من هذه الجهة واستنفروا جيوشهم وكل ما لديهم واحتلوا بلداً صغيراً مساحته عشرة آلاف كيلومتر مربع كانت اسرائيل قد احتلت ثلثه من قبل، لكنهم فُضِحوا تلك الفضيحة، وغاية الأمر أن لابدّ أن ينبري احد ويُنزل الضربات بهؤلاء ، فهؤلاء جبناء ومحافظون أيضاً لاسيما اذا تورط رجالهم هم، ومما يؤسف له انهم يستخدمون في كثير من الاحيان رجال البلدان الأُخرى وعند ذاك تكتسب المواجهة طابعاً اكثر تعقيداً وتغدو صعبة.

فمشكلتنا الآن أننا لو قتلنا العراقيين فهم اخواننا لأنهم مسلمون، وهم لم يأتوا لحربنا طواعية، واني اقول لكم إن الأوضاع لم تختلف اليوم عما كانت عليه في الماضي، ولن يدعها هؤلاء تختلف بهذه السرعة إلا إذا برز في العالم تيار انساني سليم ومستقل كالجمهورية الاسلامية «ولكن شريطة أن تتقوى اكثر وترسخ اقدامها تماماً» ثم تفضح هؤلاء وتكشف اعمالهم وتحول دون تحركاتهم.

الخطبة الثامنة

الجمعة: ١٣٦٣/٧/٢٧ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم ان اللّه عليم خبير» (الحجرات / ١٣).

بلغ بنا البحث حول العدالة الاجتماعية بشأن الاجناس البشرية المختلفة أن المجتمع الأناني والعنصري الأوربي الجديد ارتكب منذ نحو خمسمئة عام وحتى اليوم مظالم كثيرة ومازال يرتكبها معتمداً على الفكرة الفاسدة القائلة بتميز العنصر الأبيض، وقد ذكرت في البحوث السابقة أن هؤلاء قد سيطروا خلال حقبة زمنية معينة، واستغلّوا بشكل مباشر أو غير مباشر اكثر من ٩٠٪ تقريباً من بلدان المعمورة، ومايزالون اليوم يواصلون نهبهم طبقاً لذلك البرنامج ولكن باسماء وصور أُخرى وهم غير مستعدين للتخلي عن نهبهم وتمييزهم الخطأ، وذكرت أيضاً أن أساس تفكيرهم يقوم على أن العنصر الأبيض والآري يتمتع من الناحية الجسدية والفكرية بمميزات تؤهله لأن يتزعم العالم ويحكمه حيث اثبتنا بطلان هذا الاعتقاد وفقاً للمعايير الاسلامية وقلنا إن هذا المحور الفكري خطأ، وإن الاسلام لا يصنف الناس بهذا الشكل، وان أساس القيم لدى الاسلام هو باطن كيان البشر وأهم تلك القيم هي التقوى

تلك المناعة الذاتية التي تخلق في عمق كيان البشر قوة تحافظ على الحق والعدل وترسم الحدود، وهكذا يغدو من شأن المتقين أن يتحولوا الى اقطاب للتحرك في كل مجتمع وفي العالم بأسره، وهدف الاسلام تربية الانسان المتقي، وقد ذكرت أيضاً أن الأوربيين دفعتهم افكارهم الباطلة نحو الهيمنة، وقد حصلوا على عوامل تلك الهيمنة، كما ذكرت في احدى الخطب أحد عوامل التسلط وهو القدرة الحربية، فقد كان الأوربيون ينطلقون نحو أية منطقة شاؤوا بقوتهم البحرية وسفنهم الحربية ومشاة بحريتهم فكانوا يحتلون البلدان ويرتكبون جرائم كثيرة وقد شرحنا ذلك.

كيف نفذ الإستعمار الى بلدان العالم الثالث؟

وهنا أبدأ فصلاً جديداً عن نفوذ الاستعمار وأقول إن قوة حربية صغيرة مؤلفة من عدة سفن وعدد من الجنود عاجزة عن احتلال بلد والبقاء فيه دون أن ترافقها عوامل أُخرى، لذلك كان هؤلاء (أي المستعمرون) ينهزمون في المناطق التي كانوا يذهبون اليها دون أن يهيئوا فيها العوامل اللازمة للتسلط فيلوذون بالفرار، وهذا هو حالهم الآن أيضاً، واني حين انقل التاريخ اعرض البحث طبقاً للاوضاع المعاصرة لكي لا يقتصر البحث على كونه يدرس قضية تاريخية بل ليكون شكلاً من اشكال التوعية للجيل الحاضر أيضاً، فمثلاً من الناحية السياسية والادارية كان يتم الى جانب تحرك عسكري ـ وحتى قبل التحرك العسكري ـ تحرك سياسي، فكانوا يزرعون عملاءهم في الاجهزة الحكومية وكذلك كانوا قبل التحرك العسكري ينفذون الى المراكز الاقتصادية الحساسة وشرايين المجتمع الحيوية اقتصادياً ويسيطرون عليها، أو يسيطرون على الحركة الثقافية للمجتمع ويغسلون أدمغة القوى التي تدافع بطبيعتها عن المجتمع ويعدونها لتقبُّل الذلّ والخضوع لتسلط الاجانب، وكانت هذه الأعمال مقدمات للنفوذ العسكري والرسمي ومرافقة له، واينما ذهب هؤلاء كانت هذه المقدمات معدَّة من قبل أوكانوا يمارسونها بعد السيطرة العسكرية،

لكي يتمكنوا من مواصلة احتلال البلدان، لذلك كان هؤلاء عاجزون عن البقاء في المناطق التي كانت تتصدى لهم فيها قوة حقيقية، ففي بلدنا ايران وجدنا حين دخلت القوات الانكليزية المعتدية بوشهر كيف قضى عليها وأذلها أبطال تنكستان وفئة من ابناء العشائر الغيارى هناك، كما رأينا مثل ذلك في المناطق الأُخرى التي تحرك أهلها قليلاً، أما في المجال الاقتصادي فلو وجد في داخل المجتمع من يسدّد لهم ضربة قوية لهزموا كما حدث في قضية التنباك وامتياز «لاتاريك» الذي حصلت عليه انكلترة فأوقفهم علماء الدين في ايران عند حدهم فامثال هذه الحالات تحدث ولكنها قليلة وإننا لم نجد مثل هذه القوى الأصيلة في كثير من بلدان العالم، ولو وجدت فقد منيت بالخيبة.

وكان من الوسائل التي استخدمها هؤلاء المستعمرون والمعتدون استغلال الوضع الاقتصادي للبلدان المختلفة وهي بحق وسيلة فاعلة جداً وهذا الأمر لم يتغير اليوم عما كان عليه قبل مئة عام أو مئتين ومازال هذه الوسيلة في خدمة الاستكبار اليوم كما كانت في السابق. واني في هذا الفصل من بحوثي أوصي المجتمع لاسيما شبابنا ودارسينا أن يدركوا كيف يتعامل الاستكبار مع الشعوب، فالنظام المصرفي الذي صنعه الغرب لنفسه وفرضه على سائر البلدان وسيطر عليها عن هذا الطريق الذي هو من فروع ما فرضه عليها من انظمة اقتصادية تتبعها الهيمنة العسكرية وسائر اشكال الهيمنة، هذا النظام من الامور التي يعجب معها المرء ويتساءل لماذا لا يتنبّه العالم لهذه القضية ولا يفجّر ثورة عارمة على هذا النظام الاقتصادي الموغل في الفساد وهذه العلاقات المجحفة؟ وهناك الى جانب النظام المصرفي الربوي عمليات الحصول على الامتيازات وما تسمى بالمشاريع العمرانية وكل هذه الأُمور يكمل بعضها بعضاً، ثم تعمل مؤسسات التأمين الضخمة في ارجاء العالم بموازاة هذا النظام المصرفي الأخطبوطي من اجل الحفاظ على مصالح الاستكبار العالمي والرأسماليين الدوليين وضمان تلك المصالح، وقد استنفروا الى جانب ذلك الامكانيات العسكرية والأمنية والمعلوماتية، فتكونت من كل ذلك سلسلة

عمل من أجلها مخططو الاستكبار الغربي وجروا التجارب الكثيرة بشأنها ليوطّدوا دعائم حكمهم على هذا الشكل الذي نراه.

فمثلاً لو حدث في قرية أو منطقة أن توافق العمدة مع رجال الشرطة، أو الحكومة مع الاقطاعي والرأسمالي فماذا عسىٰ أن تفعله الفئة المعدِمة أمام المال والسلاح وقدرة ما يسمى بالقانون، ومثل هذا الوضع أوجده هؤلاء (أي القوى الغربية) في ارجاء العالم، لذلك وجدنا القرآن يعلن الحرب بتلك الصورة على المرابين، حيث أنذر القرآن المرابين قبل (١٤٠٠) سنة وذكر أن المرابي يحشر مجنوناً ومعتوهاً ووصف الربا بأنه ضد التقوى وضد القيم، وكل هذه القاطعية التي تعامل بها القرآن مع قضية لم تكن كثيرة الأهمية في صدر الاسلام يدل على الخطر الهائل الذي يهدد مجتمع العصر الحديث وربما يهدد مجتمعات القرون القادمة التي تعاني من هذه القضية، وكان المستعمرون يتجهون دائماً نحو البلدان التي كانت تمتلك في داخلها شكلاً من الامكانيات والحضارة والماضي العريق مثل ايران ومصر والهند والصين وتونس والمغرب وبلدان على شاكلتها كانت تمتلك المستلزمات والمفاخر القومية، وكان الحديث يدور في البداية عن الامتيازات والعمران والاعمار وشق الطريق الفلاني بين هذا البحر وذاك، ومشاريع إحياء المناجم والغابات والمراعي، وايجاد المستنقعات للمكان الفلاني ومشاريع من هذا النوع توجد امثالها في كل مكان، ثم كان النظام المصرفي الذي صنعه الرأسماليون الأوربيون يمنح مبلغاً كقرض ثم يبدأون بجلب ما تسمى بالقوى الفنية والى جانبهم الجواسيس وعناصر المخابرات، وبعد اختلاق الذرائع واخضاع الدولة التي يريدون الهيمنة عليها للقروض كانوا يقسّطون تلك القروض، وحين تعجز الدولة عن تسديد الاقساط كانوا يحولون بينها وبين كل ثرواتها الاقتصادية، فكانوا ينظرون أي الأشياء تعتبر مصادر للدخل فيجدون الگمرك في بعض المناطق وفي مناطق أُخرى يجدون اشجار الغابات مثلاً تحقق ذلك وفي بعض آخر من المناطق الزراعة او عائدات المناطق المفتوحة أو صيد الأسماك وهكذا كانوا

يرهنون كل شيء يعد مصدراً للدخل حتى إذا أفاق المجتمع وجدهم يسيطرون على كل ما يملك وهم القيمون عليه، وكانوا أحياناً يزعمون أنهم تضرروا من المنطقة الفلانية أو أن تلك المنطقة لم تنجز ما عليها فيظهر مشاة بحريتهم ويسيطرون على البلد سيطرة كاملة.

المكائد الاقتصادية للقوى الكبرى:

بهذه الطريقة وقعت في شراك هؤلاء بلدان كبيرة مثل الصين والهند وغرب افريقيا ومصر وبلدان أُخرى ذات ماضٍ حضاري عريق ومايزال بعضها يعاني منهم وهم (أي المستعمرون) لم يتخلوا عنها حتى الآن، ومايزال العالم الثالث اليوم كما تدل عليه الارقام والاحصائيات مدين لما يسمى بالعالم المتقدم بنحو (٧٠٠) مليار دولار. فأميركا اللاتينية التي تعد من مراكز الثروة في العالم مدينة لوحدها بنحو (٣٥٠) مليار دولار، فلو كان معدل فائدة هذه الديون عشرة في المئة أو خمسة في المئة فأي وضع تعاني منه هذه المنطقة، فدولة كالبرازيل مثلاً مدينة باكثر من ثمانين مليار دولار، ولو أرادت أن تعطي فوائد بنسبة عشرة في المئة فعليها أن تدفع في السنة فوائد تبلغ عشرة مليارات دولار. فمتى تستطيع هذه الدولة أن تقف على قدميها؟ ودولة مثل تركيا التي عليها ديون قليلة لو كانت مدينة بعشرين مليار دولار، وأرادت أن تدفع كل عام فوائد هذه الديون فكم ينبغي عليها أن تضغط على نفسها لكي تتمكن من دفع الفوائد فقط، وهكذا أخضعوا البلدان الضعيفة لهذه القضية وهم لا يتخلون عن «شاهي»[1] واحد من قروضهم. ثم تضاف الى تلك القروض الفوائد وغرامة التأخير وامثال ذلك وهو بلاء انزلوه بالعالم حتى صار ينبغي عليه أن يتوسل إليهم أيضاً.

حين كنا صغار كنا نشاهد في قرانا كيف كان بعض الاغنياء ممن يملكون

---

١ - عملة ايرانية قديمة وصغيرة جداً وغير متداولة حالياً.

بعض المال يقرضون المزارعين بالربا فكان أولئك المزارعون المساكين يبيعون محاصيلهم سلفاً (والحمد لله إذ زال الآن الى حدٍّ ما ذلك البيع سلفاً) حيث كانوا يبيعون القمح الذي كان سعره خمسة ريالات (فرضاً) بريالين أو ثلاثة للكيلو غرام الواحد قبل بضعة اشهر سلفاً، وكان الذين يشترون سلفاً يرتكبون غالباً جرائم كبيرة بحق الفئة المعدمة . فكانوا يتصرفون مع المزارع بما يجعله يعطيهم عند الحصاد كل محصوله ويذهب الى منزله صفر اليدين، ثم يبدأ بأخذ القروض من جديد حتى يحين موعد الحصاد القادم.

وكان الاقطاعي يعطي المزارع قليلاً من المال مقدمة ويورطه بشكل لايدعه تصدر منه أية حركة فكانت ابقاره واغنامه وكل ما يملك رهين تلك القروض، وبهذه الطريقة نفسها تصرف الأوربيون مع شعوب العالم، إقرأوا تاريخ أي بلد عانى من الاستعمار لتجدوا هذه الأمور قد حدثت فيه بكثرة، واني انقل نموذجين أو ثلاثة من غرب افريقيا وشرقها ومن آسيا لكي تعرفوا كيف كان الوضع.

استعمار البلدان المختلفة :

أحد النماذج على ذلك تونس، ففي تونس جرت هذه العملية (أي الاستعانة برأس المال بدل الجنود) والتي تعد تقريباً المرحلة الجديدة من الاستعمار أي الامبريالية (اذ كان نوع الاستعمار أبسط قبل مرحلة الأمبريالية هذه) فحين دخلت الميدان المصارف وشركات التأمين والملاحة بدأت مراحل الاستعمار التي تسمى الامبريالية. وهذه المرحلة أعقد بكثير من سابقاتها ولا يمكن التخلص منها بسهولة ، فمنذ حوالي عام ١٨٥٠ بدأت هذه العملية تتصاعد، ففي عام ١٨٦٣ اقترضت تونس من فرنسا (٥ر٥) مليون فرنك، ولما كانت هذه البلاد من ولايات الخليفة العثماني وكان محمد الصادق والياً عليها فقد أقرضوهم ذلك المبلغ وفرضوا عليهم معه شراء سفينة مزودة بالمدافع بمبلغ ٥ر٣ مليون فرنك اقتطعوها من اصل القرض ويمثل هذا

المبلغ ثمن السفينة والمدافع القديمة وأُجور الملاحين (ولم يستخدموا تلك السفينة ابداً حتى بليت لأنهم لم يكونوا بحاجة اليها اذ لم يكونوا في حالة حرب) وكذلك أجور الذين سيعلمونهم كيفية استخدامها وأموراً اخرى من هذا القبيل، أما القرض فقد تقرر صرفه على عدد من المشاريع العمرانية.

وقد كتبوا أن الديون المستحقة على تونس بلغت (٣٥٠) مليون فرنك خلال سبع سنوات أي حتى عام ١٨٧٠، وكان نتيجة ذلك أن اعلنت تونس فجأة أنها عاجزة عن تسديد الديون، فشكلت ثلاث دول هي ايطاليا وفرنسا وانكلترة لجنة مشتركة ودرست وضع تونس المالي فوجدت أن القرض الحقيقي لا يصل الى هذا المبلغ الذي ذكروه وانهم يريدون عبثاً أخذ هذا المبلغ وأن المبلغ الحقيقي (١٢٥) مليون فرنك ثم قالوا أنها عاجزة عن تسديده فسلموا اقتصاد تونس بأجمعه الى تلك اللجنة فصارت قيماً اقتصادياً على تونس حتى صار من اللازم أن يصادق هؤلاء على نفقات بلاط الوالي محمد الصادق، وهكذا فعلوا بذلك البلد الذي كان من بلدان غرب افريقيا الحرة لأنهم كانوا بحاجة اليها كبوابة للتوغل الى عمق افريقيا، فعقدوا اتفاقية سيطروا بها بشكل رسمي على تونس فانهارت تلك البلاد ولم تستطع بعد ذلك الوقوف على قدميها ومايزال الوضع فيها كما ترون، أما المغرب المحاذية لتونس فهي ذات ماضٍ حضاري وقد اسلم أهلها في صدر الاسلام وكانوا يهددون اوربا فترة من الزمن، فصار الأوربيون يكنّون حقداً على تلك المنطقة فأرادوا الانتقام لما حدث فيها في صدر الاسلام وسموا أهلها بالبربر، فذهبوا اليها بسبعة وستين مليون فرنك وانزلوا بها البلاء نفسه. أما مصر فقد كتبوا أن قروضها تضاعفت ثلاثين مرة خلال الحقبة التاريخية الممتدة من عام ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٧٦ أي خلال ثلاثة عشر عاماً.

وذهبوا الى الصين، تلك المنطقة التي كانت دائماً منطقة اسطورية لدى الأوربيين (منذ أن سافر اليها ماركوپولو وعاد منها وجاء معه بتلك المعلومات) وكانت مصدراً للثقافة والآثار النفيسة وغير ذلك، لأن الصينيين كانوا ذوي

حضارة عريقة جداً.

وهكذا ذهبت الى الصين خمس دول هي روسيا وألمانياواليابان وفرنسا وانكلترة وفعلوا بها فعلة اقتطع كل منهم معها جزءاً من تلك البلاد، وبعد سنين عدة عقدت مؤخراً بين انگلترة والصين اتفاقية تقضي بأن تتحرر هونگ‌كونگ التي كانت ملكاً للصين من الانكليز وتسلم الى الصين، بعد تسعة وتسعين عاماً، هذه الاحداث تعود الى تلك الفترة التي قطّعوا فيها الصين إرباً إرباً وأفرغوها من كل ما تملك حتى صار ملحها الذي كان من مصادر الدخل تأخذ احدى هذه الدول الضريبة عليه، أي كان ينبغي أن يدفعوا ضريبة الملح الذي يستخرج من مناطقه الى هؤلاء ، هكذا افرغوا ذلك البلد ثم قطعوه إرباً إرباً، وفي عام ١٩٣٠ أي ما بين الحربين العالميتين حيث بدأ الصينيون حركتهم الجديدة شيئاً فشيئاً، عدّ سوني هاتسون ما نهبه الغربيون والروس واليابانيون من أموال الصين خلال عشرين عاماً أي ما بين عامي ١٩١٠ و ١٩٣٠ فوجدهم قد نهبوا سنوياً ملياراً ومئتي مليون دولار، فقارنوا بين قيمة مليار دولار في ذلك الزمان وقيمتها الآن لتجدوه رقماً لا يتسع له أي شيء ، هكذا كان وضع هؤلاء ، وفي بلدنا أيضاً ارادوا ممارسة هذه الأعمال نفسها لكن علماء الدين حالوا بينهم وبين ذلك، ومثال على ذلك قصة التنباك التي سمعتموها، وقد اوجدوا لتحقيق هذا الهدف نظاماً مصرفياً، فكان المصرف الرئيسي في اوربا وفروعه في ارجاء العالم تنقض على الشعوب، وهذه كانت اعمالهم الرسمية والجرائم التي كانت ترتكبها حكوماتهم، فالى جانب تلك المصارف كان القطاع الخاص يشارك في تلك الأعمال بشكل ما، فكانت المصارف التي أنشأوها في هذه البلدان تبدأ باقراض الفئة الثرية أو تصنع سماسرة لينقضوا على الناس العاديين من الذين كانت تأتيهم عائدات انتاجية من اعمالهم اليدوية أو الزراعة أو البستنة، وكانوا يعطونهم قروضاً بالطريقة المعتادة في القرى نفسها ويشترون منهم المحاصيل سلفاً ويجمعون مدخولات الأهالي في تلك المصارف التي كانت بدورها وسيلة لنقل الأموال

الى الخارج، وكانت المهمة الدائمة للمصارف في ارجاء العالم كالهند والصين وايران وافريقيا وكل بلدان العالم أن تنقل أموال الناس الى المصارف الرئيسة التي مقرها اوربا، فليس من قبيل المصادفات أن تتمكن أوربا واميركا اليوم من امتلاك سبعمئة مليار دولار من المال في البلدان الأُخرى، فمن اين جاءت هذه الأموال؟ إذ لا يملك أي من البلدان الأوربية مصادر للانتاج بقدر ما تملكه بلدان كالجزيرة العربية وايران وتركيا وامثال هذه البلدان، ولو رأينا ان كل هذه الأموال تحت تصرف أولئك، وأنهم قيّدوا الشعوب بمثل هذه الصورة فذلك يعود الى تلك الأزمنة ومايزال هذا الأمر مستمراً حتى الآن.

المصارف السويسرية مركز الأموال المغصوبة من الشعوب :

لقد اوجد هؤلاء نظاماً يجعل الاغنياء في ارجاء العالم ينقلون اموالهم عن طريق المصارف الى اوربا، ومصارف سويسرا التي يزعم انها بلد محايد مركز للأموال المغصوبة من شعوب العالم، أي أن الإعلام انصب باتجاه جعل الحكام الفاسدين وخَدَمَ الاستكبار العالمي في البلدان المختلفة يحتفظون جميعاً لأنفسهم بمدّخرات في حساب سري هناك، حتى اذا ما انقضّ الشعب عليهم بانقلاب أو ثورة ذهبوا وعاشوا هناك، والذي حدث في بلادنا هو أن الثورة لم تدع لأولئك فرصة لكي يحققوا ذلك، لو أن الشعب منحهم فرصة لسحبوا كل ممتلكات البلاد في عدة أشهر واخذوها الى هناك، فقد اطلق هؤلاء على ايران اسم جزيرة الاستقرار، اد انخدعوا وظنوا انهم سيحصلون على الاستقرار هنا فبدأوا باستثمار كميات كبيرة من سيولتهم النقدية هنا في الأراضي والبساتين والزراعة والمصانع والأمور الأُخرى، وفي الفترة الأخيرة أي خلال الشهرين أو الثلاثة الأخيرة من عمر النظام البهلوي حيث وجدوا الجو غير ملائم وأنهم زائلون وأن الخطر يهددهم بجد، فانظروا ماذا فعلوا بالبنك المركزي وكيف حولوا رؤوس أموالهم بطريقة ما الى نقود وأرسلوها الى الخارج، ولو رأيتم أنه مايزال في ايران اغنياء غاصبون كثيرون جداً بعد الثورة الاسلامية فسبب ذلك

يعود الى أنه قد حيل بمقدار معين دون هذه الأُمور (أي ارسال الأموال الى الخارج) وبعكس ذلك تجدون أن عمليات التهريب قد ازدادت هنا والسبب في ذلك يعود الى وجود رغبة في اخراج الثروة من البلاد الى المناطق الأوربية وهو أمر منعناه ومنعته التعليمات الخاصة بالعملات الصعبة، وهذه الرغبة تتحول الى أعمال تهريب، فهم مثلاً يحوّلونها الى سجادة ثمينة أو الى قطعة من ذهب أو الى أي شيء آخر يستطيعون اخراجه من هذا البلد، فالاشخاص الفاسدون وغير الراغبين ببلدهم والتابعون لهوى النفس والمرتبطون بالملذات يتحركون في هذا الاتجاه، وهذه الشبكة اللامرئية لضخ المال من ارجاء العالم نحو مصارف الدول الاستعمارية والمناطق الأُم (كما يسمونها هم) تعود الى عدة مئات من السنين، فهؤلاء قد وفروا كل المستلزمات من أجل جعل ذلك المكان مركزاً يفتلون فيه الحبال ليقيّدوا بها أرجل الناس كما فعلوا الآن، فلو أراد الانسان الفقير والمعدم أن يقترض من أي ظالم فسوف تبرز لديه حالة من الرضا والمنة تجاه ذلك الظالم، فمثلاً كنا نرى المرابين في السوق سابقاً حيث كان الناس يعطون ثلاثين أو خمسة وثلاثين في المئة ربا من أجل الحصول على مبلغ من سماسرة الربا الذين كانوا يعملون في مكاتب السمسرة والمعاملات العقارية امثال تلك الأماكن وكل ذلك من أجل الحصول على مبلغ بسيط يعالجون به ما يعانون منه اليوم أي لكي يعالجوا أولادهم من المرض أو يعمروا منزلهم ويحلوا مشاكلهم أو ليشتري أحدهم قطعة احتياطية لسيارته التي هي الوسيلة الوحيدة لتأمين رزقه، وهذه الحالة نفسها سائدة بين الدول الصغيرة والدول الكبيرة.

فطلبات الاقتراض من الدول الكبيرة تحدث الآن في ارجاء العالم، اذ نرى عدداً من الشعوب الفقيرة والبلدان التي نهبت ثرواتها ومقدراتها - كما تحدثنا - وصارت تعاني مما تعاني منه اليوم نراها بحاجة الى أولئك من أجل انجاز اعمالها اليومية، أي من أجل شق طريق أو انشاء ميناء أو محطة للطاقة فهي للأسف بحاجة الى أولئك لانجاز هذه المشاريع، فاذا أردت مكائن فعليك

شراؤها منهم، واذا أردت خبراء عليك استقدامهم منهم، وعليك شراء القطع الاحتياطية منهم، بهذه الصورة ربطوا الناس بهم، فهؤلاء يذهبون ويتوسلون اليهم ويقترضون منهم بفوائد باهظة ويخضعون أنفسهم لأسر هؤلاء .

البلدان الأسيرة وطريق الخلاص :

هذه القضية التي حدثت الآن في الأُمم المتحدة ولم يجرؤ بعضهم على التصويت الى جانبها[1] بل فروا من الأُمم المتحدة كالفئران لكي لا يحضروا الاقتراع ، فما السبب ؟ السبب أنهم خاضعون للأسر ، ويقولون لهم لو صوتم فسوف تستحق كل ديونكم غداً وعليكم تسديدها ، واذا قالوا لا نسددها ، فهؤلاء قد رتبوا اموراً تورط كل من يقول لا نسدد ، حيث انشأوا محاكم اسموها محاكم العدل الدولية ، فكل دولة لابد أن تملك في مكان ما سفينة أو سفارة أو لديها اتفاقية معينة فيأتي القاضي ويختم بختمه حكماً ويعطيه للشرطة الدوليين فيذهب هؤلاء ويحتجزون سفن الناس ويحتجزون ما يحتاجونه لمعيشتهم، ويشوهون سمعتهم في العالم، وهو أمر يشبه تماماً تعيين الشُرطة والعمدة والاقطاعي في القرية، فقد رتب هؤلاء اجهزة القضاء وأجهزة الاعلام وكل شيء لأنفسهم وأسروا بذلك بلدان العالم، ولو أن الشعوب أبدت بطولة وتصدت لهذه الأحابيل وقطعت هذه العلاقة يوماً. فمن المؤكد أنها قادرة على مكافحة ذلك، وقد كان هؤلاء قد عقدوا الكثير من الآمال على ايران، وحين ثارت قالوا إن نقودنا في المصارف الاميركية والقطع الاحتياطية

١- وهي قضية المشروع الذي تقدمت به الجمهورية الاسلامية في ايران الى الأُمم المتحدة حول طرد الكيان الغاصب للقدس من المنظمة الدولية والذي تأجل بضغط من الاستكبار العالمي وعلى يد أُحد عملائه وهي الدانمارك التي اقترحت تأجيل طرحه .

وقد تم التصويت على اقتراح الدانمارك بـ (٨٠) صوتاً مؤيداً و (٤١) صوتاً معارضاً وامتناع (٢٢) عضواً من التصويت ،كذلك لم تشارك في الاقتراع (١٩) دولة بسبب عمالتها الشديدة وطبيعتها المنافقة .

التي نحتاجها كلها هناك، ومصانعنا كلها مرتبطة بأميركا، وكذلك عشرات الأُلوف من الخبراء الذين نحتاجهم لتشغيل كل آلة، وكان ينبغي أن يشترواهم نفطنا، وهكذا ظنوا أن هذه الثورة مهزلة ولا يمكن تحقيق أي ثورة، وكانوا يقولون بكل اطمئنان : حسناً! مارسوا أعمال الشغب الآن وسوف نرد عليكم غداً، وكان هؤلاء الاميركيون يقولون في تلك الأيام لقادة الثورة في داخل البلاد بصراحة: إننا سنعود بعد غد، ونرد عليكم جميعاً، هكذا كان يظن هؤلاء، لكن شعبنا وقف ببطولة وقاوم كل المؤامرات ولم يبال بشيء، وسبب ذلك يعود الى نضج أبنائه ووقوفهم خلف قيادتهم وثباتهم، لذلك نجد هؤلاء غاضبين من الثورة الاسلامية في ايران، فهم يعتبرون هذه الثورة التي اصبحت قدوة وحركة نموذجية في التاريخ المعاصر، امراً مريراً بالنسبة لهم.

النظام المصرفي الخطر السائد في العالم :

هذا النظام المصرفي الخطر السائد لابد في كل الأحوال أن يتم اصلاحه يوماً ما، وسبيل ذلك هو النظام الاسلامي الذي ينبغي فيه منح القروض الحسنة في المرتبة الأولى وعدم ابتزاز الناس، وفي الحالات التي يريد فيها الآخرون قروضاً من أجل التنمية والأعمال الأُخرى فيمكن أن يكون عند ذاك صاحب المال شريكاً وحسب القوانين العادلة المقررة، وينبغي جر العالم الى هذا الطريق لذلك نجدهم اليوم يثيرون ضجة لكي يفشلوا النظام المصرفي الاسلامي ويهزأوا به ويشبهوه بما حدث في البلد الفلاني ونحن نأمل ان شاء اللّه أن تتعرف سائر الشعوب على هذه الطريقة التي ابتدعها شعبنا وهذه الحركة التي تحركها وهذا النظام الذي وضعه أمامنا زعيمنا العظيم بشأن مكافحة هذه الأنظمة الاستكبارية الخطرة، فتتبعنا في ذلك تلك الشعوب وتنقذ انفسها من هذه المهلكة.

الخطبة التاسعة

الجمعة: ١٣٦٣/٨/١٨ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه، اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند اللّه اتقاكم ان اللّه عليم خبير» (الحجرات / ١٣) .

التقوى طريق الخلاص الوحيد :

خلاصة ما جاء في الخطب السابقة من أصول البحث وفروعه اننا لا نجد كالإسلام مذهباً فكرياً يقيم نظاماً يرسم للعناصر البشرية وضعاً عادلاً، فقد حدّد الاسلام الحقوق الاجتماعية على أساس التقوى والقيم الحقيقية للناس، ونحىّ القيم الوهمية، وجعل التقوى مقياساً للكفاءة في الحكم والتصدي للأمور فيما يخص العلاقة بين الشعوب والعناصر والحكومات والناس، وعن هذا الطريق بلغ العدالة الاجتماعية، وقلنا إن الأنظمة التي سنّها البيض في اوربا والتي لم تقوَّمْ على أساس التقوى والقيم الانسانية قد سلكت طريق العدوان والغطرسة والتمييز وتضييع حقوق الشعوب الأخرى، وانهم أخضعوا الشعوب غير البيض والملونين للظلم والعدوان منذ خمسمئة عام، واننا نجدد الدعوة الى التقوى على أساس الاسلام ونرى سبيل الخلاص منحصراً في التقوى وروح التفحص والملكيات التي تجعل الانسان يعيش مطمئناً في بيئته .

وقد اوردت في فصول عديدة من أحاديثي نماذج من الأساليب التي مارسها البيض الأوربيون والغربيون ضد شعوب العالم المظلومة.

وها أنا أطرح اليوم نقطة خاصة أُخرىٰ تعدُّ منذ عشرات السنين والى يومنا هذا، وربما ستظلُّ حتى في المستقبل البعيد احدى مشاكلنا ومشاكل العالم الذي أُبقِيَ متخلفاً واحدى الوسائل العملية المهمة التي يستخدمها العالم الإستكباري، وهي قضية الامتيازات، فمن وسائل استمرار ظلم الدول الغربية والقوى الصناعية قضية الامتيازات التي حدثت على مر التاريخ على شكل اتفاقية تعقد بينهم وبين الشعوب المظلومة عن طريق الحكومات الضعيفة والعميلة، وهي مستمرة اليوم وللأسف بصورة شائنة جداً، وقد عانى شعبنا الأمرّين من هذا الوضع وهو يعرفه جيداً ويعرف ماذا فعل البيض الذين هم محور هذه الحركة بالشعوب الملوّنة وماذا يفعلون بها الآن.

فما هي في الحقيقة القواعد والأُسس التي تلزم الدول والبلدان المتخلفة بمنح دول اخرى امتيازات تمارس بموجبها نشاطات وفعّاليات داخل أراضيها؟ ها أنا اذكر ذلك بإيجاز، واضرب له بعض الأمثلة، وسأسهب في شرح هذا الموضوع الحساس والمؤلم جدّاً.

اتخاذ التفوق ذريعة للحصول على الامتيازات من الشعوب المحرومة:

حين تقدم الأوربيون وسيطروا على الصناعة والعلوم المادية وسيطروا على تقنية متقدمة شعروا بالتفوق الكبير لهم على سائر الشعوب هذا من جهة، ومن جهة أُخرى صار روح انعدام التقوى والاستغلال والأنانية والفلسفة الكاذبة القائلة بتفوق العنصر الآري على سائر العناصر مسوّغات لهم فانقضّ هؤلاء على شعوب العالم بأسلحة العلم والفن والقوة العسكرية.

واستخدموا في ذلك أساليب مختلفة، كان منها العدوان العسكري وكان منها أيضاً قضية القروض التي ذكرتها، أما الأسلوب الآخر الذي فاق كل الأساليب سعة وانتشاراً فهو الحصول على امتيازات من البلدان المختلفة

وبعناوين متعددة منها الاعمار والتربية والتعليم.

ويستخدم هذا الأسلوب على الأغلب في البلدان المستقلة ظاهرياً لأنهم كانوا في البلدان التي استغلوها واستعمروها رسمياً يحتفظون بالسيادة لأنفسهم فلم يكونوا في حاجة الى الامتيازات كما كانت الحال في فلسطين وسوريا والعراق والبلدان الأفريقية وكثير من المناطق التي ماتزال مستعمرة رغم إلغاء الاستعمار من قِبَل الأُمم المتحدة، ولكن كانت هناك بلدان تملك استقلالاً ظاهرياً كإيران ما قبل الثورة وكثير غيرها، فمن أجل السيطرة على مثل هذه البلدان لجأ المستعمرون الى الحصول على الامتيازات والاتفاقيات العمرانية وكانت الاتفاقيات بحد ذاتها أموراً طبيعية وذات طابع ايجابي للبلدان المغلوبة على أمرها لكن حقيقة الأمر كانت شيئاً آخر، صحيح أن الدول الأوربية استخدمت ثروات البلدان المستعمرة لكي تشق لها الطرق والشوارع والطرق السريعة وتنشئ السدود والموانئ والمصانع والمكائن وغيرها، وتستخرج لها المناجم. كل هذه الأمور كانت تفتقدها هذه البلدان المتخلفة فضلاً عن الجامعات والمهندسين والأطباء والفنيين والامكانيات العلمية والفنية الهائلة، وانها ظاهرة مقبولة وامر طبيعي جداً، فلو كان هناك من يملكون امكانيات افضل، أي ينشئون الموانئ افضل من غيرهم، ويستخرجون المناجم ويديرون المصانع ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، ويمارسون التدريب العسكري وكل هذه الأعمال افضل من غيرهم، فمن الطبيعي أن يدعوهم ليأتوا وينجزوا هذه الأعمال.

وحتى لو كان العلم انطلق من بقعة معينة فهو يعود للعالم كله لأنه أمر يقبل الجميع عليه، لكن ذلك لم يتحقق في التاريخ بما يتوقعه المرء ولا يتحقق اليوم أيضاً، فقد عزم هؤلاء على استغلال هذا التقدم الذي لديهم وهذه المكاسب التي حصلوا عليها في اخضاع الشعوب لسلطانهم، فالاتفاقيات تبدأ بالشكل الآتي: انهم يعقدون اتفاقية لكي يأتوا بالتلغراف أو السكك الحديد مثلاً، أو يعقدون اتفاقية ليستخرجوا منجماً أو ينشئوا ميناءً ، وحين تعقد الاتفاقية يأخذ

أولئك الشياطين مصالحهم بنظر الاعتبار بسبب انعدام التقوى لديهم وبسبب اللا إنسانية التي تعمّ وجودهم فينفذون هذه المشاريع بشكل يجعل هذه البلدان خاضعة لهم وواقعة في شراكهم.

لقد كانت الامور تسير على هذا المنوال. فقد نزل هذا البلاء خلال القرن الماضي على البلدان المختلفة كنعمة من نعم الغرب ومايزال ينزل عليها على نطاق أوسع ولا سبيل لخلاص هذه البلدان إلا السبيل الذي اختارته ايران.

نماذج من الامتيازات :

وها أنا اذكر بعض النماذج لتلك الاتفاقيات، فقد كتبوا في كتب التاريخ المعاصر أن في عام ١٩١٣ أي قبل الحرب العالمية الأُولى بعام واحد كان ربع الدخل القومي الانكليزي وسدس الدخل القومي الفرنسي قد استثمرا خارج البلدين بهذا الشكل الذي ذكرته، فانظروا كم هو هائل هذا الرقم أي أن الفرنسيين استثمروا سدس شركاتهم واموالهم التي كان ينبغي تشغيلها داخل البلاد وكذلك استثمر الانكليز ربع امكانياتهم في خارج حدودهم وبهذا الأسلوب الذي ذكرته، وفي ايران بدأت هذه العملية منذ نحو مئة وعشرين عاماً وماتزال حتى اليوم ولم يكبح جماحها إلا بعد انتصار الثورة، لكن الخلاص من هذه القضية صعب جداً وعلى أبناء شعبنا أن يدركوا عمقها ويذللوا العقبات والمشاكل التي ستواجههم في طريق الخلاص منها، لقد كان أول امتياز حصل عليه هؤلاء هو التلغراف، والتلغراف شيء يريده الجميع لاسيما قبل مئة وعشرين عاماً فلو جاؤوا حينها وقالوا سنعطيكم التلغراف لكان ذلك نعمة لبلد كبير مثل ايران، وقد كانت انكلترا تحتاج الى ثلاثة أشهر لكي تبعث برسالة الى الهند التي كانت متنفسها ثم يعود منها الجواب اذ لم تكن هناك اجهزة كهربائية أو تلفزيونية، وكانت روسيا أيضاً منافسة لانكلترا فلم يكن بامكانها أن ترسل البرقيات عن طريقها، فلم تبق إلا ايران، وكان العراق من مستعمراتها ولكي يقيم الانكليز اتصالهم التلغرافي مع الهند كان عليهم

العبور من ايران، فكانت ايران هي التي تملك هذا الامتياز وليس اولئك، فلو كانت هنا حكومة عاقلة لكان على الانكليز أن يمنحوا آلاف الامتيازات وينفقوا الأموال لكي تسمح ايران بأن يمرّ خط التلغراف عبرها، لكن ما حصل هو العكس تماماً، فقد جاء أولئك وحملونا منة وقالوا نحن نريد ان نعطيكم التلغراف، ثم فرضوا اتفاقية مشؤومة فبدأت ايران بحكم الفرنسين أول شقائها ولكنه كان في الظاهر سعادة إذ أُقيمت خطوط التلغراف فصار بإمكان الناس التحدث من بوشهر مع طهران فكان ذلك تحولاً مهماً في ظاهره، لكن الموظفين الانكليز انتشروا في ارجاء البلاد بصفة موظفي التلغراف ولا تعلمون أي بلاء انزلوه بالناس وأية جرائم ارتكبوا، هذه قصة حدثت قبل نحو (١٢١) عاماً على ما أظن، وما أن مرّت الايام والليالي على تذوق هؤلاء طعم الامتياز في ايران حتى عادوا و حصلوا على امتياز آخر فيها، وقد تكون هذه البحوث غير مفهومة لدى عوام الناس، لكني اعتقد أن من الضروري جداً جداً لحركتنا الحالية المعادية للاستكبار أن توصل هذه البحوث الى اسماع الشعب.

فبعد سبعة اعوام أو ثمانية من ذلك أي عام ١٨٧٢ جاء هؤلاء وحصلوا على امتياز آخر من ايران وهو مد السكك الحديد، انظروا كيف كانت حكوماتنا!!، وأي شياطين كان أولئك!!، بحيث انهم اسموا ذلك الاستعمار غير المعلن !

اتفاقية أم أسر :

لقد منح ناصر الدين شاه امتيازاً لشخص يدعى «جوليس بارون رويتر» (الذي سميت وكالة انباء رويتر باسمه) وبهذا الامتياز منحوا الانكليز كل ما كان سبباً لعظمة ايران وقوتها، وكان اسمه امتياز السكك الحديد من بحر الخزر حتى الخليج الفارسي وقد جاء في هذه الاتفاقية أن للانكليز الحق في ربط هذا الخط بأي مكان ارادوا سواء بخط السكك الحديد في الهند أو بخطوط السكك الحديد العالمية التي تنتهي باوربا، وجاء في تلك الاتفاقية أن لهذه الشركة وحدها حق استخراج المعادن مثل النفط والنحاس والفحم الحجري والغاز

وسائر المعادن الثمينة، وجاء فيها أيضاً أن غابات ايران ملك لهذه الشركة كلها، ولها الحق في قطع الأخشاب من أي مكان واستخدامها، ولها الحق في إقامة ما شاءت من سدود وتغيير مجرى أي نهر شاءت، وحفر ما شاءت من الآبار العميقة، وجاء في الاتفاقية أن لهذه الشركة حق فتح الشوارع وتعبيدها وكل الأعمال العمرانية اللازمة في طريق هذه السكة، ثم أسموا هذه الأُمور بالبنود المعطلة، وحين اعطوا ناصر الدين شاه قائمة فقرات الاتفاقية لكي يطالعها ويوقع عليها قال: إذن ماذا سيبقى للشعب الايراني لكي يعمله؟ وكانت فترة الاتفاقية سبعين عاماً. وكان على الشركة أن تعطي ايران من الربح الصافي الذي تحصل عليه ١٥٪ في بعض الفقرات وفي بعضها الآخر ٢٠٪ أما الباقي فللشركة نفسها، وجاء في الاتفاقية أيضاً: أن نصها الفرنسي هو الأساس وليس نصها الفارسي، والغرض من ذلك هو أن يدّعوا عند حصول اي خلاف بأن النصّ الفرنسي يقول كذا، لتنطلي كل حيلهم عن هذا الطريق، وجاء في الاتفاقية ايضاً أن لهؤلاء حق اخراج ما شاؤوا من عائداتهم من البلاد، كما جاء فيها أن كل وارداتهم وصادراتهم معفاةٌ من الضرائب والرسوم.

فطلب ناصر الدين شاه مهلة وقال ان هذا صعب جداً ولابد لي من دراسته، وجاء في التاريخ أنهم اعطوا على الفور مئتي ألف ليرة رشوة لمستشاريه. فقالوا له: لو أن صاحب الجلالة وقع على هذه الاتفاقية لأسدى بجرة قلم خدمة لهذا البلد لم يخدمها كل ملوك ايران منذ (٢٥٠٠) عام، وكانت حجتهم أنك في مقابل البنود المعطلة التي ستمنحها للانكليز ستملك السكك الحديد بعد عدة اعوام وسوف تستخرج معادنكم وامثال هذه الأُمور، هذه الروح كانت السائدة على حكومات ايران التي كانت بلداً مستقلاً في تلك الفترة كما ذكرت، فانظروا كيف كان هؤلاء يتصرفون مع بلدان العالم التعيسة الأُخرى، وكان هذا الامتياز بدرجة من الأهمية حتى انهم حين نشروه في الصحف الأوربية قالوا ان ايران قد خضعت تماماً لسيطرة انگلترة.

وكان الايرانيون حينذاك يمثلون قوة وكانت لهم شوكة في المنطقة، وكان

الروس في نزاع مع الانكليز حول افغانستان التي كانوا قد فصلوها عن ايران لكي لا يصل الروس حدود الهند، وقد أعلن الانكليز عن استعدادهم لإلغاء هذه الاتفاقية فيما لو تخلّى الروس عن أفغانستان الى الأبد، ولم يحتفظوا بقوة عسكرية في آسيا الوسطى لكي لا يقتربوا من الحدود الهندية، وهكذا ساوموهم وألغوا الاتفاقية، فانظروا ماذا كان يفعل بالناس هؤلاء البيض الذين يعتبرون انفسهم متحضرين ويدّعون اليوم أيضاً الدفاع عن حقوق الانسان.

سباق الامتيازات:

بعد تلك القضية برز في داخل البلاد سباق عجيب بين روسيا (القيصرية) والانكليز، واني اذكر لكم بعض النماذج لكي تعرفوا كيف كان يتم تبادل الامتيازات، فبعد عامين من ذلك أي قبل نحو (٩٦) عاماً حصل الانكليز على امتياز الملاحة في سواحل بحر الخزر ثم، مارسوا ضغوطاً مرة ثانية على امتياز طرق الجنوب، كما مارس الروس ضغوطاً فسيطروا على طرق الشمال، وتكررت هذه الأعمال طوال عامين حيث حصل الانكليز على امتياز التبوغ فحدثت القضية المشهورة التي نتجت عن جهاد المرحوم آية الله الشيرازي والأمور الأُخرى التي حدثت حينذاك وسمعتم بها، وهنا مارس الروس ضغوطاً من أجل السيطرة على أشجار الزيتون وغابات الشمال فحصلوا على امتياز أمده (٢٥) عاماً، وحصل الانكليز على امتياز سياسي في الجنوب وفي سيستان، ثم حصل الروس على امتياز يقضي بأن يتشكل منهم لواء من القوزاق ، فشكلوا لواءً ورتبوا قوة عسكرية في ايران يقودها الروس. وكان رضا خان البهلوي من ضباط ذلك اللواء ، وهو اللواء نفسه الذي ضرب مجلس الشورى الوطني بالمدافع بعد حركة الدستور.

ثم حصل الانكليز على امتياز البنك الأمبراطوري في ايران، كما حصل الروس على امتياز بنك الإقراض لمدة خمسة اعوام فصاروا يقرضون زعماء البلاد والشخصيات القاجارية فأخضعوا البلاد كلها لهيمنتهم عن هذا الطريق،

هكذا كان سلوك الروس والانكليز في ايران المستقلة آنذاك، وهذا هو المصير الذي بلغته ايران التي كانت دوماً تناطح دول العالم القوية، واللّه أعلم ماذا كان يفعل هؤلاء في الهند وفي الصين وفي افريقيا والمناطق الأُخرى.

سياسة القوى الاستكبارية في انجاز الأعمال العمرانية للشعوب المحرومة :

وقد اكتسبت هذه الأعمال طابعاً آخر تعد أميركا رائدته حالياً، وسأذكر بعض النماذج لذلك لتعرفوا ماذا كان يفعل هؤلاء الذين جاؤوا باسم الاعمار والعمران، افترضوا مثلاً أنهم كانوا يقدّمون مشروعاً لإنشاء محطة للكهرباء ، ومحطات الكهرباء في الوقت الحاضر من الأُمور التي لا يمكن للشعوب الاستغناء عنها، فهم يحتفظون لأنفسهم بخطة المشروع وآلاته وأدواته الفنية ومهندسيه، ويمتنعون عن كشف سر المهنة للشعوب، ويتصرفون بشكل يجعل الكهرباء ينقطع لو لم يكن هناك خبير اجنبي يوماً فتختل كل شؤون حياة الناس الذين كانوا يستخدمون الكهرباء .

هذه التعاسات كانت موجودة في بلد كايران التي كان حكامها يدّعون التقدم الصناعي والحضارة الكبرى، فعندما اندلعت الثورة كان الاميركيون والانكليز والفرنسيون وغيرهم يظنون أنهم بغيابهم سيُركِعون ايران خلال عام واحد، واننا سنمدُّ إليهم يد الاستغاثة ، وأنهم سيعودون الى البلاد مرة ثانية مدلّلين.

فمثلاً كانوا قد اعطونا صناعة ذرية لكي يجعلوا بلدنا ذرياً، وها هم الألمان مايزالون بعد خمسة أعوام يخادعون مع انهم يزعمون انهم اصدقاؤنا ، إنهم يأخذون أموال الناس ويجمدون كمية كبيرة من ثروات البلد في احدى الصناعات ثم يبقون هناك ولا يأتون اذا لم نرضَ بما يريدون فرضه علينا.

وهم يعقدون الاتفاقيات بشكل يجعلهم يدينون البلد المظلوم اذ بلغ الأمر المحاكم الدولية، وهكذا أوثقوا بالحبال ايدي الذين ابتلوا بهم من التعساء وارجلهم في ارجاء العالم فصار هؤلاء عاجزين عن الخروج من بئر «التعاسة»

التي اوقعوهم فيها، وبهذه الأمور التي ترونها أخضعوا الحكومات والشعوب لأسرهم.

ولابد أنكم سمعتم بقصة وضع العظم في الجرح أو سمعتم على الاقل بالمثل الذي يتعلق به، على أية حال لا يخلو سرد تلك القصة من فائدة، فقد قيل إن قصاباً جرحت يده فذهب الى طبيب، ليداوي جرحه وحين أراد الطبيب ربط الجرح وضع في الشق عظمة، فذهب ذلك المسكين الى سبيله ولما كان العظم يمنع الجرح من الالتئام فقد عاد بعد يومين أو ثلاثة واعطى الطبيب كمية من المال ليداويه وتكررت هذه العملية، فإن حمل القصاب معه قطعة لحم جيدة من فخذ أو غيره كان الطبيب يداويه بشكل جيد ثم يعيد وضع العظم في مكانه، وظلت هذه العملية تتكرر شهرين أو ثلاثة فكان ذلك المسكين يأتي ويدفع ثمن المداواة لكن الجرح لم يبرأ أبداً ، وصادف ذات يوم أن جاء القصاب والطبيب لم يكن في عيادته وكان ولده في مكانه حيث كان يداوي الجروح بدل والده احياناً، وحين فتح الجرح وجد فيه عظمة فأزالها وداوى الجرح وذهب القصاب فبرئت يده، وحين افتقد الطبيب القصاب سأل ولده عنه، فقال له: إني أزلت عظمة كانت في جرحه، فقال له: لقد عطلت عملي بذلك أيها الغبي.

أسلوب الدول الاستكبارية :

فعملية وضع العظم داخل الجرح هذه عملية يمارسها الأوربيون الآن مع الشعوب في الحقيقة، فكلما أعطوا صناعة، وكلما أنجزوا عملاً للشعوب أنجزوه بشكل يجعل تلك الشعوب كذلك القصاب المجروح محتاجة اليهم وواقفة على بابهم دائماً وأسيرة لهم من أجل الحصول على قطع غيار أو مستشارين أو مهندسين أو أية امكانيات أُخرى، فمثلاً في الجهاز العسكري ، ومع أننا الآن في حال حرب ولا يمكننا التفوّه ببعض الأمور، لكننا نقول مثلاً بشأن القوة الجوية كان جلب الاجهزة المعقدة لتوجيه الطائرات المتطورة من

طراز (اف ـ ١٤) ونظام هوك الصاروخي وسائر الأجهزة المتطورة التي كانت حينذاك متقدمة في العالم حقاً، ثم جاؤوا بها الى ايران بشكل يجعل جيشنا يعجز عن اطلاق قذيفة واحدة لو ذهب الاميركيون، وبما يجعلنا لا نستطيع استخدام غير هذه المضادات الجوية الصغيرة فقط، أو نستخدم طائراتنا الصغيرة، هكذا كان يأمل أولئك، ولكن مما يبعث على السرور أن الشعب الايراني عمل في ظل ما يملكه من روح اسلامية وتعلم بعض الأُمور مع أنهم ابعدوه عن المواقع المطلوبة واوجد تحولات في هذه المجالات.

وحين كنا في الأيام الأُولى نزور المعسكرات ونلتقي الفنيين ورجال التوجيه الجوي نراهم يشعرون بالفخر إذ سمح لهم بالاقتراب من الطائرات وفتح اجهزتها المعقدة وتفحصها عن كثب، فكانوا يقولون ان هذا الأمر نصرٌ لنا ففي السابق لم يكن هناك عريف امريكي يسمح لضابط منا برتبة عقيد بالاقتراب من هذه المعدات وكانوا لا يريدون تعليم شعبنا أي شيء ، لقد كانوا يظنون أنهم لو ذهبوا فستعطل السفن والبوارج والمضادات الجوية والطائرات ومصانع الذخيرة وكل ما في هذا البلد، وكانوا محقّين في هذا، واليابانيون الذين ذاقوا مرارة الاستعمار ومايزالون يعانون من حضور الأميركيين في اوكيناوا يستخدمون الأسلوب نفسه في مصنع البتروكيمياويات الذي لدينا، والألمان يفعلون الشيء نفسه في صناعتنا الذرية، أما الروس الذين يزعمون تحرير البشرية ويحاربون الامبريالية الغربية، فمنذ أن توترت علاقاتهم معنا حين اعتقلنا أعضاء حزب توده صاروا يفعلون العمل نفسه في محطاتنا لتوليد الطاقة الكهربائية، فاسلوب الدول الاستكبارية مع شعوب العالم الفقيرة والمحرومة والتي أُبقيتْ متخلفة يقوم على أساس أن يقيموا معها العلاقات ويمسكوا برأس الخيط ولا يفشوا الدور الرئيسي ولا يعلموا نفخة صنع الكوز وينزلوا بالناس بلاءً ما بعده بلاء ، لذلك نرى هذه الصناعات التجميعية والمشاريع المهمة والأعمال المعقدة وإقامة السدود وأمثال ذلك في البلدان النامية مبتلاة بهم بشكل من الاشكال فضلاً عن قضية القروض وشراء المواد

الخام والأُمور الأُخرى، والاتفاقيات كما قلت جيدة جداً في ظاهرها والبلد يكون شاكراً لو أن اميركا مثلاً تفضلت وقبلت أن تأتي لتنجز هذا العمل. وعليه لابد أن يكون الشعب المظلوم شاكراً لذلك السيد الذي جاء وأنجز هذا العمل، وبهذه الطريقة يخضع للأسر ويوثقون يديه ورجليه وينزلون به هذه المصائب.

اكثر العداء مع الجمهورية الاسلامية :

الجمهورية الاسلامية سببت لهؤلاء الكثير من المرارة، وما كل هذا الاستياء الذي يبدونه تجاه الثورة الاسلامية والعداوة التي يكنونها لها اكثر من كل الثورات العالمية إلا لأنهم رأوا أن بلداً ثار ووقف على قدميه ونجح في حل المشاكل المعقدة التي قيدوه بها على يد الشاه، ومع انهم هرّبوا كثيراً من الأدمغة وغادر كثير ممن باعوا أنفسهم بلدهم وذهبوا هناك ليخدموا الغرب، فقد نجح شبابنا وشبّان حزب اللّه وقوانا المتخصصة والملتزمة في تشغيل الغالبية الساحقة من هذه المشاريع المعقدة، وكثير منها يعمل اليوم بأفضل من السابق، وكثير منها في طريقه الى الاصلاح، وهذه امور اصابتهم بخيبة أمل واذاقتهم المرارة، وهم يعتبرون هذه التجربة خطرة فهم يقاومونا ما استطاعوا لكي لا تغدو ايران قدوة في العالم فترى بقية البلدان مثلاً أن هذه الطريق سالكة، ومن المؤكد أن هذا الامر بحاجة كبيرة الى القوى المتخصصة والملتزمة والأفراد الدارسين حتى لو كان بعضهم بلا دين ولكن لديه شعور وطني وقومي واكثرهم لديه هذا الشعور، وهذه الطريق قد فتحت واصبحت سالكة بوجود قدوة كايران، على أية حال كما قلت في بداية حديثي فان العامل الرئيسي في هذه الحركة هو انعدام التقوى لدى تلك التيارات المشؤومة السائدة في العالم، واننا سننجح في بلدنا على أساس التقوى والمعايير الاسلامية وتوجيهات قائدنا العزيز ودعمكم انتم يا أبناء الشعب العظيم في أن نعرض إن شاء اللّه نموذجاً لكسر الاغلال وهدم الأسوار وإنهاك

السجانين ، وشعباً حراً وناضجاً في هذه المنطقة الحساسة من العالم ونتمكن في تحمل المشاكل التي يفرضونها علينا، فاذا حان يوم استرحنا فيه من شر صدام العفلقي في المنطقة ساعدنا البلدان الجارة لنا لتسلك هي سبيل الرقي أيضاً.

الخطبة العاشرة

الجمعة: ١٣٦٣/٨/٢٥ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم «ولباس التقوى ذلك خير» (الاعراف / ٢٦).

سعي الاستكبار من أجل تدمير ثقافة الشعوب:

قلنا في البحوث السابقة إن العنصريين الغربيين يريدون أن يغطوا بشعاراتهم المخادعة على حركتهم العنصرية الشائنة وتضليلهم غير البيض باسم المدنية والعلم والحرية وامثال ذلك، وشرحنا في الخطب السابقة بعض جرائمهم مثل الاسترقاق والاستعمار الرسمي والاستعمار الحديث وشن الهجمات العسكرية وتكبيل الشعوب عن طريق منح القروض واستعباد الناس عن طريق الاتفاقيات الاستعمارية، وفي هذه الخطبة سنشرح واحدة من أهم مؤامرات المستعمرين التي حيكت من أجل تكبيل الشعوب والإبقاء على هيمنة العنصر «الآري» على العناصر الصفراء والسوداء والحمراء وسائر شعوب العالم، وهذه المؤامرة تعد من أهم جرائم العالم الغربي والاستكبار العالمي بحق الشعوب المنكوبة والمكبلة، لأنها تعد فضلاً عن سابقتها التاريخية قضية الساعة وألم الشعوب الآن، وهذه المؤامرة تتعلق بسعي الاستكبار من أجل تدمير ثقافة الشعوب ومعنوياتها والقضاء على القيم

السائدة لديها وبالنتيجة إفراغ الناس من الدعائم المعنوية والقيم الانسانية الأصيلة، والمهم في الأمر أن هذه المؤامرة خطط لها من قبل وهي لا تعد حركة طبيعية، لأن المستعمرين توصلوا في حساباتهم الى نتيجة تقول إن كل مؤامراتهم الأُخرى مثل القروض وتوقيع الاتفاقيات والاستعمار الرسمي واستخدام القوات العسكرية والتجسسية وتنصيب عملائهم على البلدان الأُخرى قد تتعرض للإخفاق في مقابل القضاء على ثقافة الشعوب المظلومة وقيمها المعنوية. ولو أن الشعوب وقفت في يوم من الايام في وجوههم انطلاقاً من معنوياتها فبإمكانها تجريد الاستكبار من اسلحته، لذلك خطط المستعمرون بدقة لكي يسلبوا الناس دعائم حركة شعبية تقوم على أساس معنوياتهم وقيمهم ويقتلوا جذور مثل هذه الحركات، فبدأوا هجوماً مخططاً له بدقة على معنويات الشعوب وقيمها الروحية والنفسية والوطنية، ولهذا الهجوم سابقة طويلة ومايزال مستمراً حتى اليوم بأوسع مما كان عليه في الأيام الأول، وعلى شعبنا أن يدرك ذلك جيداً.

حادثة تاريخية وقعت في الاندلس :

تعد الثورة الاسلامية في ايران ثورة منقطعة النظير خلال القرن الأخير وهي تقوم بكل تأكيد على أساس القيم المعنوية والسماوية والنظام الإلهي، وقد استهدفت شريان الاستكبار وتقوم بنزع سلاحه الرئيس، ومن هنا ينبع بعض هذا التكتل والنزاع الشديد من الاستكبار الشرقي والغربي تجاه الجمهورية الاسلامية، فنحن نقارع الاستكبار في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها، لكن هذه الأمور تنقضي بسرعة في نظر أولئك وهم يعتقدون أنها ليست كثيرة الأهمية ويمكن التغافل عنها، واني اطرح اليوم في هذه الخطبة أمراً لا يمكنهم إغفاله وينقسم الى قسمين: الاول الأخلاق والثاني المعرفة والعلم والتقنية. وسأسعى لاخضاعه للبحث في خطبتين، سأتناول في هذه الخطبة قسم الأخلاق، فالاستكبار لم يستخدم هذا السلاح

حديثاً بل هو يستفيد من تجارب الماضي، فلابد وانكم سمعتم بأن المسلمين حين اتجهوا نحو الغرب واوربا ونجحوا في عبور جبل طارق والسيطرة على اسبانيا، أقاموا في الأندلس حكومة اسلامية، فحدث حينها نزاع بين الاسلام والغربيين، وصارت الحكومة الاسلامية في الأندلس منطلقاً لحركة ضخمة جداً في جنوب اوربا، ونجحت في الحصول على موطئ قدم للإسلام في تلك المنطقة وطرح هذه الرسالة في اوربا.

وعمل الأوربيون الكثير من أجل استعادة الأندلس، وكان من الأعمال التي قام بها المسيحيّون في هذا المجال أنهم هاجموا معنويات مسلمي الاندلس، فأدخلوا المشروبات الكحولية باسم التجارة، وآستخدموا الفتيات الأوربيات الجميلات وادخلوهن الى المحافل العامة والمتنزهات والمكتبات والجامعات في الأندلس التي كانت تعيش يومها معيشة مرفهة، ووضعوهن في كل مكان في متناول أيدي الشبان ، فنجحوا عن طريق النيل من اخلاق المسلمين في اضعاف دعائم الالتزام الاسلامي هناك ثم انتزاع الاندلس من ايديهم.

حتى كتبوا أن قساً زرع بستاناً واسعاً من الكروم وجعلها وقفاً وكتب في وثيقة الوقف: «ليصنع من محصول هذا البستان الشراب فقط ويوضع في متناول ايدي الشبان المسلمين» .

الى هذا الحد عمل أولئك بشكل مخطط ونجحوا أخيراً، وحين يقرأ المرء تاريخ الحروب الصليبية كذلك يرى أن النقاط التي نفذ منها الصليبيون خلال القرنين اللذين وقع فيهما النزاع كانت على الدوام نقاط الضعف الأخلاقي لدى المسلمين، فكلما كان المسلمون أضعف من الناحية الاخلاقية كان هجوم الصليبيين اكثر نجاحاً، فالعالم الغربي في الأساس كانت لديه دائماً نقاط ضعف من الناحية الاخلاقية، فقد كانت بين الغربيين دائماً حركة اخلاقية تهدف الى الحفاظ على العفاف الأخلاقي فكانت لديهم نقطة الضعف هذه دائماً، فتصدير انعدام التقوى والفسق والفجور والضعف الاخلاقي من الغرب قضية كان لها وجود في الماضي، وقد توسعت في القرون الحديثة وكنت قد

قلت في شرح معركة تبوك إن من ذرائع المنافقين الذين امتنعوا عن المشاركة في المعركة أنهم كانوا يقولون: إننا لو ذهبنا نحو الغرب فسوف تفيدُنا النساء الغربيات الجميلات، الى هذا الحد نجد سوابق لهذه القضية.

الهجوم الرئيس للاستكبار يستهدف الإسلام :

في الفترة الأخيرة كانت هذه الحركة حركة محسوب لها حسابها ومخطط لها ، حيث خططت لها وزارات المستعمرات في الدول الاستعمارية وهي تعمل وفقاً لتلك الخطط، فبعد «النهضة» التي حدثت في اوربا وبعد أن كُرِهت المسيحية في اوربا لدى الأوساط التقدمية والفئة المتجددة بسبب جرائمها والأعمال الشائنة التي ارتكبتها، طرح المستعمرون هذه القضية تحت عنوان «كراهية الأديان بشكل عام وكلي» وصدروا هذه الفكرة الى سائر مناطق العالم عن طريق الاتصالات التي كانت بينهم وبين تلك المناطق، ولكي يحقق المستعمرون أهدافهم نراهم يسعون فى البداية إلى زعزعة الأُسس الفكرية والعقائدية لدى شعوب البلدان المستقلة، وهم يبحثون عن النقاط التي تشكل الدعائم الفكرية للشعوب وعن سبب اتحادها فيشنون هجومهم على تلك النقاط .

فلو كان المقابل هندوسياً فهم يهاجمون الهندوسية، ولو كان بوذياً هاجموا البوذية، ولو كان مسيحياً فالمسيحية، ولو كان مسلماً فالهجوم الرئيس الذي يشنّه الاستكبار يستهدف العالم الاسلامي، فهم لا يرون في المسيحية والبوذية والهندوسية وفي أفكار من هذا القبيل خطر حركة جدية في مقابل الاستعمار، لأنّ هذه الاديان فارغةٌ ولا تحتوي على اي مضمون، أما اليهودية فهي بذاتها غارقة في الماديات والصهيونية تعد رفيق الاستكبار الرئيس في هذه العملية، والخطر الرئيس الذي يهدد هؤلاء هو العالم الاسلامي الذي يضمُّ اكثر من مليار انسان مع بحر من المعارف وهو الذي يتعرض لهجومهم.

والغربيون يهاجمون الاسلام في كتبهم واصفين إياه بدين السيف لكي

يضعفوا عن هذا الطريق افكار المسلمين الذين يتوقون للحرية، ويطرح الغربيون قضية حقوق المرأة والحجاب والعروبة وامثالها كأسلحة يضعفون بها أفكار المسلمين عامة والشبّان منهم بالخصوص، ولو ضعفت الأسس الاعتقادية للناس فلن يبقى بعد ذلك مكان للبنىٰ الفوقية الأخلاقية، لذلك نراهم يواصلون هذا العمل بشدة، وربما سمعتم بالقصة الشهيرة حول رئيس الوزراء الانكليزي الذي اعترف في البرلمان الانكليزي بصراحة قائلاً: «مادام القرآن يحكم المسلمين فان دعائم حكمنا عليهم ستبقى مزعزعة» ، هذا الكلام تجسيد لنمط تفكيرهم حيث جاء على لسان ابرز مسؤول في سياستهم الخارجية وفي برلمان انكلترا، ومن اهداف المستعمرين أن يهاجموا عقائد الشبان ولهذه القضية ابواب كثيرة حيث يعد المستشرقون الغربيون من وسائل هذا العمل، وكان المستعمرون يهاجمون اخلاقيات الناس ومشاعرهم وحتى في المجتمع الذي لم تتزعزع افكاره بعد. فانهم على حد قولهم يزعزعون المجتمع عن طريق البنى الفوقية وإفساد الشبان وايجاد الفسق والفجور، وهم يستخدمون وسائل كثيرة لبلوغ اهدافهم كالافلام والقصص والصحف والمسارح ومحافل الترفيه الكثيرة المنتشرة في العالم من قبيل سواحل البحار والكازينوهات ومحلات القمار وامثال ذلك.

كل هذه الأُمور هي هدايا الغربيين التي جلبوها لنا، وهي سلاسل يوثقون بها ارجل الشعوب، وآلات يقطعون بها أواصر الاتصال بين افراد المجتمع، ومن الأُمور التي أدركوا أنها أساس للوحدة في عالم المشرق، قضية الأُسرة.

الأُسرة أول أهداف الاستعمار:

ولكي يضعف الغربيون الأُسرة ويزعزعوا هذه القاعدة الاخلاقية الأساس والتي هي السبب الرئيس في تعزيز الأُواصر الاجتماعية ولها في الغرب قصة مؤلمة، نجدهم ينفّذون خطة شيطانية (وهذه الأحاديث التي اذكرها باختصار اهدف منها تنوير اذهان الشبان لكي يدرسوا بانفسهم هذه القضية ويعرفوا أي

بلاء ينزل بهم عن هذا الطريق) وقد توصل هؤلاء في علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع لديهم الى نتيجة مفادها أن افضل بوابة لدخول الافكار غير الاسلامية وغير الاخلاقية، وأمضى سلاح لتدمير معنويات المجتمع هي أن يدخلوا عن طريق «النساء» ويستخدموا المرأة الرقيقة وسيلة لتنفيذ نواياهم المشؤومة لبلوغ اقسى المشاهد العنيفة في الحياة.

وقد جعلوا أنفسهم قدوة في ذلك، ومما يجدر قوله أن ليس هناك (في اوربا) أي أمل في المعنويات على هذا النحو، وقد شنوا هجوماً عن هذا الطريق (نحن نرى مع الأسف آثاره في ارجاء العالم الاسلامي في شكل بلاء مدمر) وهم يتسترون بقناع خادع يسمونه المساواة بين حقوق المرأة والرجل، وحرية الرجل، ومكافحة سيطرة الرجل على المرأة وامثال ذلك من الشعارات البرّاقة فأنزلوا بالشعوب بلاءً والله أعلم كم ينبغي لهذه الشعوب السعي لكي تتمكن من انتشال انفسها من هذا المستنقع الذي اوقعوها فيه، انهم اوقعوا المرأة في مستنقع آسن لا يسهل انتشالها منه، واغرقوا الرجال في المستنقع نفسه، وخلقوا ظروفاً ترون أمامكم جوانب منها، وجعلوا البلدان الأوربية قبلة للفئة المرفهة في العالم والدارسين والفنّيين والمتخصصين والاثرياء والحكام والرؤساء والشخصيات لكي يذهبوا الى البلدان الغربية فيروا هناك أماكن لذاتهم ومجونهم.

ولكي يخدعوا أولئك الذين لديهم شيء من الفكر، طرحوا شيئاً باسم فلسفة «فرويد» حيث وقعت الشيوعية في شراك هذه القضية المشؤومة أيضاً.

إلا أن الشيوعية في القسم الأول أي في مجال زعزعة الأسس العقائدية تعد أقوى ضربة من الغربيين وهم مشتركون في هذه الناحية، فالشيوعية تعمل في الأساس على رفض المعنويات وحصر كل حياة الانسان فى المادة وآثارها، ورفض الروح الآخرة والقيامة والغيب وامثال ذلك، ولو أراد بعض الشبان التمرّد قليلاً على النظام الغربي المتهرئ فانهم يفسدونهم من هذه الجهة ويلقون بهم في المستنقع.

فعمل الشيوعية أخطر من هذه الناحية، لكن الشيوعية سارت خلف العالم الغربي حيث يعود ماضي هذه القضية الى ما قبل الشيوعية، فالمادية في الاساس نبعت من الغربيين أنفسهم، ثم جاءت بعد ذلك الى روسيا وبلغت ذروتها، فهؤلاء يضعون الأُسس ويتعاملون بهذه الصورة.

والظروف أصبحت الآن بشكل جعل الجامعات والمختبرات الكبيرة كلها هناك، وعلى الطلبة المتفوقين والذين يريدون دراسة الفروع العلمية الجيدة أن يذهبوا الى هناك، وعلى الأدمغة المهمة لكل بلدان العالم أن تذهب الى هناك، واذا ذهبوا الى هناك فسوف يتعرضون في الجامعات والمطاعم والملاهي والشوارع وفي كل مجالات الحياة الى قصف إعلامي يجعل افكارهم مادية وشهوانية ومتورطة في الخلاعة والفساد والاستهتار فيعودون الى بلادهم ملوثين.

والذين ذهبوا الى العالم الغربي يعرفون أي بلاء نزل بهم، إنهم يتخذون من المرأة عارضة أزياء في واجهات المتاجر فلو كان لدى النسوة هناك ذرة من الاحساس لكان عليهن ان يثرن ويقلن: اننا لم نخلق لهذا، فهل هذه هي حرية المرأة؟ والذين سافروا الى البلدان الأوربية رأوا النساء العاريات في واجهات المتاجر وقد عرضوهن للناس كفواحش، وفي البلدان الاسكندنافية مثل السويد والدانمارك والنرويج نراهم يعتمدون أساساً على بيع فتياتهم الشابات وعرض نسائهم كمصدر مهم لتوفير العملات الصعبة وهم يصرحون بذلك دونما خجل، وحين دار في مجلس نوابهم جدال من أجل منع هذه (الخلاعة) قال معارضوا المنع: هذا مصدر لتوفير العملة الصعبة لنا، فانظروا كيف تحولت السيدات في تلك البلدان الى حجر وحديد ونحاس وسجّاد ينبغي استخدامه لتوفير العملة الصعبة حيث حوّلوهن الى بضائع تأتي بعائدات من العملة الصعبة، وقد استخدموا بشكل مخطط سواحل البحار شمالي البلدان الأوربية والبحر المتوسط كمصادر ضخمة لتوفير العملة الصعبة، ويعبّر الأوربيون أنفسهم عن ذلك بالقول: ان البلدان الاسلامية توفر العملة الصعبة بواسطة نفط

مناطقها الرملية واننا نوفر العملة الصعبة بواسطة فتياتنا الشابات على سواحل البحار، أي إن الفتاة الأوربية تعادل اليوم نفط العربية السعودية، وهؤلاء السيدات يتصورن أن الفتيات الاوربيات هنَّ قدوتهن، هذه هي طبيعة الفنانات التي يسلط عليهن الإعلام الاضواء بهذا القدر في الافلام الغربية ويظهروهن وكأنهن يجسّدن شخصية المرأة، وهذه هي الأعمال التي يمارسها العالم الغربي.

انه يستغلُّ هذه الناحية ويرسل هؤلاء الى بلداننا لكي يلوث بلداننا وشعوبنا لكي لا تتمكن من اثبات وجودها تجاه تلك المؤامرات الجبانة.

ومما يؤسف له أننا وجدنا في ايران بعض الذين انهوا دراستهم والمراكز الجامعية واساتذة الجامعات والعائدين من اوربا هؤلاء الذين يفترض فيهم أن يتقدموا الآخرين ويحافظون على استقلال البلد، قد صاروا يدعون الى مثل هذه الأُمور.

الفساد والتعري في عهد الطاغوت :

لا تدرون أي بلاء نزل في عهد الشاه على هذا الشعب المظلوم من هذه الناحية، وأية مظاهر عرضها هؤلاء في هذه الجامعة وفي اطراف هذه البقعة الخضراء التي جلستم عليها اليوم لتستمعوا الى خطبة صلاة الجمعة، وكيف كان صفهم الدراسي في الجامعة التي انشئت من أُجل كسب العلم ونيل الاستقلال؟ اعيدوا الى ذاكرتكم مشاهد الماضي قليلاً لتروا الى أي شيء كانوا قد حولوا المرأة في ايران، لقد نسوا كل جمال المرأة ولطافتها ورقتها وعاطفتها التي ينبغي أن توجه نحو زوجها وأطفالها ومنزلها لكي تضيء داخل منزلها، وألقوا بها في الشوارع، وبدل أن تكون النسوة مصابيح في البيت اصبحن مصابيح لعبّاد اللذة والسائبين حول الحدائق وسواحل البحار وفي الشوارع والمطاعم والملاهي.

جسدوا في اذهانكم صورة النسوة في عهد الشاه (وأقصد الرديئات منهن)

لتروا كيف كنّ، حين كانت احداهن تريد الخروج من المنزل كانت تسكب على وجهها كل ما كان مصنوعاً للتجميل لأنها كانت تريد الذهاب الى الشارع، كن يتبدلن من رؤوسهن وحتى اقدامهن وحين كن يعدن الى المنزل كن يرمين جانباً كل هذه الأشياء الطارئة ولم يكن يبقى منهن إلا عفريت خلا من كل شيء ، ولم يبق لها إلا اظافر طويلة كمخالب القط كانت مضطرة لادخالها في كيس لئلا تخرّش جسد زوجها أو تجرحه .

وليس هذا المشهد رواية خيالية، بل هو واقع المرأة الذي فرضوه على هذا الشعب، ايتها السيدات، لاسيما الدارسات منكن من معلمات وطبيبات، واللواتي تخرجن في الفروع العلمية! إعلمن جيداً أن هؤلاء غيّروا شخصية المرأة، واستخدموا كل الوسائل لتحويل هذه الوسيلة لتعزيز الاسرة الى وسيلة لتدميرها، فهل إن هذه المرأة التي صوّرْتُها الآن تحفظ الأسرة؟ وهل هي تُطَمْئِنُ قلب طفلها؟ كلا ! انها قادرة فقط على تلبية طلبات تائه في الشارع، هذا النوع من النساء قدّمه الغربيون لنا. وقد تمرّد عليهم اليوم، فقد وجدت في احدى المجلات صورةً من الدنمارك التي هي من مراكز اجتذاب السواح بهذا العنوان حيث يعرضون فيها اكثر العلاقات بين الرجل والمرأة حرية من أجل جذب السواح والعملات الصعبة، وكانت الصورة لتظاهرة كبيرة نظمتها الفتيات، وكان عددهن كبيراً، ومنهن الطالبات والمعلمات وربات البيوت، حيث تظاهرن في شوارع كوبنهاگن وحملن لافتات كتبن عليها: «إننا نكره هذه الحرية التي منحتموناها، أعيدوا الينا زينتنا، اننا نفضّل أن نبقى في المطابخ على أن نذهب الى المطاعم، بدل كل هذه المحال التي تعرض الأمور الجنسية، اعرضوا الكتب للناس» هذا الذي فعلته النسوة هناك، فالنسوة اللواتي كن يعشن في اوكار الفساد تلك أصبحن يدركن الآن أية خديعة انطلت عليهن، ونحن علينا هنا أن نتحدث مع النسوة المسلمات ونطلب اليهن مراعاة الحجاب، اني لا أعلم أي بلاء عظيم نزل بالعالم الاسلامي والعالم الثالث، فحين يذهب المرء الى افريقيا السوداء حيث يعاني ستة ملايين حبشي في

اثيوبيا من الجوع يجد هناك عدداً من هذه الراقصات والنجمات (اللواتي أسموهن نجمات سود) يحرفن الناس، وفي اميركا واوربا وسائر مراكز الفساد أخذوا هؤلاء السود وحولوهُنَّ الى نجوم، على أية حال إن الجانب الاكثر حزناً في هذا الأمر هو الجهل والأُمية حيث قتلوا المعنويات والمعرفة لدينا ولدى العالم الثالث، وخلاصة حديثي أن أحد الأعمال الخطرة جداً التي ارتكبها عالم الاستكبار الغربي بحق هذه الشعوب من أجل استمرار هيمنته الاستكبارية والاستعمارية هو قضية سلب المعنويات والاخلاقيات، وزعزعة أُسس الاسرة، وتحويل فئة النساء التي ينبغي لها أن تكون وسيلة لتعزيز المجتمع والمنزل وتلطيف معيشة المجتمع؛ الى بضاعة مدمّرة، ووسيلة لاستمرار هيمنة الأجانب، ومن حسن الحظ أن الجمهورية الاسلامية هي الثورة الوحيدة التي تبدي ردود فعل تجاه هذا الأمر وتفخر بذلك أيضاً، وقد بلغ الأمر أن أصبحت هذه القضية واضحة لدينا حتى أن أخانا حجة الاسلام والمسلمين جوادي آملي قال إنه كان عائداً من اوربا وحين اقتربت الطائرة من الحدود الايرانية نهض أحدهم وقال: لقد وصلنا اجواء الجمهورية الاسلامية فضعن الستور على رؤوسكن.

وقد يتحدث اولئك في الطائرة بهذه القضية بطريقة ساخرة، لكن هذا اكبر مفخرة لنا، وهو وثيقة تقدمنا وهو نقطة بدء هجوم الغربيين من أجل افراغ المجتمع من محتواه الاسلامي، واننا في هذه النقطة قارعنا هؤلاء وان شاء اللّه سوف تكتسب سيداتنا ذلك القدر من الاحساس الذي يمنعهن من التحول الى وسيلة لممارسة الاجانب هيمنتهم على بلادهن، ولهذا السبب نؤكد على التقوى لاسيما في هذا الجانب اكثر من الجوانب الأُخرى. أي التقوى في الأُمور الجنسية وفي العلاقات الاسرية والاجتماعية لاسيما التقوى التي تعد أساس تعزيز بلادكم وأساس تقدمها واستقلالها، وسلب القدرة من الاستكبار العالمي وهي تقوى مختصة بكم، فاحفظوا هذه المفخرة أيها الشبّان لاسيما أنتن أيتها السيدات، واني أرجوكم أن تهتموا بهذه الأحاديث التي كانت

مختصرة جداً ولو وجدتموها ضعيفة من حيث الاستدلال فاخبروني بـذلك، ولكني اعتقد أن الذين يفكرون قليلاً يفهمون أن الأفـضل لخـلاص بـلدهم ومحاربة اعدائهم أن يراعوا العفة والحياء والحدود التي ارادهـا اللّـه، انـنا لم نطلب منكن أن تغطين وجوهكن لكي لا ترين شيئاً من الخارج، ولم نطلب منكن أن لا تخالطن المجتمع ولا تدرسن ولا تكتسبن العلم ولا تتنزهن ولا تسافرن ولا تقدن السيارات ولا تراجعن الدوائر الحكومية، لم نطلب أياً من هذه الأمور منكن، فيمكنكن المشاركة مثل الرجال في كل الأعمال عدا حالة أو حالتين قد تفضّل الاسلام عليكن فيها بسبب ما تتحملنه من مسؤولية في المنزل، ولكن احذرن وافهمن هذه النقطة جيداً.

الخطبة الحادية عشرة

الجمعة: ١٣٦٣/٩/٢٣ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين.

اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم» عباد اللّه اوصيكم بتقوى اللّه.

تركزت البحوث في الخطب السابقة على العدالة الإجتماعية بشأن العناصر البشرية المختلفة، والمظالم التي ارتكبها العالم الغربي بحق العناصر من غير البيض، وكان آخر فصل طرح بهذا الشأن أن الغربيين شنوا من أجل تعزيز هيمنتهم هجوماً شائناً وغاشماً على معنويات المجتمعات من غير البيض وثقافتها ومازال هذا الهجوم مستمراً، حيث يعد نهب الثروات المعنوية لشعوب العالم غير الأوربي من أسوء آثار الاستكبار والاستغلال والاستعمار، وينبغي شرح هذه القضية والتفكير في حلٍّ لها لأن أُسس سيادتهم المادية وهيمنتهم السياسية تتوطد فيما لو نجحوا في القضاء على معنويات المجتمعات المختلفة، وقد نجحوا في ذلك مع الأسف، ولكي نتحرر من ذلك علينا في البداية السعي من أجل اعادة معنويات المجتمعات المستضعفة اليها، لأن القضايا الأُخرى ممكنة الحل، وقد قلت في الخطبة السابقة إن الاستكبار بدأ عمله منذ قرون من أجل تنفيذ هذه المؤامرة واستخدم في ذلك أساليب

عديدة.

ويتعلق جانب من المعنويات التي ذكرتها بالقضايا الأخلاقية والانسانية، ويتعلق الجانب الآخر بالمعنويات العلمية والفنية والأُمور التي من شأنها أن تؤدي الىٰ التكامل المادي أيضاً.

وفي الجانب الأول من المعنويات الذي شرحته قلت إن من الأعمال المهمة التي مارسها المستعمرون؛ مهاجمة معتقدات العالم غير الأوربي لاسيما العالم الاسلامي، لأن المعتقدات الاسلامية فعّالة في التصدي لهم، وقد تقدّموا في هذه المرحلة حتى مارسوا اختلاق الأديان أيضاً، وما ايجاد فِرَقٍ كالبهائية والشيخية وأمثالهما وتحريضها للانقضاض على العالم الاسلامي، ومزاعم المهدوية التي تلاحظ في ارجاء العالم الإسلامي إلّا فروع لهذه الشجرة الخبيثة، وبعد فترة شعر المستعمرون أن إضعافهم الأُسس العقائدية أدى الى بروز عامل مشترك بينهم وبين الماركسيين، أي إن أُولئك يعملون الشيء نفسه، ويقوم عملهم على أساس سلب الناس دينهم، وحين بلغ هجوم الماركسية ذروته وجد الغربيون أن إضعاف دين الناس سيفسح في المجال لمنافستهم أي الماركسية، فهؤلاء سيسلبون الناس دينهم ثم يأتي أُولئك فيدخلونهم في الماركسية .أي أنهم يجعلون اللادينيين ويجعلونهم سياسيين، وبذلك أخذ يهدد الغربيين خطر مزدوج، وهو أنهم لو عززوا معنويات الاسلام فسوف يكون الاسلام خطراً عليهم، ولو أضعفوها فسوف تحتل الماركسية مكانهم، لذلك خططوا لنمط خاص لا جدوى فيه وهو إضعافهم المعنويات الأصلية والأُسس الفكرية مع الحفاظ على الشكل الظاهري المتمثل في زيارة محمدرضا شاه مراقد الأئمة وذهابه الى مكة وتوزيع صوره وهو مُحرِم، أو أداء صدام السفّاك الصلاة الى جانب مرقد الامام الحسين (ع) مع أنه لا توجد شعرة في جسم صدام تعترف أساساً بالامام الحسين (ع) أو الاسلام، ومبادئ حزب البعث معادية للاسلام، أو تأييد امثال النميري للاسلام، أونشر الاسلام في بعض البلدان الآسيوية، فهم يعتقدون أن الدين علاقة أخلاقية بين الانسان واللّه ولا

ضرر في ذلك، لذلك نرى نتيجة هذا النمط من التفكير أن يظهر السادات في الافلام وفي احدى يديه مسبحة وفي الأُخرى قلادة كلب زوجته فيما تقف وراءه زوجته حاسرة الرأس.

سلب شعوب العالم الثالث معنوياتهم هدف جدّي للعالم الغربي :

هذا النوع من الاسلام هو الذي يريد الغربيون نشره وهم عاكفون على هذا العمل بوقاحة، وهذا هو الشكل المتكامل لمؤامرة الغربيين الحمقاء ، وإلّا فقد كانوا قبل ذلك يحاربون الدين بطريقة أسرع، فيوم نصبوا رضا خان على ايران واتاتورك على تركيا كان هدفهم القضاء على أساس الدين الاسلامي، وحين يتذكر المرء الأيام الأُولى للحركة المعادية للاسلام التي بدأها هذان العنصران في وقت واحد وفي أهم منطقة من العالم الاسلامي وفي قاعدة قوتين اسلاميتين سابقتين أي الصفويين والعثمانيين، يرى أنهم كانوا يريدون تنصيب عناصر مثل رضا خان واتاتورك خلفتين لتلكما الحكومتين، ففي تلك الظروف لم تكن هناك حاجة للتظاهر كما هو الحال اليوم، فهذا التظاهر يخصّ الوقت الحاضر حيث اصبحت الماركسية خطراً عليهم.

على كل حال البرنامج العميق والجاد الذي اعده العالم الغربي هو سلب شعوب العالم الثالث معنوياتها، وكان العالم الاسلامي هدفهم الاول لأن الاسلام خطر عظيم عليهم.

وقلت في الخطبة السابقة إن قضية المرأة كانت من وسائل الغربيين المهمة جداً حيث كانوا قد استنتجوا ذلك من معلوماتهم العلمية في مجال علمي النفس والاجتماع، وأهم وسيلة يستخدمونها في هذا المجال في ارجاء العالم وفي كل الأحوال؛ إفساد السيدات وفئة النساء في المجتمعات المختلفة، وهو بلاء عجيب انزلوه بالعالم غير الاوربي، واني إذ أُواصل هذا البحث بسبب الأرقام والمواضيع الجديدة التي ارسلها اصدقاؤنا من اوربا خلال هذه الفترة وكذلك بسبب النقاشات الفكرية التي حصلت عن طريق الهاتف والرسائل

مما بعث شعوراً بالحاجة الى مزيد من البحث في هذا المجال، فبعض الذين يرغبون في السعادة ولكنهم على خطأ طرحوا قضية تقول ان هذه المفاسد التي تقولون إنها سبب تعاستنا منتشرة في اوربا نفسها ايضاً ولا نجد هناك هذه الأُمور، فانتم تقولون أن دعائم الأُسرة تزعزعت هنا، ولو كان الأمر كذلك فلماذا نرى الأوربيين يمارسون كل هذه الأعمال وأسرهم متماسكة وليست القضايا الجنسية في اوربا مطروحة الآن كمشكلة على الإطلاق، وانتم الذين تخوفوننا،مثل هذا النمط من التفكير سائد بين بعض المثقفين ظاهراً والمتغربين والذين يعارضون حزب اللّه، وليس الأمر أن هؤلاء كلهم يعتقدون في الأصل أنهم يرتكبون اعمالاً تخريبية ، بل ان كثيراً منهم يظن أننا على خطأ وأن سبيل السعادة هو الذي يؤمنون به، مثل هؤلاء الأفراد حين يرون في الظاهر متاجر اوربا واميركا مليئة بالبضائع، والشوارع والمنازل والحدائق والحافلات انيقة الظاهر، وكل الأجهزة تمارس اعمالها بشكل جيد؛ يظنون أن الأُسرة والمجتمع متماسكان في اوربا وأميركا، فمواطنونا الذين يسافرون الى الغرب لا علم لهم بما في داخل المجتمع هناك، فهؤلاء يزورون الفنادق والمتاجر ويقيمون هناك علاقات مع بعضهم أو يرون مظاهر الفساد في الملاهي وسواحل البحار ولا يرون شيئاً آخر خلف هذه الأُمور، والغربيون انفسهم لا يرغبون فيأن يدعوا ما في داخلهم يظهر للعيان، واني اعتقد لو أن المجتمع الغربي لم يمتلك هذه المؤسسات الرصينة التي تحول دون وقوع الانفجار وكان وضعه كوضعنا، فسوف يتبعثر هذا المجتمع بشدة وينزل بهم بلاء لا يعلمه إلّا اللّه وها أنا أشرح شيئاً من ذلك.

لقد أرسلوا إلي مؤخراً ثلاثة اعداد من مجلة شبيغل الالمانية صدر أحدها في ٢٦ كانون الأول من العام الماضي والآخر صدر في اواسط شهر مايس من هذه السنة واواخره، والثالث صدر في حزيران، وقد كتبت في احد هذه الاعداد مواضيع حول وضع الأُسرة في اوربا واميركا، وانذرت بالخطر، وقد احتوت هذه المجلة على قضايا وصور شائنة لا يمكن ذكرها وساكتفي بقدر

منها لكي يفهم هذه الأُمور المتغربون والذين يظنون أن لا وجود للفساد خلف الأُمور الظاهرية للعالم الغربي .

جانب من فجائع العالم الغربي :

المواضيع التي جاءت في عددين من المجلة المذكورة تتعلق بـالشؤون الداخلية للأُسرة من حيث اوضاع الأطفال، ويتحدث العدد الآخر عن النسوة اللواتي هربن من جوّ الأُسرة بسبب الفساد والمشاكل ولجأن الى ملاجئ النساء في المانيا، وقد وردت في المجلة احصائيات رهيبة حقاً،فقد حلّلت شبيغل اوضاع الاطفال وتوصلت الى نتيجة تقول إن وضع الجنس والاخلاق الجنسية في المجتمع الغربي في اميركا وأوربا والبلدان التي تدور في فلكهما قد بلغ من السوء مبلغاً جعل الماجنين من الذين يريدون التنويع أو الذين لا تكفي أموالهم لممارسة المظاهر الشهوانية ، ينقضون على أطفال اسرهم، فصار الاطفال الصغار في أُسَرِ الأوربيين أنفسهم أسوأ ضحايا هذه الحركة الجنسية الشائنة في العالم الغربي ، وهذا الاحصاء الذي سأذكره ورد في مجلة شبيغل وينقل جانباً من فجائع العالم الغربي.

تقول المجلة حول اوضاع الاطفال في اميركا :

«في كل دقيقتين يتعرض طفل للاعتداء ، وفي كل يوم يعاني (٧٢٠) طفلاً صغيراً من هذا الظلم الذي لا يطاق عن هذا الطريق وأغلب هؤلاء الأطفال بنات» .

أمامجلة نيوزويك وهي مجلة اميركية فقد نقلت هذا الرقم مضاعفاً وذكرت أن خمسمئة ألف طفل يتعرضون للاعتداء في اميركا سنوياً، وتنقل المجلة نموذجاً لذلك فتقول إن (١٢٥) طفلاً تبلغ اعمارهم السنتين من اطفال دار حضانة صغيرة في كاليفورنيا تعرضوا خلال عشرة اعوام لاعتداء مربيهم ومعلميهم.

كل هذا ونحن نظن هؤلاء مجتمعاً مستقراً، والذي ذكرته ورد في العدد

(٥٢) من مجلة شبيغل الصادر في ٢٦ كانون الأول عام ١٩٨٣ حول أميركا .

احصاء عن انتشار الفساد بين الأُسر الالمانية :

حين حققوا في ولاية راين لند فالد الألمانية حول وضع الاطفال الذين نُظِّمَتْ لهم ملفات وجدوا أن ٣٦٫٨ ٪ من الاعتداءات الجنسية وقعت من قبل الأقارب الذين يشكل الآباء عشرة في المئة منهم ، وأزواج الأُمهات ٦٫٩٪ ، وأصدقاء الأُمهات ٦٫٩٪ فيما يشكل ١٫٥٪ منهم الاجداد اولئك الدببة العجائز، ووقع ٣٫٨٪ منها من أصدقاء الاسرة ، و ٤٫٦٪ من الأعمام والأصدقاء، و ٣٦٫١٪ من المعارف كالمعلم والجار والبوّاب وأمثالهم، هذا هو وضع الأُسر الأوربية، ونحن حين نطلب الى بعض نسائنا أن يحكمن حجابهن قليلاً يتصورن أن الحضارة هي التي لدى هؤلاء ، هذا هو حال حضارتهم وانكم حين تسافرون الى أوربا لا تقرأون هذه الصفحات من شبيغل وحين تريدون قراءتها تقرأون اعلانات الملاهي والمطاعم والمراقص وغيرها لكي تعثروا عليها، ولو أردتم أن تقرأوا حقاً فهذه المواضيع موجودة في الصفحات نفسها.

وجاء في المجلة أن كثيراً من الاطفال يمارسون الاعتداء والسرقة وغيرها عمداً لكي يدخلوا السجن ويستريحوا من البيئة العائلية ومن شر أمثال هؤلاء ، وتذكر المجلة احصاء كبيراً عن مثل هؤلاء جاء فيه أن طفلة صغيرة كانت كل يوم تأتي قبل بدء الدراسة بساعتين أو ثلاث وتقف عند باب المدرسة المغلق وهي ترتجف من البرد وألبستها لم تكوَ، فعجبوا من أمرها وحين ذهبوا ليحققوا في الأمر وجدوا أنها تفعل ذلك فراراً من والدها لأن أمها تذهب الى عملها مبكراً فلا تستطيع هذه الطفلة البقاء في المنزل، ولما كانت تنام ليلاً بملابسها خوفاً من هذا الأب لذلك لم تكوِ ألبستها، هذا ما كتبته شبيغل وحذرت الأُسر الالمانية من خطره، وهذا الجزء الأخير الذي ذكرته عن المانيا ورد في العدد (٢٩) من مجلة شبيغل الصادر في السادس عشر من تموز عام ١٩٨٤ أي قبل عدة أشهر.

وجاء في العدد (٢٠) للرابع عشر من مايس عام ١٩٨٤ أن نحو خمسين عائلة من بين (٥٢١) عائلة أجروا بشأنها احصاءً في العام الماضي في بوسطن في اميركا قالت إن ما لا يقل عن عضو واحد منها قد تعرض في سن الطفولة للاعتداء ، وقالت (٢٥٠) عائلة من بين (٥٠٠) عائلة أننا نعرف بين اقاربنا اطفالاً تعرضوا للاعتداء وكان ٣٧٪ من هؤلاء دون سن السادسة، فانظروا أية حيوانات موجودة في العالم، وما أشد حيونتهم، والى أي شيء تحول هؤلاء ، انهم خنازير ودببة، فماذا تفهمون عن طبيعة هؤلاء ؟ وقد قال ١٥٪ منهم أن أحد والديه كان يعاني من هذا الأمر في الطفولة، وسألوا عن اسباب هذا الفساد فذكروا أن معظمها الكحول والافلام الجنسية وأفلام الفيديو التي وضعوها تحت تصرفهم في المنزل، وقد تحدث أحدهم وهو من أُسرة عمالية عن حاله فقال: إني أجلس في البيت ساعتين أُشاهد فيلماً في الفيديو ولا أملك أية وسيلة لإطفاء غريزتي، لذلك اتورط في هذه الأُمور، هذه هي الحياة في اوربا واميركا التي تعدّ في نظر متغربينا الجنة على الأرض.

هذا هو وضع هؤلاء ، إنهم يعيشون هذه الحال، هذا هو وضع اسرهم وذلك هو وضع بيئتهم لكنهم مع كل هذا يفضلون هذه الأُمور ويقولون دع ذلك يحدث لكي نحصل على العملة الصعبة، دع العامل التركي أوالعربي أو الأفريقي أو الهندي الذي يعمل اعمالاً شاقة في مصانع فرنسا وانكلترة وفي مناجم الفحم ويتقاضى عدة دولارات يأتي بنصف هذا المبلغ ويصرفه على هذه الأُمور ولو كلف ذلك تدمير أُسر هؤلاء ، فالدولار والعملة الصعبة والمال والاقتصاد تعَدُّ دعائم الحياة لدى هؤلاء وبها يديرون كل امورهم حيث انشأوا منظمات لأنفسهم من أجل ذلك .

وضع النسوة في المجتمعات الأوربية :

وجاء في العدد نفسه من المجلة المذكورة أن في المانيا ثلاثة ملايين (احسبوا في اذهانكم ثلاثة ملايين وانظروا كم هو هذا الرقم) امرأة قد ضربن

في البيت وهربن من أزواجهن ، ولم يعد لهن مكان في اسرهن، فصرن يعشن في ملاجئ النساء المشرّدات،فكم هو كبير هذا الرقم؟

أما عدد اللواتي لم يذهبن الى تلك الملاجئ فأكثر من ذلك بكثير، فثلاثة ملايين امرأة ألمانية تعشن الآن في مثل هذه الملاجئ بسبب ضرب أزواجهن لهنَّ، واصبحن لا يطقن جوَّ الاسرة الذي لا تفاهم فيه، والى هذا الشكل آل أمرهنَّ ، وجاء في المقال نفسه أنه حين يحلُّ عيد رأس السنة يتضاعف عدد زُبن الملاجئ هذه لأن القضايا الأخلاقية تزداد ضَعفاً في أيام العيد، هذه هي حياة المجتمع الأوربي الذي تتصورونه جنّة في اذهانكم، فلو قال أحد حراس الثورة لإحداكن في الشارع أحكمي حجابك قليلاً يا سيدتي ولا تظهري نصف شعرك هذا، ولا تُري صدرك للآخرين، وعيشي قليلاً مثل الناس المحترمين، فإن ذلك يعود عليكن بالنفع، ولا يضايق لذاتكن، ولا يضايقكن في حياتكن العائلية المحلّلة ، انه رحمة لكنَّ وانتن اللائي على خطأ، ولو رأيتن العالم لايتوافق مع الجمهورية الاسلامية فهو لهذا السبب، ولو رأيتن أنهم يسخرون قليلاً من الحجاب فهو لهذا السبب، انهم لا يتحملون ثورة قارعت هؤلاء السلطويين تعزز دعائم شعبها، لنمزق تلك الشباك التي حاكوها منذ أول عهد حكم رضا شاه حيث تصوروا أنهم يربوننا لنصبح مثلهم، ونعيد الى النساء عفتهن وبراءتهن ونثبت دعائم الأسرة التي يتركز فيها أساس سعادة معيشة الناس، ونحن نريد الحفاظ على هذه الأُسس رصينة، وعليه فلنا اعداء مع أن لذلك أسباباً أُخر أيضاً لكنني أتحدّث الآن في هذا الجانب ، على أية حال يجب علينا التأكيد على التقوى، فحين يقول القرآن لنا «**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**» فليست هذه مسألة لفظية، لأن المتقين لا يسقطون في بئر الويل هذه أبداً، والأطهار لا تبلغ بهم هذه الحال النكدة أبداً، ولو أن امرأة متقية لا تعرف هذه الأمور التي اتحدث عنها وتعجز عن ذكر مفاسد هذه الجرائم على لسانها فمع ذلك نجد أن فطرتها وورعها الذاتي يحفظانها من هذا التيار الرهيب لذلك نؤكد ونحن مضطرون دوماً لتأكيد الحفاظ على التقوى.

مسببو اشعال الحروب في ارجاء العالم:

وهناك آثار أُخر في المجتمعات الغربية تختص بها، وإلّا فماهي نتيجة مثل هذه المعيشة، فذلك الطفل الذي تعرض في طفولته للضغط هكذا واكتسب عقدة الحقارة، يغضب على من حوله وحين يكبر يتحول الى عنصر خطر، فلا تعجبوا إن قلنا اليوم إن الجرائم ترتكب في ارجاء العالم على ايدي هؤلاء المجرمين الذين يتظاهرون بطبيعة هادئة ومحبوبة، فهم يتحدثون بهدوء فيعجب المرء ويقول أية ملائكة هؤلاء ؟ وكم يحبون البشر؟ فهل رأيتم ماذا فعل هؤلاء التعساء في الهند؟ وهل كان ذلك أمراً هيناً؟ ولو رأى أحد في التلفزيون ألسنة اللَّهب المتصاعد من احتراق جثث الهندوس الذين ماتوا من تسرب الغاز من المصنع الاميركي[1]، لو رأى ذلك أي ذئب لتأثر له قليلاً لكن هؤلاء الأميركيين يسعون الآن من أجل انقاذ مسببي الحادث من الحكم الذي ينتظرهم، هؤلاء هم انفسهم أولئك الأطفال المشردون الذين تربوا في الملاجئ بتلك الصورة، فمع تلك الأمهات ومع تلك البيئة التربوية لا تبقى لهؤلاء أية عاطفة انسانية.

هؤلاء هم الذين يشعلون نار الحروب في ارجاء العالم، في افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، والمذابح التي ترتكب في كمبوديا والتي ارتكبت في فيتنام وكوريا وتايلند، والمظالم التي تقع في الهند، والجرائم التي ترتكب بحق

١- في مساء ١٩٨٤/١٢/٩ حدث انفجار في مصنع «يونيون كاربايد» الذي تملكه الشركات متعددة الجنسيات مما أدى الى تسرب الغازات السامة الى خارج المصنع، واثر هذه الحادثة الرهيبة لقي الآلاف من الأهالي المظلومين مصرعهم في مدينة «بوپال» مركز ولاية «ماريا پرادش» التي يقع فيها هذا المصنع، وأصيب منهم نحو (٢٠٠٠٠٠) باصابات مثل العمى والتقيؤ والحروق وغيرها، فضلاً عن ذلك يرى الخبراء المختصون أن الآثار السيئة الناتجة عن تسرب الغاز ستبقى لمدة طويلة على الحيوانات والنباتات.

المسلمين في افغانستان، والجرائم التي ترتكب بحق أهالي اريتريا، وبحق اهالي الصحراء ، والحرب المدمرة التي اشعلوها ضد ايران عن طريق العراقيين، والحرب التي مازالت مشتعلة منذ سنين في اطراف فلسطين، كل هذا السفك للدماء يرتكبه هؤلاء ، وهؤلاء مسببوه الأصليون، وهم يتصورون أنهم يعملون عملاً حسناً لأن طبيعتهم الذاتية هكذا، وطينتهم عجنت بهذه الصورة، والشيء نفسه يفعلونه باقتصاد الشعوب ايضاً، فهؤلاء الذين يقبلون أن يأكلوا حق أهل بنغلادش الذين يعيشون في غاية الفقر من أجل أن تزداد خضرة ساحات كرة القدم لديهم مثلاً، لماذا أصبحوا هكذا؟ فالذئب نفسه لا يصبح هكذا، السبب هو أن أُسرهم كانت على هذا الوضع، وارتكبت مثل هذه الأعمال معهم في الطفولة، وبهذه الصورة تعرضوا للحقارة وتولدت لديهم العقد فصاروا كائنات كهذه، وليس كلهم هكذا بالطبع، ففي اوربا الآن اناس شرفاء في الجامعات ومراكز البحوث وفي كثير من الأماكن يبذلون الجهود ولم يتلوثوا بهذه الأمور وأولئك هم الذين يحافظون على هؤلاء بعض الشيء ، فلو لم يكن أولئك الناس الذين يشكلون جزءاً ملحوظاً من سكان اوربا، ولو لم تكن تلك الأدمغة لكان الويل بعد ذلك، فاولئك الشرفاء موجودون لكن الذين يحكمون ويمسكون بزمام السلطة السياسية والاقتصادية هذه هي طبيعتهم التي ذكرت نماذج منها، والى هنا انهي هذا الجانب من البحث، أما الجانب الآخر الذي يتناول القضايا المعنوية وغيرها فهو في حاجة الى خطبة أُخرى وسأتحدث عنه فيما بعد ان شاء اللّه .

الخطبة الثانية عشرة

الجمعة: ١٣٦٣/٩/٣٠ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، **«إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم»**، أُوصيكم عباد الله بتقوى الله.

تحدثنا في الخطب السابقة.بعض الشيء حول الهجوم الثقافي الذي شنه العنصر الأبيض على عناصر العالم الأُخر والظلم المعنوي العميق الذي وقع عليها من هذه الناحية، وفي هذه الخطبة سأُقارن بين تعامل الاسلام وتعامل العنصريين الغربيين مع معنويات الفِرق والشعوب والعناصر الأُخر، وقد ذكرت في الخطبتين السابقتين كيف شن العنصر الأبيض الظالم خلال الأعوام الخمسمئة الأخيرة هجوماً مكثفاً على معنويات الآخرين وقيمهم الانسانية من أجل إضعاف اسس المجتمعات غير البيضاء وسرى بعض ذلك اليه ايضاً، وقلنا من قبل، إن الغربيين مارسوا أساليب كثيرة لاضعاف معنويات الشعوب التي كانوا يريدون استعمارها، ومنها الاساليب الاعلامية والاقتصادية والنفسية، وأهم اسلوب مارسوه هو اسلوب التغلغل الى قطاع مهم من القوى الانسانية (فئة النساء) حيث شرحت ذلك.

وفي هذه الخطبة اطرح نقاطاً أُخرى حول القضايا الأخلاقية والمعنويات، ثم اقارن بعد ذلك بين تعامل الاسلام مع سائر العناصر، وتعامل الغربيين مع الشعوب غير الغربية لتتوضح هنا أصالة الرسالة الاسلامية، ويثبت كم هي

شاملة وإنسانية وتمتلك جذوراً فطرية وبرامج لكل أبناء البشر.

ارسال الاشرار الى البلدان الخاضعة للنفوذ :

من النماذج الأُخرى التي يجب علي شرحها باختصار بشأن الهجوم الثقافي للعنصريين الغربيين، سياسة اتخذها العالم الاستكباري في بداية عهد الاستعمار وماتزال آثارها باقية في العالم غير الأبيض ولا يجوز لنا ان نغفل عنها وهي ارسال الاشرار والقوى البشرية الفاسدة والمفسدة الى المناطق غير الاوربية وهي من أعمال الغربيين السيئة جداً جداً وعليهم أن يدفعوا للبشرية ضريبة هذا العمل في يوم من الايام، فحين بدأ هؤلاء استعمار العالم غير الاوربي ، وضع شياطينهم خطة عبّر عنها ساستهم بأنها «أصابت هدفين بسهم واحد» وكان الهدفان يضران المجتمع غير الأوربي، لقد جمعوا الأشرار والأوباش الذين كانوا يضايقون مجتمعهم والمحكومين بالحبس مع الأشغال الشاقة والعناصر غير القابلة للاصلاح الذين كانوا في مؤسساتهم ، وارسلوهم الى ارجاء العالم كرجال لوزارة المستعمرات، فانظروا ماذا تفعل هذه السياسة، إنهم اراحوا أنفسهم أولاً من مشاركة فئة مفسدة كانت تسبب لهم المتاعب وتفسد في منطقتهم دائماً ، ثم صَدَّروا هذا الفساد الى البلدان الأُخرى.

واني اكتفي بذكر عدد من النماذج في هذا الصدد لترواكم كان هؤلاء قساة في هجومهم الثقافي الهادف الى القضاء على معنويات الشعوب الأُخرى، لقد كانت انگلترة قد خصصت لأميركا التي كانت من مستعمراتها حصة سنوية تبلغ ألفين من الاشرار من الدرجة الأُولى لترسلهم الى هناك وكان هؤلاء بشكل عام من السجناء الذين لا يمكن العفو عنهم مما أدى الى احتجاج فرانكلين[1] الذي قال: إنكم حولتم اميركا الى مزبلة لانگلترا ولهذه القضية

١- يُعَدُّ «بنيامين فرانكلين» السياسي والفيزيائي الاميركي من قادة تحرير اميركا واستقلالها، وقد أقر عام ١٧٧٤ بعد جهود حثيثة لائحة تشكيل «جيش المتطوعين للقضاء على سكان اميركا الاصليين» وفي عام ١٧٥٧ كلفته الجمعية

قصة تاريخية، حيث أبدى الانكليز نوعاً من المقاومة ولكنهم تراجعوا آخر الامر وانتقلوا بسياستهم هذه الى افريقيا، وكانت البيئة في كثير من المستعمرات الأفريقية بدرجة كبيرة من الرداءة لذلك لم يكن هؤلاء الأشرار المحكومون بالحبس مع الاشغال الشاقة يرضون بالبقاء هناك فكانوا يهربون، لكنهم بقوا في بعض الأماكن مثل جنوب افريقيا التي يحكمها البيض حيث يسود في تلك البلاد اليوم التمييز العنصري البغيض جداً، وكانت استراليا من المناطق التي حظيت بالاهتمام، وقد جاء في الكتب التي أُلفت بهذا الشأن أنهم أرسلوا الى هناك مئة وستين ألف شرير أنكليزي، فانظروا ماذا سيفعل الـ (١٦٠) ألفاً من المستعمرين الفاسدين والمفسدين الذين يملكون قوة الاستعمار حين يدخلون جزيرة، وكيف يمكننا أن نتوقع بعد ذلك أن يتقدم المجتمع هناك نحو الصلاح.

وكانت جزيرة «ساموا» باستراليا محطة لتفريغ الأشرار والمحكومين الألمان، وقد أرسل البرتغاليون من الأشرار الى انغولا ما جعل أحد علماء الاجتماع الاوربيين (من البرتغاليين أنفسهم) يخاطب أهل البرتغال يوماً بقوله: لتخجلوا ولتقولوا لزعمائكم وساستكم إن من المخجل أن نحول بلداً مستقلاً ومظلوماً الى مزبلة للبرتغال، ما ذنب أولئك حتى يدفعوا ثمن جرائم اشرارنا التي يمارسونها في حياتهم، كان هذا وضع هؤلاء ، وقد شن أحد المفكرين الألمان هجوماً عنيفاً في البرلمان الالماني على ساسة المانيا واستوضحهم واثر ذلك مثل مسؤول المستعمرات الالمانية في البرلمان وقال: اننا حين كنا نرسل الاشرار لم تكن في ايدينا حيلة غير ذلك.

العمومية بابلاغ البلاط الانكليزي مطالب الشعب الاميركي واستغرقت هذه المهمة خمسة اعوام، وفي عام ١٧٧٦ اعلن استقلال اميركا مما أدى الى معارضة بريطانيا واعلانها الحرب على اميركا واستطاع فرانكلين اخيراً بتحالفه مع فرنسا هزم انكلترا عام ١٧٨١ وتثبيت استقلال اميركا.

وصف الاوربيين لرجالهم الموفدين الى المستعمرات:

قال ملك بلجيكا «ليوپارت» في احدى خطبه الرسمية التي عوتب عليها: بصفتي ملك بلجيكا لا اسمح لنفسي أن أرسل الافراد المنزهين واصحاب الرقّة واللطافة والشرف الى المستعمرات، ان كنتم تريدون مستعمرات فينبغي أن يرسل اليها هؤلاء الأشرار.

ويعبر الاوربيون أنفسهم عن رجالهم في المستعمرات بأنهم «مجموعة من ارذل الناس وافسدهم واسوئهم خلقاً على مرالتاريخ وعلى وجه الأرض» وبهذه السياسة وبهؤلاء الناس هاجموا بلدان العالم الأخرى وبلغ الأمر أن خطراً جديداً أخذ يهدد الأوربيين وهو الجيل «الهجين» فحين كان هؤلاء الأوباش يذهبون الى المناطق الأُخرى كان من الطبيعي أن يجدوا أمثالهم (من النساء) فيعيشوا معهن.

وحين كبر الجيل الهجين وعاد الى أوربا صار يشكل تهديداً حقيقياً لها وبلغ الأمر أن أقروا قانوناً منعوا بموجبه اقامة علاقات جنسية بين الموظفين في المستعمرات والنسوة المحليات في البلدان المستعمرة، ويبدو في الحقيقة أن هؤلاءهم ناشرو الفساد في العالم وقد خططوا ويخططون للفساد فقط، وكان المستعمرون الغربيون يعلمون أن معنويات البلدان الخاضعة لهم سوف تؤدي يوماً الى تصدي الناس لهم، لذلك عملوا على استئصال جذور المعنويات التي تتحلّى بلدان العالم الأُخرى بها ، وهذا الجيل الذي ترونه اليوم يرتكب المظالم في أميركا بهذه الصورة ويتصرف بهذا الشكل مع شعوب العالم هو من ذلك الأصل، هذه هي ممارسات اوربا وأعمالها، وهي مع كل هذا تعتبر نفسها مصدر حضارات العالم وتصف نفسها بأنها رائدة الحضارة في العصر الحديث، وليست هذه الأُمور التي انقلها مما كتب في الكتب الايرانية، بل هي خلاصات لكتابات كثيرة كتبها الاوربيون أنفسهم، فقد ألف شخص ـ كان يقدم برنامج بانوراما فيالتلفزيون الألماني وطردوه من هناك بسبب هذه الأقوال ـ كتاباً بعنوان «ماذا فعل البيض؟» وترجم ذلك الكتاب الى الفارسية ايضاً،

وجاء في الكتاب أن برنامج البيض الغربيين كان يهدف في الأساس الى افساد العالم، وقد وضعوا هذه السياسة كخطة للمستعمرات حيث سرت اليهم أيضاً، لأن هذا العمل كانت له ردود فعل، فلاحظوا الآن في مقابل هؤلاء طريقة الاسلام في التعامل.

نظرة الاسلام الى الشعوب والعناصر البشرية :

الاسلام يسعى لإنقاذ سائر ابناء البشر بالمقدار نفسه الذين يشفق به على اتباعه من الناحية الاخلاقية والانسانية، فالاسلام جاء في الأساس من أجل اصلاح الفاسدين، فالصالحون لا يحتاجون إلّا الىٰ المحافظة ، فالآية الكريمة تقول في مقطع منها: «**من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**» وفي المقطع الآخر تقول: «**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**»[1] والتي وردت في القرآن، يقصد منها حسب ما ورد في كثير من التفاسير والروايات: الإحياء المعنوي والقتل المعنوي، فبناء انسان سالم من أي عنصر أو نسل أو دين يساوي لدى الانسان إحياء كل أهل الأرض، هذا هو برنامج الإسلام، واننا لمْ نر الاسلام يسمح لتيار سياسي اسلامي بالتغلغل بين اعدائه من غير المسلمين لكي يفسدهم ويصيب مجتمعهم بالخواء من الداخل، مثل هذا العمل غيرمسموح به في الاسلام اطلاقاً، ليتنبّه العالم الى هذا الذي أقوله، فأنتم المسلمون تعرفون قدر دينكم، ولكن ينبغي علىٰ العالم أن يتنبّه لذلك، فمثل هذاالاتجاه الفكري(الاسلام) هو الذي يصلح لرفع لواء الحضارة في العالم، لا ذلك الاتجاه الذي يرى المصالح في لون البشرة والدم والحدود والأرض والعَلَم، فالانسان هو الهدف، وها أنا أذكر نماذج لذلك.

فقد وردت في القرآن آيات كثيرة بهذا الشأن، تطلب بالحاح من أتباع اليهودية والمسيحية وحتى المشركين أن يعملوا وفق اخلاقياتهم ومذهبهم ولا

١ـ المائدة / ٣٢.

يحرفوا دينهم، انه كلام غير هين أن يضغط الاسلام من أجل انقاذ الذين كانوا يشهرون السيوف ضده ويطلب اليهم العمل وفق دينهم، ففي بعض آيات سورة المائدة يلوم القرآن اليهود والمسيحيين ويقول إنهم اتبعوا الفسق والفجور وانهم لا يطبقون تعاليم التوراة والانجيل وانهم يأكلون «السحت» ويرتكبون الاعمال الشائنة الأُخرى، ثم يلوم القرآن علماء الدين المسيحيين واليهود ويسألهم عن سبب عدم تطبيقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح هؤلاء فيقول: **«لو لا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون»**[1] فقارنوا بين هذا النظام وذلك النظام الذي يشعل حرب الأفيون في الصين لكي يختق ذلك الشعب، انظروا الى القرآن الذي يسأل علماء الدين المسيحيين والرهبان والاحبار لماذا لا يمنعون اتباعهم عن الكذب وأكل الحرام، ثم يقول: **«ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»**.[2]

أي أنه يطلب الى المسيحيين أن يطبقوا التعاليم العملية للانجيل ويطلب الى اليهود تطبيق تعاليم التوراة.

فكمايعاتب القرآن المسلمين على اكلهم الربا فانه يعاتب أيضاً اليهود الذين كان الربا محرماً في دينهم في الواقع ويسألهم لماذا يأكلون الربا ولماذا يكذبون، هكذا يتعامل القرآن مع هؤلاء.

وفي سورة آل عمران آيات كثيرة بهذه المضامين التي قلتها اذ يقول في احد المواضع: **«ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك»**[3] ثم يقول القرآن: **«بلى من اوفى بعهده واتقى فان اللّه يحب المتقين»**[4].

١- المائدة / ٦٣. ٢- المائدة / ٦٦. ٣- آل عمران / ٧٥.

٤- آل عمران / ٧٦.

مدعو الحضارة الغربية مفسدو الشعوب:

هذه التقوى نفسها التي يريدها القرآن للمجتمع الاسلامي يريدها للمجتمع اليهودي والمسيحي أيضاً، وهذا أمر رائع جداً، قولوا لمدّعي الحضارة الغربية اليوم انكم إذ تنوون افساد الشعوب الأُخرى بالشراب والصور المفسدة، لا تصلحون لرفع راية الحضارة في العالم، انكم تنظرون الى البشرية وكأنها «ضرة» لكم، ولا ترغبون في سعادتها، والاسلام هو الذي يصلح لهذا الأمر الخطير، ففي تلك الأيام التي تعاضد فيها المسيحيون واليهود مع المشركين ضد الاسلام وعادوا المسلمين كان النبي الأكرم (ص) يصنع وسائل لاصلاحهم ويفكر في اصلاحهم بدلاً من أن يصنع عملاء يتغلغلون بينهم ويفسدونهم ويفجرونهم من الداخل.

انظروا ماذا يقول فقهنا حول الكفار الذين يقبلون على الاسلام ويعتنقونه، يقول فقهاؤنا إن ذمة هؤلاء مبرّأة اذا كانوا يؤدون وظائفهم الدينية حين كانوا على دينهم، أي اننا نقبل بشكل مبدئي الذين يعتقدون بدين أو اتجاه فكري اذا كانوا اهل تقوى ويؤدون وظائفهم الدينية. ونؤكد على ذلك حيث كان القرآن يؤكد ذلك للمشركين، فحول التحريم الذي لدى المشركين والذي ورد في سورة الانعام، حيث حرم المشركون اكلات على أنفسهم وحللوا اكلات أُخرى، يسألهم القرآن عن سبب هذا التحليل وذلك التحريم ويهديهم لكي لا يأكلوا ما يضرهم ولا يحرموا المحللات على أنفسهم ولا يظلموا أنفسهم بذلك.

التقوى أساس السعادة:

وبرنامج الاسلام الرئيس يقوم في الأصل على أن الانسان الطاهر والمتقي (ولو كان على أي دين لا نعترف به) نافع في المجتمع، فالانسان السليم في المجتمع يعدُّ الدعامة الرئيسة لسعادة البشر، عكس الانسان الفاسق والفاجر سواء كان مسلماً أو مسيحياً أو من أيّ دين آخر فانه مضر للمجتمع، فحين يطرح هذا المنطق الانساني بهذه الصورة، فان ذلك يثبت جيداً قيمة هذه

الرسالة وعالميتها وأنها تتحدث بعيداً عن الأهواء والرغبات.

ولأنقل شيئاً من داخل بلادنا وهي نقطة طريفة جداً، فإني حين اطرح هذه البحوث حول الأخلاق والقضايا الجنسية وحفظ الحجاب وامثال ذلك فان الذين أقصدهم بشكل عام ليسوا الثوريين والمتمسّكين بالاسلام، فهؤلاء الأفراد صالحون بذاتهم، فهناك في مجتمعنا فئة متدينة تحمي الثورة وتدافع عنها، وهؤلاء يراعون الحجاب ويراعون الأخلاق وهؤلاء يطبقون كل ما نريده وكثير منهم افضل منا أيضاً .

بل كل هذا الهم الذي نحمله ونلقي عليكم من أجله الخطب، وكل هذه الجهود التي يبذلها حرّاسنا في الشوارع، وكل هذه الدوريات من دوريات ثار اللّه والدوريات الأُخرى التي تجوب الشوارع وتدعوا النساء إلى العفة والورع، وكل هذه الدعوات التي نوجهها للمتاجر ومحال بيع الألبسة لمراعاة ذلك، وكل هذه المكافحة التي نمارسها ضد الأعمال غير الأخلاقية، كل هذا موجّه في الاغلب الى الذين لا يُسَرُّون بالثورة، هذا العمل الذي نقوم به قد لا يتلاءم من الناحية السياسية مع السياسة المتبعة في العالم، وهذه نقطة ينبغي الاهتمام بها كثيراً، واني ارجو من الأصدقاء ومن الاعداء معاً، من مؤيدي الثورة ومعاديها أن يتنبّهوا ويروا أين تكمن الفضيلة الانسانية.

فالسياسة المتبعة في الدول الاستكبارية والحكومات الفاسدة هي أن يدفعوا معارضيهم نحو الفساد، وهذا العمل صحيح من الناحية الدنيوية، فانهم يعملون طبق قاعدة ٢×٢=٤ ويقولون لو أن الفئه الفلانية المعارضة لنا تورطت مثلاً بالهيروئين أو المشروبات الكحولية وآرتادوا المراقص والملاهي ومواخير الفساد فسيعتزلون السياسة، هذه هي سياسة تتبعها الحكومات المادية وطلاب الدنيا وعملاء الاستكبار، وانكم تتذكرون جيداً نظام الشاه ، أو في الأقل ، نحن الذين واجهناه نتذكره فحين كان رجال السافاك يعتقلون الشبان المسلمين ويستجوبونهم كان مما يقولونه لهم في التحقيق: اننا قد اعددنا لكم كل وسائل اللهو هذه فلماذا تُعرضون عنها وتُعرِّضون انفسكم للسجن ، فهذه

هي قصور الشباب والملاهي والبلاجات والشوارع والفصول الدراسية فاذهبوا وتمتعوا بالملذات، وقد حدث لكثير من أولئك الشبان أن قبض عليهم في وكر مع فتاة فلو نبهوا رجال السافاك أو صدّق أولئك بأن هؤلاء كانت بينهم علاقات جنسية غير مشروعة لأُطلقوا سراحهم في الحال، هكذا كان هؤلاء ، كانوا ينوون افساد ابناء المسلمين وحتىٰ الشبان الشيوعيين، وعلى هذا المبدأ نفسه تقوم سياسة اشاعة وسائل المجون وسياسة تشجيع التهريب، وتوزيع المخدرات هذه.

سياسة الاستكبار العالمي هي اشاعة وسائل المجون:

حين هزم الفرنسيون في الجزائر ، حلل أحد ساستهم اسباب تلك الهزيمة قائلاً: «لو أننا أنشأنا في الجزائر نوادي للرياضة العنيفة مثل الملاكمة، أو نشرنا مراكز الفساد الى الحد الذي يجعلها في كل مكان في متناول أيدي البنين والبنات، لما حملوا السلاح ونزلوا الى الشوارع ولجأوا الى الجبال لكي ينقضُّوا علينا» . هذه هي السياسة التي يمارسها الاستكبار العالمي في كل مكان.

ولو أننا كنا طلاب دنيا، فمعارضونا بشكل عام من الضعفاء أخلاقياً والمعادون للثورة في ايران هم بشكل عام من غير المتدينين، أو من الأثرياء الذين يشعرون بالخطر على ثروتهم، أو المتحلّلين الذين لم يكن لهم دور في الثورة أو لا يتلاءم الوضع مع مجونهم، لكنا نفتح طريق الفساد لهؤلاء ، لكننا لا نفعل ذلك.

واني كمسؤول مع غيري من المسؤولين نشعر بالألم لو أن فتاة مسلمة تورطت في وكر وفسدت ثم انتهى بها الأمر الى مراقص باريس اكثر من تألمنا فيما لو بقيت هذه الفتاة هنا وحاربتنا في الجامعة، اننا لا نود أن يلقى ابناؤنا هذا المصير، وهو علينا صعب جداً جداً، ومما يؤسف له أن سبيل محاربة الجمهورية الاسلامية أصبح بهذه الصورة، فمنذ يومين أو ثلاثة بدأت احدى صحف باريس تكتب عن اوضاع المعادين للثورة الذين تورّطوا في الخارج

وهي أوضاع يرثىٰ لها، والصحيفة تصور أوضاعهم بطريقة محترمة جداً، فهؤلاء المساكين تورطوا في أُمور أُخرى، والمعلومات التي تصل تدل على أن الذين بدأوا عملهم خلف واجهة النضال ضد اميركا أصبحوا الآن خدماً في مراقص باريس وأميركا، وصاروا يقدمون هناك النبيذ ولحم الخنزير للزُبن وهم يمدون أيديهم للحصول على عدة سنتات من النقود، وهكذا وقعوا في هذا الطريق الفاسد، وهم يعانون من أجل توفير معيشتهم العادية، وقد سقطوا في ذلك الوادي السحيق.

هذا هو أُسلوبنا، أي اننا نطالب معارضينا بأن يسلكوا سلوكاً صحيحاً من الناحية الاخلاقية ولو كانوا يعارضوننا، لكن هذه الطريق اعوجت مع الأسف، انهم يتصورون أنهم يحاربون الحكومة بالظهور بلا حجاب، أو بإنشاء مرقص سري في أحد المنازل، أو باستيراد شريط جنسي مبتذل مثلاً، أو شريط موسيقى ماجنة وتوزيعه بين المسلمين، فلو كان لدى هؤلاء شعور لأدركوا أنهم كلما غرقوا مادياً في هذه المستنقعات فسيحدُّ ذلك من تحركهم السياسي، والكل يعلم ذلك، وهذا في الحقيقة من غباء السياسة المعاصرة، صحيح أنه مؤلم في نظرنا، واننا نعتبر هذا الأمر خسارة، اننا نفضل أن لا يتورط هؤلاء بالهيروئين والأفيون والسفور، ولا يتحولوا في الأوكار الى أُناس باعوا انفسهم، ولا يتشرّدوا في مطاعم اوربا وأميركا وآسيا وملاهيها، ولا يتحولوا الى سماسرة للفساد في تركيا وتايلندوامثالهما، إننا نفضل أن يبقوا هنا ويعارضونا ويكتبوا ضدنا الشعارات أيضاً عن ان يتشرّدوا في البلدان ويغوصوا في تلك المستنقعات، دعوا هؤلاء الشبان المسلمين يبقوا هنا ليصلحوا بعد ذلك شيئاً فشيئاً.

اننا لا نرضى أبداً أن يسلب انسان جوهرة الانسانية الأساس. على أية حال هذه هي سياسة الاسلام، وهذا هو واجبنا الديني، إننا جئنا من أجل اصلاح البشر والحفاظ على المعنويات، ولا نرضى أن يقع في هذا البلاء حتى اعداؤنا، ولا نرضى أن تقع في هذا الفساد حتى اميركا، ولا نرضى أن تقع فيه اوربا، ولا

نرضى أن تسلب في مكان جوهرة الانسانية الاساس من إنسان حتى لو كان عدواً للجمهورية الاسلامية في ايران وعدواً لنا شخصياً لكي تهبط قيمته السياسية، فهذه خسارة لنا، وخسارة للمجتمع، وخسارة للبشرية، وهذا هو الفرق بيننا وبينهم، اننا نشاهد الآن الأيام الحالكة التي بلغتها أوربا، فاوربا اليوم لا تحفظها إلّا مؤسساتها الرصينة تلك، إضافة الى عدد من ذوي الشرف الذين يعملون في الجامعات والمختبرات والأماكن الأُخرى ويحمون بلدانهم.

وقد بعثوا الي بأحد اعداد مجلة صف (حيث يرسلون الي أحياناً بعض المواضيع حين اتناول مثل هذه البحوث) وهي مجلة تصدرها الدائرة العقائدية السياسية في جيش الجمهورية الاسلامية في ايران وقد صدر هذا العدد قبل شهرين، حيث نقلت المجلة موضوعاً كُتب في صحيفة فنلندية حول اوربا، وهو تكملة للموضوع السابق، فانظروا أي وضع بلغته اوربا، فلو كنا نحن نمتلك هذه المفاهيم والافكار فذلك لكي لا يؤول بنا الأمر يوماً الى ما آل اليه هؤلاء التعساء فنسقط مثلهم.

الوضع المأساوي لاوربا:

لقد نقلت المجلة عن صحيفة فنلندية قولها: «إنهم شكوا بشاحنة مبردة على الحدود الفرنسية السويسرية، فاوقفوها فوجدوها مملوءة بجثث الأجنة الذين لم يولدوا بعد، أي الاطفال الذين اسقطوهم وأجهضوا أمهاتهم، حيث جمدوهم كاللحوم المجمدة، وقد اسفرت التحقيقات عن أنّها تعود لشركة ضخمة متعددة الجنسيات فلم يجرؤوا على مواصلة التحقيق، لكن محامياً تجرّأ وواصل التحقيق فاكتشف قصة مؤسفة في العالم الاوربي، ولكن مما يؤسف له أنهم منعوا نشر الأخبار حول هذه القضية لأن وسائل الاعلام العامة في اوربا خاضعة لهذه القوى الاستكبارية والاستغلالية والاستعمارية المشؤومة وإلّا لثار الضجيج حولها بمقدار ماثار حول قضية بوپال في الهند التي ذروا فوقها الرماد، وهذه القضية مهمة جداً حيث كشفت عن قصة مؤلمة تحدث اليوم في

العالم وهي أن اجهزة الاجهاض التي انشأوها في المستشفيات والمستوصفات الخاصة للفتيات الاوربيات (واللواتي يلجأن الىٰ الاجهاض مرات قبل الزواج كما تفيد الاحصاءات) تحولت الى مركز انتاجي للعالم الغربي، حيث اصبحت هذه الأجنة المجهضة والمنعقدة من الحرام أو غير الحرام مادة اولية للمصانع الراقية لانتاج مستلزمات التجميل في العالم، فباللّه عليكم انظروا كيف تسقط البشرية الى الهاوية.

اننا نعود اليوم الى ما قبل ألف واربعمئة سنة فنلوم الجاهلية العربية لأنهم كانوا يئدون بعض البنات في بعض القبائل ويحق لنا ذلك أيضاً والقرآن الكريم يقول: «**واذا المؤودة سئلت**»[1] ، لكن العالم المتحضر المعاصر يعد في جامعاته وفي مدارسه الثانوية وفي مستشفياته وبواسطة هؤلاء الذين اكملوا الدراسات العليا من البشر الذين ينبغي أن يبقوا ويتكونوا ويصبحوا بشراً، وعن طريق الاجهاض، مواد اولية لمستلزمات التجميل من أجل النسوة الراقيات في العالم، ويملأ عن هذا الطريق جيوب السماسرة والمجهضين وامثالهم.

وقد سمعت من احد المصادر تقريراً آخر يقول إن الجدل قد دار حول هذا الأمر في احد المراكز الثقافية الاوربية فقال أحد مفكريهم: وماذا يضير في ذلك؟! فعالم اليوم عالم الانتاج، وبإمكان هذا الأمر أن ينفعنا بمقدار ما ينفع منجم للفحم الحجري في اقل التقادير. هذه هي اوربا التي يتصور ابناؤنا هنا أنهم سيصادفون فيها ملائكة.

هذه هي نهاية هذا المذهب الفكري الذي يقوم من أجل هيمنته السياسية باخراج الأشرار من السجون وارسالهم الى البلدان البريئة والمظلومة والمنكوبة في ارجاء العالم لكي يفسدوها، وقد نقل عن قائد احدى الوحدات الفرنسية في الجزائر قوله: ان أربعة افواج منا كانوا من الذين خيرناهم بين السجن والحرب في الجزائر، وكان أولئك من اشرار الجيش الفرنسي الذين لم

١ـ التكوير / ٨.

يكن هناك أي أمل في اصلاحهم فقلنا لهم إما أن تمكثوا في السجن أو تحاربوا في الجزائر، فهذه هي قواتهم العسكرية، هؤلاء اناس غير صالحين بل فاسدون وبلا تقوى وعبيد للدنيا ويزعمون الكثير من المزاعم. جلسوا هناك وكلما عمل أحد عملاً في منطقة من مناطق العالم وصموه بمعاداة حقوق الإنسان أو مخالفة الدبلوماسية العالمية أو مخالفة الأدب الدولي وهم يصدرون أحكامهم حول كل شيء إلّا حول أنفسهم وحول العناصرالفاسدة الأُخرى التي انزلت كل هذا البلاء بشعوب العالم، ومايزالون ينزلون اليوم، وسوف نبحث فيما بعد الأبعاد الأُخرى من هجومهم الثقافي، فهؤلاء القوم وهذا التيار الاستكباري يرفع اليوم لواء الحضارة البشرية في العالم ويرى كل من يخالف هذه الحضارة وفي أي مكان متوحشاً أو شبه متوحش، والأدهى من ذلك أن هؤلاء الأوباش الذين كانوا يخرجونهم من الزنزانات ومن الأعمال الشاقة ويرسلونهم الى هناك كانوا حين يأتون الى استراليا أو الهند أو الصين يتقاضون مخصصات التوحش، أي حين كان يتسلّم أجره يتسلم معه مبلغاً اضافياً لأن الأهالي متوحشون.

فهل هؤلاء متوحشون أم أولئك؟

الخطبة الثالثة عشرة

الجمعة: ١٣٦٣/١٠/٢١ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

ألحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم»، اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه.

بلغ بنا البحث في الخطب السابقة حول العدالة الاجتماعية الى بحث العدالة في العلاقات بين العناصر البشرية، واوردنا نماذج كثيرة عن عدالة الاسلام الاجتماعية في تعامله مع العناصر البشرية، والمظالم التي ارتكبها العالم المادي المعاصر بحق العناصر غير البيضاء ، وكان آخر فصل أُخضع للبحث هو الظلم الثقافي والمعنوي الذي ارتكبه العنصر الاوربي الأبيض بحق العناصر الملونة خلال الأعوام الخمسمئة الأخيرة، وقلت إن هذا الهجوم الثقافي حدث في قطاعين أحدهما قطاع العقائد والاخلاق الذي يعد الدعامة الرئيسة لسعادة المجتمعات البشرية حيث يعد سلب المعنويات أسوأ ضربة توجه الى البشر، والقطاع الثاني يتعلق بالهجوم العلمي، حيث تعد كل الحيل والأحابيل الهادفة الىٰ الابقاء على جهل الناس وإبقائهم اسرى للفن الاوربي من نتائج هذا الهجوم الخبيث والشائن.

وقد بحثنا في عدة خطب في الهجوم على العقائد والأخلاقيات واستنتجنا أن العالم الاستكباري مسؤول عن الضعف الأخلاقي الذي يعاني منه العالم

اليوم حيث سرى اليه هذا الضعف الأخلاقي أيضاً، اذ لا يمكن فصل البلدان المختلفة عن بعضها لذلك نراهم اليوم قد وقعوا في هذا المستنقع الذي اعدوه لسائر الشعوب.

ولكي تعود الى ذاكرتكم البحوث السابقة أشير اشارة عابرة الى تلك المسائل.

فمن اسباب عداء العالم الاستكباري للثورة الاسلامية هذا الاتجاه المعنوي الذي تسلكه الثورة، وهم بالطبع منزعجون اذ قطعت أيديهم عن مصادر ثروتنا، وبسبب فشل سياستهم وبسبب فقدانهم عملاءهم هنا، ولأن بؤرة الجهاد ضدهم قد بدأت عملها في ايران، لكن هناك نقطة جرحتهم كثيراً فصاروا يتصرفون كالأفعى الجريحة ، وهي بدء الجمهورية الاسلامية هجومها على سبب الفساد الذي كان متمثلاً بلا أخلاقية النظام السابق، وهم يعتبرون الحركة الأخلاقية للمجتمع الاسلامي والرسالة الاسلامية ونداءها الاسلامي الى مسلمي العالم المتمثل في الدعوة الى الاسلام والعفة والورع والأخلاق والتقوى، خطراً كبيراً عليهم، لذلك يكرّسون كل مساعيهم من أجل اضعاف هذه الجوانب الاخلاقية والمعنوية والعقائدية في الثورة، وما حدث في الايام القليلة الماضية حيث ركّزوا كثيراً في وسائل الاعلام الاميركية على قضية اجتماع عدة نساء متحللات قرب البيت الأبيض وثنائهن على روح ذلك المقبور المتجبر المعادي للدين، نموذج على غضب هؤلاء ، وبعض الصحفيين الذين دعوناهم لمشاهدة نتائج عمليات هلالة وميمك [1] كتبوا بعد عودتهم مقالة في المجلات والصحف الأوربية الشهيرة (حيث ظهر ذيل الديك من تحت ردائهم اللامبارك) مما يدل على تحسُّسهم تجاه القضايا

١- هلالة وميمك منطقتان في الجمهورية الاسلامية جرت فيهما معارك طاحنة بين حراس الثورة وقوات التعبئة الشعبية من جهة وقوات الجيش العراقي اثناء العدوان العراقي على الجمهورية الاسلامية وكان النصر في هذه المعارك للجانب الاسلامي .

الأخلاقية والعقائدية لشعبنا، فاحد الصحفيين البارعين والماكرين جداً (وهو لا يستحق ان اذكر اسمه هنا) كتب في احدى المجلات الشهيرة مقالة على حساسية العالم الغربي وهلعه من معتقدات شعبنا.

وعنوان المقال هو: «الميني جوب أو التنورات القصيرة خلف الأبواب المغلقة».

هذا هو الصحفي الذي كان قد دعي لتفقد جبهات الحرب، وقصة مقالته هي أنه دعي في ايران عن طريق احد اصدقائه الى احدى الحفلات الليلية في احدى دور الفساد بشمال طهران فوجد هناك بعض العابثين والعابثات قد تجمعوا، ويذكر هذا الصحفي الاجنبي بكل وقاحة في مقالته كل وسائل المجون التي كانت هناك ويشرحها ويستنتج مبشراً العالم الغربي أن «مايزال في ايران وفي مركز الثورة الاسلامية أُناس لم ينسوا هدايا الغرب، فخلف الأبواب المغلقة كان أولئك اللواتي يجبن الشوارع نهاراً بتنورات طويلة وخمر مطرزة خوفاً من حراس الثورة، يحيين في تلك البيوت ليلاً ذكريات عهد الشاه، وهذه نافذه لايران ماتزال مفتوحة على الغرب» فانظروا كم هو حسّاس هذا الأمر.

وطرح صحفي آخر نقطة أُخرى الى جانب هذه القضايا تثبت بأي الامور يهتم هؤلاء حيث قال: «ان كثيراً من الرأسماليين الهاربين أو الذين كانوا في سبات كسبات الأفعى إبان شتاء الثورة البارد، بدأوا يشعرون الآن بالأمل، وصاروا يتحركون هنا وهناك من اجل استعادة أحلامهم في عهد الشاه» واني لا اريد الآن البحث في هذا الجانب، بل كان هدفي الموضوع الأول لكي تروا على أي الأشياء يركز العالم الغربي. ولهذا السبب اؤكد حتى على أولئك الذين كانت نساؤهم سافرات في الماضي (لأننا نعتقد أن الشعور القومي والوطني مايزال باقياً لدى اكثرهم) أن يتنبّهوا لكي لا يصبحوا آلة صماء في أيدي مثل هذه التيارات.

جرائم الاستكبار عن طريق الحيلولة دون النضج العلمي والفني للعالم الثالث :

البحث الآخر الذي سأبحثه يتعلق بالظلم الذي ارتكبه العالم الاوربي والرأسمالي بحق العالم الثالث والعناصر غير الاوربية بشأن اضعاف معنوياتها من الناحية العلمية والفنية ومن ناحية تقدمها المادي وهذه قضية مؤسفة جداً وهي في الوقت ذاته تحمل الكثير من الدروس وتنير الطريق لمستقبلنا أيضاً.

كان من البرامج الجادة جداً والعميقة للقافلة الاستكبارية خلال هذه القرون القليلة أن لا يدعوا الشعوب التي ارادوا اخضاعها تكتفي ذاتياً وتعتمد على نفسها من الناحية العلمية والفنية والدراسية فالغرب لم يعد النظر أبداً ولو بذرة واحدة في هذه الاستراتيجية خلال الفترة التي تتراوح بين أربعمئة عام وخمسمئة والتي اعقبت عصر النهضة، واننا لم نجد هؤلاء في أي موضع يتحركون بشكل يجعل رأس الخيط يفلت من ايديهم، انهم يحذرون كثيراً من أن تحدث في زاوية من العالم حركة اكتفاء ذاتي في المجال العلمي والفني فتنغّص على الغرب عيشه، ومن الممكن طبعاً أن يفلت الأمر من أيديهم في بعض الأماكن، وسأنقل لكم نماذج في هذا المجال، فمن اعمال هؤلاء الشائنة جداً استقطاب العقول الدارسة للعالم الثالث، حيث خططوا لشل فعالية اي انسان في العالم الثالث يتمتع بفكر واعٍ ودماغ مفكر وقابليات فنية أو جذبه الى أجهزتهم الخاصة، وهم بالطبع يمتلكون وسائل لجذب الطاقات، فكثرة عدد الأدمغة المفكرة والدارسة من العالم الثالث ومن الشرق الأوسط وحتى افريقيا المنكوبة والشرق الأقصى الموجودة في اوربا واميركا أمرٌ مؤسف وقاتل جداً للذين تحتاج شعوبهم إلى الفنيّين فستخدم الغربيين الكاسدين بينما يرون ذوي الادمغة المفكرة من أبنائهم والذين يتمتعون بقابليات علمية وفنية منهم يخدمون الاستعمار في خارج بلدانهم من أجل تلبية حاجاتهم المادية والترفيهية متأثرين بطفيليات بعنوان الزوجة وامثال ذلك، فهذه قضية محزنة جداً سنجري بشأنها المزيد من البحث في فرصة مناسبة.

والقسم الثاني من هذا البحث يتناول الحيلولة دون تعلم عامة الناس،

حيث يفعل هؤلاء ذلك اينما استطاعوا، فاولاً لا يتقبل الغربيون بشكل عام تعلّم شعوب البلدان الأُخرى لذلك نرى نسبة الأُميين في المناطق التي يحكمونها تتراوح بين ٧٠٪ و ٩٠٪ وحتى في بلد كايران كان مستقلاً في الظاهر فقد كان نحو ٦٠٪ من شعبنا قبل الثورة أُميّين، وقد نجحنا بعد الثورة مع كل مشاكلنا في تعليم ثلاثة ملايين من أُولئك الذين لم يعتادوا على الدراسة اطلاقاً.

وهذا هو وضع الأُمية في بلدنا، أما عن البلدان التي كانت مستعمرات رسمية لاوربا فسوف نذكر بعض النماذج منها لكي تروا كيف هو الوضع هناك وأية جرائم ارتكبها العالم الاستكباري بحق الشعوب المحرومة، انظروا أية ذئاب وأية وحوش مفترسة نواجه في العالم، وأي طريق طويل ينتظر العالم الثالث حتى يتمكن من الوقوف على قدميه، فأفريقيا التي تسمعون اليوم أخبار القحط فيها ولربما كان ذلك عجيباً جداً لدى شعبنا ولعله يتساءل كيف تعاني الحبشة من هذا القحط مع تمتعها بمناخ ملائم وامتلاكها كل هذه الغابات؟ ولو دنونا قليلاً لوجدنا انغولا التي هي من أخصب مناطق العالم تواجه الجوع والقحط حيث لم تسمح الامبريالية الخبرية بعدُ بنشر الاخبار المتعلقة بهذا البلد حيث نشروا لتوّهم أخباراً عنها، وهناك الكثير من البلدان الافريقية التي تعاني من هذا الوضع، وابناء شعبنا يفكرون بأن لو اراد أُولئك الناس الاستفادة من غاباتهم فقط لما عانوا من مثل هذا الوضع، والحديث الذي سأقوله اليوم يجعلكم تدركون لماذا تعاني افريقيا من هذا الوضع، فمنذ نحو ثلاثين عاماً تعززت الحركة الاستقلالية في هذه القارة حيث استقل في الظاهر كثير من بلدانها، بعد أن كان كل بلدان هذه القارة البالغ عددها نيفاً وخمسين بلداً مستعمرات رسمية للأوربيين في الماضي ولم يكن أُولئك يسمحون للافريقيين بالتعلم على طلاق، إلّا لمن يحتاجون اليهم لاستخدامهم في اعمال السكرتارية او بدالات الهاتف او موزعي الرسائل او غير ذلك من الأعمال المادية، فانهم كانوا يسمحون بانشاء المدارس في نطاق محدود ولا يتجاوزون

ذلك، وفي العالم الآلي المعاصر الذي يواجه ازدياداً شديداً في السكان لم يعد محصول الأراضي المزروعة بطريقة تقليدية وطبيعية كافياً لتلبية حاجة الناس الى الغذاء لذلك ينبغي استخدام التقنية الحديثة، وافريقيا لا تستطيع الحصول على التقنية إذ ليس لديها مهندسون في مجال الماء والكهرباء والطرق والجسور ولا خبراء في المواد الغذائية والأدوية والغابات والمراعي، ولا تملك العملة الصعبة التي تستطيع بها شراء المكائن واستيرادها لكي تشق بها الطرق وتنشئ الموانئ والمصانع، ولما كانت افريقيا تفتقر اليوم لهذه الامكانيات وسكانها يزدادون ازدياداً كبيراً فمن الطبيعي أن يكون لذلك هذه العواقب، أمّا لماذا تملك افريقيا هذه الامكانيات فهذا ما سيجيب عليه الاحصاء الذي سأذكره وهو احصاء رهيب حقاً يكشف حقيقة هؤلاء الضباع الأوربيين الذين نعتبرهم اليوم أُناساً متحضّرين وفيهم يرىٰ متغربونا قبلتهم.

في عام ١٩٣٨ أي قبل الحرب العالمية الثانية بفترة قصيرة حيث كان الوضع قد تحسّن كثيراً (فبعد الحرب العالمية الأُولى تفتحت شيئاً فشيئاً نوافذ الرفاه والحرية في العالم بسبب هزيمة القوى الأوربية وتورّطها في الحرب العالمية الأُولى) في تلك السنة كان الوضع في افريقيا الاستوائية الفرنسية التي تشمل اليوم مناطق مثل تشاد وافريقيا الوسطىٰ والغابون والكونغو، حيث كان للفرنسيين قدرة هناك ومايزال معظم سكان تلك المناطق يتكلم بالفرنسية (اذ كانت افريقيا قد قُسّمت في تلك الفترة بين عدة دول منها انكلترة وفرنسا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا وايطاليا وألمانيا) بحيث كان في تلك البلدان الكبيرة الأربعة التي فيها ملايين من السكان نحو (٢٢) ألف شخص فقط يذهبون الى المدرسة، أما في افريقيا الغربية الفرنسية التي كان عدد سكانها (١٥) مليون نسمة وتتمتع بوضع افضل لأنها كانت تقع على ساحل المحيط الأطلسي وكانت بينها وبين الاوربيين علاقات اقوى قليلاً كان (٧٠) ألف شخص فقط من بين (١٥) مليوناً يذهبون الى المدارس أي أن البقية كانوا لا يتمكنون من الدراسة.

وبشكل عام كان ٥٪ فقط من الاطفال الذين بلغوا سن الدراسة يذهبون الى المدارس في المستعمرات الفرنسية أي خمسة أطفال من بين مئة طفل كانوا قادرين على دخول المدارس أما في المستعمرات الانكليزية فقد كان العدد سبعة اطفال من كل مئة (أي ٧٪).

وفي مستعمرات البرتغال مثل انغولا التي أشرت اليها قبل قليل وتصلنا الآن اخبار القحط فيها حيث يشبه الوضع فيها وضع اثيوبيا استطاع (١٪) من الاطفال الذين بلغوا سن الدراسة دخول المدارس (أي في عهد الاستعمار البرتغالي، والبرتغال نفسها اليوم بلد تعيس في جنوب غربي اوربا).

واليونسكو «هذه المؤسسة الضخمة التي قاطعها الاميركيون والانكليز مؤخراً بسبب اتخاذها خطوات ثقافية ايجابية وطرد اسرائيل منها، حيث خرجتا منها وقطعتا المساعدات التي كانتا تقدمانها لها» نشرت احصاءً جاء فيه: في عام ١٩٦٠ كان ٨٪ من الأطفال الذين بلغوا سن الدراسة يتمكنون من دخول المدارس الثانوية في البلدان الأفريقية التي حصلت على الاستقلال، أي إن ٨٪ من الاطفال الأفارقة كان بامكانهم قبل ثلاثة وعشرين أو أربعة وعشرين عاماً دخول المدارس الثانوية، وكان بامكان اثنين بالألف منهم دخول الجامعة أي كان بامكان تلميذين من بين كل ألف تلميذ ذكي الدراسة في الجامعة، هذا كان وضعهم، وقد نشرت اليونسكو هذا الاحصاء عام ١٩٦٨ مع أنها لم تكن تنشر احصاءات صحيحة بسبب ضغوط الاميركيين والأوربيين، وان هذا الاحصاء نشر هكذا بعد خضوعه للرقابة.

وفي الكونغو البلجيكية بعد استقلالها عام ١٩٦٠ كان هناك (١٦) خريجاً فقط، أي أن الكونغو التي فيها اكبر منجم للنحاس في العالم (في كاتانغا) والتي لو قطعت النحاس عن العالم لشهد أزمة في النحاس (ومايزال كبار السن يتذكرون شيئاً من قضية موسى تشومبي ولومومبا) كان فيها عام ١٩٦٠ مامجموعه (١٦) متخرجاً من الجامعة، والذين كانوا يدرسون هناك «ولا نقصد الخريجين هنا» كانوا يستخدمونهم كخدم وسكرتيرين وعاملين على الآلة

الكاتبة ومأموري بدالات الهاتف وسعاة بريد وغير ذلك من الأعمال التي تحتاج الى الحد الأدنى من التعلم، والى هذا الحد كانوا يسمحون لهؤلاء الافراد بالدراسة، هؤلاء هم الأوربيون الذين يزعمون أنهم يؤدون خدماتهم من أجل تحضّر البشر ومن أجل قيادة قافلة البشرية نحو العلم والحضارة.

ولم تكن تلك البلدان خالية من المدارس في تلك الظروف لأن الأوربيين كانوا هناك وكان الذين يستقدمونهم الى هناك من المناطق الأُخرى بحاجة الى المدارس، وكانت هناك مدارس راقية ايضاً ولكن للاوربيين فقط، وفي ايراننا كنتم ترون في عهد الشاه لمن كانت تقام المدارس الجيدة مثل مدرسة الرازي وامثالها التي كان بامكان اطفال الأعيان الايرانيين دخولها فقط؟ فهذا هو وضع ايران قبل سبع سنوات أو ثماني فانظروا كيف كان وضع افريقيا في تلك الفترة؟

في احصاء رسمي يقول الأوربيون انفسهم إن في عام ١٩٥٩ أي قبل (٢٥) عاماً كان من بين اعمال التميز التي يمارسها الانكليز في مستعمراتهم التميز في نفقات الدراسة بين الاطفال المحليين وغير المحليين، أي إن نفقات دراسة طالب افريقي كانت (١١) جنيهاً في السنة، وكانت نفقات دراسة طالب هندي (٣٨) جنيهاً، فيما كانت نفقات دراسة الطالب الاوربي (١٨٦) جنيها.

ففي المدينة الواحدة كان ينفق على الطالب الاوربي (١٨٦) جنيهاً بينما ينفق عل الطالب الافريقي من ابناء الوطن الأصليين (١١) جنيهاً، وكان ينفق على الهنود مقداراً اكثر بقليل وسبب ذلك أن الاوربيين كانوا يجلبون القوى غير المحلية من الهند الى افريقيا ويستخدمونها في الجيش والشرطة والدرك وأمثالها من أجل قمع الشعب لذلك كان ينبغي الاهتمام بهؤلاء اكثر قليلاً، وفي الوقت الحاضر نجد في جنوب افريقيا ثلاث فئات هم الزنوج والملونون والبيض .

ومعظم الملونين من الهنود الذين هم في وضع افضل من وضع الزنوج حيث يأتون في المرتبة الثانية، هذا هو وضع رواد حقوق الانسان في العالم،

وهكذا كانوا يتصرفون مع الناس.

وفي الجزائر المسلمة التي لها كل ذلك الماضي الحضاري الإسلامي كان الوضع عام ١٩٥٤ أي في السنة التي بدأت فيها الحركة المسلحة للشعب الجزائري (الذي جاهد نحو سبعة اعوام حتى انتصر) بحيث أن ٢٠٪ فقط من طلاب المدارس كانوا مسلمين أما البقية فكانوا من غير المسلمين مع أن الشعب الجزائري شعب مسلم، أي أن غير المسلمين كانوا يشكلون ٨٠٪ من طلاب المدارس الجزائرية حيث كان الفرنسيون قد جلبوا هؤلاء من المناطق الأُخرى، هذه هي طبيعة هؤلاء الذئاب البيض الذين يصبغون وجوههم اليوم بمساحيق التجميل كما نرى، ويطلقون شعارات التمدن من صحفهم واذاعاتهم وافلامهم، واينما ارادوا قمع شعب من الشعوب اتهموه بالبربرية والوحشية والأُمية والجهل، فإذا رأينا القحط في افريقيا اليوم فليس سبب ذلك أنها ليس فيها مناجم، أو غابات، او مياه، أو تربة صالحة، بل هو بسبب الامور التي ذكرتها.

حين ارسلنا وفداً الىٰ اثيوبياً لمساعدة ذلك الشعب الأفريقي قال مسؤولو ذلك البلد الذي يعاني من القحط لاعضاء الوفد اذا كنتم تريدون أن تقدموا لنا خدمة، فهي أن تنقلوا لنا ما عندكم من التجارب لكي نستثمر أراضينا الديم بطريقة افضل وأن تأتوا لنا بخبراء في مجال تحويل اراضي الديم الى أراضي تزرع بالسقي أو في مجال استثمار اراضي الديم لكي نتمكن في العام القادم من زيادة الانتاج في داخل بلادنا.

فأثيوبيا بلد تعود حضارته الى قرون طويلة لكنها تعاني نقصاً في اصغر الخبراء مع أن بينها وبين روسيا الكبرى علاقة وقناة وأنها ماركسية في الظاهر أيضاً، فانظروا كيف تصرف مع العالم هؤلاء الذين يزعمون انهم رواد الحضارة، وكيف اخضعوه لهيمنتهم العلمية والفنية لكي لا يقدر أحد على ابداء أي حركة.

ولم يكن عبثا حين تلقى الأميركيون وكزة من ايران وألقي بهم خارجها أن

يكونوا مطمئنين إلى أن ايران عاجزة بعدهم عن ادارة شؤونها .

وكانوا يقولون ان الصناعات العسكرية المعقدة التي جلبناها والصناعة المعقدة لانتاج المكائن والسباكة وصهر الحديد وسائر الأُمور الموجودة في ايران وآلات المصانع والورشات ذات المكائن المتطورة التي انشأها الشاه باموال النفط، لا يمكنها أن تدار إلّا بالأصابع الأميركية واليابانية وليس غيرها ومن المؤكد أننا سنعود بعد عامين أو ثلاثة، فكانت هذه القضية حتمية لديهم، ولم يكن لديهم احتمال حتى بنسبة واحد في المئة ينفي ذلك، لأنهم أبقوا الايرانيين متخلفين. ولو أنهم علّموا منهم اربعة اشخاص فقد اخذوهم معهم وهربوهم أو هربوا إثرهم، فكانوا على يقين من أنهم سيعودون، لكنكم ترون اليوم بعد ستة اعوام أن ايران لم تشغل تلك المصانع فحسب بل واتخذت خطوات كبيرة نحو الاكتفاء الذاتي الصناعي وصنعت بنفسها كثيراً من قطع الغيار وأصلحت كثيراً غيرها وشغلت كثيراً من محطات الطاقة التي كان أُولئك يظنون أنها ستتعطل، وبذلك برزت لأولئك قضية جديدة يصعب عليهم تحملها، وتُعَدُّ اليوم نقطة تثير غضبهم، انهم لم يكونوا يصدقون أن تتمكن طائراتنا من طراز (اف ـ ١٤) حتى من اطلاق قذيفة واحدة نحو الطائرات المغيرة، انهم لم يكونوا يصدقون أن تتمكن قواعد هوك التي لدينا من اطلاق الصواريخ، وكانوا لا يصدقون أن تتمكن راداراتنا الاميركية المعقدة من رصد الاعداء في الجو، فهم لم يكونوا يصدقون أننا قادرون على انجاز أيٍّ من هذه الاعمال .

وكانوا يتصورون طبقاً لحساباتهم أن منشآت حفر الآبار النفطية ستتعطل لدينا، وأن أرصفة التصدير ستتعطل، وكانوا يتصورون اننا محتاجون اليهم حتّى في تمشية امورنا اليومية .

والقابليات كثيرة بين ابناء الشعب، لكن هذه القابليات كانت تخمد في عهدهم، فحين كان الخبراء الأميركيون لا يسمحون لفنّيينا بالاقتراب من الطائرات، ولا يسمحون لهم بالامساك بمفك البراغي، كان معلوماً أن هؤلاء لا

يمكنهم أن يتطوروا، وكان من شرور اولئك أنهم كانوا يستبدلون القطع المعطوبة على الفور بدل اصلاحها في داخل البلاد، وكان احد اسباب ذلك واضحاً اذ كان يجلب لهم المال، فمن الطبيعي أن قطع الغيار للأجهزة التي تعمل في بلدان كبلدنا كانت تدر على تلك البلدان الأجنبية العملات الصعبة اكثر مما كانت تدره عليهم الاجهزة نفسها، لكن السبب الرئيس يكمن في نقطة أُخرى وهي أن اصلاح القطع كان من شأنه أن يجعل الفني الايراني يدرك سر المهنة في صنعها.

فحين نصبنا بأنفسنا هذه الرادارات الأميركية المعقدة اكتشف خبراؤنا العسكريون أن بالامكان صيانة قطعة ثمنها مليون دولار بإعداد قطعة صغيرة بحجم مسكوكة نقدية من فئة تومان يمكن اعدادها من شارع لاله زار وميدان الامام الخميني بطهران، بينما كانوا في عهد الاميركيين يعطلون القطعة كلها ويرسلونها الى الخارج ويأتون بواحدة أُخرى مكانها، وهناك نماذج كثيرة من هذا القبيل .

الصناعة المعقدة جريمة ارتكبها عمالقة هذا القرن :

ان تعقيد الصناعة قضية قائمة بذاتها، فلو أنهم أرادوا التعامل بانصاف لأمكنهم تصغير كثير من هذه الصناعات الضخمة التي نشاهدها لتبلغ ربع حجمها الحالي لكنهم يعقّدونها ويضخّمونها عمداً لكي يرعبوا الطرف المقابل، وقد لاحظ خبراؤنا في كثير من الحالات أن قطعة غيار مكوّنة من مئتي قطعة صغيرة يمكنها أن تؤدي العمل نفسه بأربع قطع وقد لاحظوا ذلك حقاً، ففي المعدّات العسكرية الموجودة الآن في صناعتنا العسكرية نجد بعض الأحيان سبعين آلة تعمل لكي تركب قطعة واحدة (والذين زاروا القاعات المخصصة لذلك يعرفون ذلك) لكن ابناءنا ابتكروا طريقة جديدة وصاروا يصنعون تلك القطعة بآلة واحدة بدلاً من أن تتجمع سبعون قطعة فتتكون منها قطعة واحدة، وما هذا التعقيد والغموض إلّا لكي يبقوا على تخلف هذا العالم

لمتخلف وهذه من جرائم عمالقة هذا القرن وهم ـ كما يقول العوام ـ غير مستعدين لتعليم نفخة صنع الكوز كما كان حال صانع الكوز ذلك الذي لم يتمكن تلميذه من العمل بشكل مستقل مع أنه بقي يعمل لوحده كثيراً فكلما حاول أن يعمل مستقلاً وصنع الأكواز ووضعها في الكورة تفطرت ولم يفهم سر ذلك، وفي اواخر عمره ادرك أن القضية كانت تحتاج الى نفخة فقط ولم يعلمه استاذه ذلك، أو كما كان حال تلميذ الخياط الذي امضى عمره في الخياطة وحين اراد أن يخيط قباءً أو سترة وجد أنه يمضي يومين في خياطة سترة كان يخيطها استاذه في ساعتين ولم يعرف سر ذلك (وهذه امثلة ضربت لكي تدلنا على حقائق) واخيراً ادرك أن في الأمر سراً صغيراً وهو أن استاذه كان يضع في الابرة خيطاً أقصر لكي لا يتعقد اثناء الخياطة فيطيل عمله لكن التلميذ كان يصنع خيطاً طوله متران فكان يتعقد ولا يتمكن من انجاز عمله بسرعة، فالأمر بهذه البساطة وحقاً هو بهذه البساطة، ونحن نرى الآن ابناءنا بعد أن شقوا طريقهم في الصناعة يشاهدون احياناً أن هناك سراً من هذا النوع في طائرة أو ماكنة ضخمة أو جهاز معقد. هذا السر هو الذي يصنع تحولاً وقد أخفاه اولئك ولم يكونوا يدعون الشعوب تتوصل الى هذه الاسرار، وهم يمتلكون وسيلة أُخرى أيضاً وهي ايجاد حالة ارتداع ذاتي في داخل الشعب تمنعه من أن يعمل شيئاً عند عدم وجود خبرائهم، وقد مررنا بكثير من مثل هذه التجارب بعد الثورة، فقد كنا نرى بشأن بعض صناعاتنا القيمة أو الأعمال القيّمة جداً للبلاد أن موجة تتصاعد احياناً من الداخل ومن حناجر اولئك الذين نثق بهم وتقول أن هذا الأمر لا ينبغي أن يتم، وحين كنا نسألهم عن السبب كانوا يأتون بأدلة تمنع المرء من التفوه بكلمة ومن جملة ذلك المترو هذا.

فقد ارتكب عدد من اليساريين أو من حزب توده أو منظمة فدائيين الشعب خيانة بشأن قصة المترو تجعل المرء يتألم لذلك، إذ لا شك في أن المترو شيء ضروري في ايران وفي مدينة مثل طهران التي يبلغ عدد سكانها الآن (٥ر٦) مليون نسمة تقريباً وسوف يبلغ هذا العدد قريباً جداً وحتى

بالزيادة الطبيعية سـ مة ملايين أو ثمانية، فوجوب انشائه باكبر قدر ممكن يدل عليه هذا الوضع الذي تعيشه وهذا الجو الملوث وهذا الازدحام وهذه الاصطدامات بين السيارات وهذا الذي نعانيه بشأن قطع غيار السيّارات حيث سنتطرق لذلك في بحث مستقل، لكن هؤلاء جاؤوا وهتفوا بشعارات (التبعية، التبعية) وقد قال أحد خبراء المترو: كنت ذاهباً للمشاركة في اجتماع للدفاع عن المترو فوجدت هؤلاء قد شحنوا الجو هناك بما جعلني اقول أنهم جاؤوا الى هناك لتشييع جنازة المترو، هكذا كان سلوكهم.

ومن جملة ذلك اتفاقية لانشاء مصنع للسباكة بطاقة انتاجية تبلغ ثلاثمئة ألف طن حيث كان هؤلاء الليبراليون يواصلون القول ويكررونه بأن ذلك يجلب التبعية، ومن جملة ذلك محطة بوشهر مع اننا كنا لا نقبل بطموحات الشاه الزائدة تلك حيث كان يريد ربط البلاد بالخارج، ولكن حين تقتضي الضرورة انشاء محطة من أجل تطوير الصناعة الذرية في هذا البلد نجد بعضهم ينبري بشكل واع وخياني وينبرى بعضهم الآخر بشكل غير واع فيرفعون شعارات عطلت بعض الأعمال.

وكنا نحن انفسنا قد أسأنا التصرف ـ احيانا ـ مما ادى الى هرب الأدمغة المفكرة من البلاد، فبعض الأفراد يرفعون مثل هذه الشعارات بشكل واع أو غير واع ومعظمهم يرفعها بشكل واع، فالغربي يهتف بشعارات ضد الشرقي، والشرقي يرفع شعارات ضد الغربي فيعطل بذلك الأعمال، ولابد أن نعلم أن الاستكبار العالمي حين يعجز عن التدخل أو لا يريد التدخل بشكل مباشر، فإنه يحقق اهدافه عن طريق خدمة المأجورين أو المتطوعين أي الجماعات المجرمة التي تغلغلت بين أبناء الشعب، فهم يسلكون هذا السبيل للسيطرة على كل ما من شأنه أن يؤدي الى التكامل والرقي لدى شعب أو ثورة أو بلد، فلا يدعون هؤلاء يقفون على اقدامهم، فعلينا أن نعي ذلك ونتنبّه فنختار ما ينفعنا ونتخلى عما يضرنا ونتخلى عن الأشياء التي تعقبها التبعية الشديدة التي لا يمكننا معالجتها، ولكن هناك أمور فيها القليل من التبعية وينبغي علينا

تحملها والانطلاق نحو الاكتفاء الذاتي والوقوف على اقدامنا، وبصورة اجمالية تقع مسؤولية تأخر بلدان العالم الثالث ١٠٠٪ على هذه التيارات الاستكبارية الموجودة، وتقتضي مصلحة أولئك أن لو اعطوا للشعوب صناعة فلتكن صناعة من الدرجة الثانية والثالثة ومتخلفة وعاجزة عن منافسة الصناعة المتطورة في منتوجاتها.

فحين أعطونا منشآت لصهر الحديد متخلفة عن مثيلاتها المعاصرة بمقدار عشرين سنة فمن المؤكد أن حديدنا عاجز عن منافسة حديدهم، وقد اعطونا مصنعاً للاسمنت يعجز انتاجه عن منافسة انتاجهم من الاسمنت، وهو ليس اقتصادياً، ومن جرائم هؤلاء أنهم في الغالب كلما وجدوا لديهم صناعة ينبغي التخلي عنها اعطوها للبلدان المتخلفة على شكل صناعة تجميعية فتبقى هذه البلدان متخلفة على الدوام، وإلّا لماذا نحن نعجز عن منافسة الصناعة اليابانية؟

اننا نصنع هنا سيارات وهم يصنعونها أيضاً، لكن السيارات التي يصنعونها والصناعات التي يمتلكونها تحتاج الى عدد أقل من العمال وتنتج بسرعة اكبر وتستهلك طاقة اقل وتعطي كمية أكبر من المنتوجات، والحال على عكس ذلك هنا، فعليه لا يمكن لهذه الصناعة أن تنافس غيرها في السوق، وهم يريدون الاستمرار في هذا التخلف الى الأبد، ومن مبادئ الجمهورية الاسلامية التي تتعرض لعنادهم الشديد أن نستمد ان شاء اللّه العون من الأدمغة المتنورة ومن قابليات ابنائنا ومن اولئك الذين يدركون معنى الاستقلال وبشيء من التقشف وتحمل المشاكل فنبلغ بأنفسنا تلك الدرجة، ونعمل من أجل أن نتمكن من الاعتماد على انفسنا.

ومن المكائد الخطرة جداً لهؤلاءِ، أنهم حين يجدون البلدان التي تريد سلوك هذا الطريق تحتاج بالطبع الى تحمل شيء من التقشف من اجل ارساء دعائم الاقتصاد السليم والتخلي عن رفاهيتها الاستهلاكية، فان كنتم تريدون أن تتوفر في كل المنازل برادات (ثلّاجات) وتلفزيونات ملونة ومجمدات ومفروشات راقية وفاكهة الفصل وغير الفصل وكل شيء وفي الوقت نفسه

تشقون الطرق وتنشئون الموانئ ومصانع صهر الحديد وصنع الفولاذ فذلك غير ممكن فلابد أن تصرف الكمية المحدودة التي نملكها من العملة الصعبة والطاقة الانتاجية لأحد هذه الاشياء ، ومن المكائد الخطرة جداً للاستكبار أنهم يشجعون التيارات التي تطلب الرفاهية داخل البلاد وتجعلهم يقفون طوابير أمام المتاجر ليحطموا بذلك اعصاب المسؤولين، ويشككوا في أصل القضية بسبب نقص قطرة نفط أو حصول شحة في الدجاج أو فقدان البيض ليوم واحد مثلاً ثم تأتي الاذاعات الاجنبية فتوجه هؤلاء ليمنعونا من انجاز اعمالنا ويجبروا المسؤولين بضغط الرأي العام على أن يصرفوا على هذه الأُمور بعض الطاقات التي ينبغي صرفها على البناء الأساس، ومن الأُمور التي وجدتها في ملف المترو وذهلت لها أن احدى الجماعات اليسارية أو شبه اليسارية التي تتظاهر بالاسلام كانت قد قالت: لا ينبغي أن ندع المترو ينشأ لأن طوابير الناس التي تنتظر في محطات وقوف الحافلات افضل ميدان لكسب الانصار والجنود لنا، فانظروا اي حساب يحسبون، دع مليوني ساعة من وقت اهالي طهران تضيع في اليوم لكي يتمكن أولئك من توجيه النقد في طابور انتظار الحافلات ويحرفوا عدداً من الأشخاص هناك، لذلك نراهم يبذلون جهوداً كبيرة لكي لا تحصل نتيجة ويبقى الناس في طوابير ليتمكن هؤلاء من كسب الانصار، والفئة السطحية التفكير تتأثر بهؤلاء لكنهم لو أدركوا حقيقة الأمر فسيقولون لأولئك وينبغي أن يقولوا لهم ان الجمهورية الاسلامية قد نجحت خلال أربع سنوات وخلال الحرب في إيصال الماء والكهرباء الى (١٢) ألف قرية وأن تحدث عن هذا الطريق تحوّلاً في حياة أهل القرى، وأن تمنح (٣٥٠) ألف اشتراك في انابيب الغاز الطبيعي (الذي سيبقى لثلاثمئة سنة ومن شأنه الابقاء على هذا البلد دافئاً ومتحركاً) وأن تمد أنابيب الغاز من اطراف سرخس وكنگان وسائر أرجاء البلاد نحو منازل القرويين وتربط المدن بمصادر الوقود، أما لو كان الرأي العام جاهلاً وعاجزاً عن ادراك مصلحته فبدل أن تنجز الحكومة الخدمات الرئيسة والانسانية نراها مضطرة الى صرف

الأموال لاستيراد الدجاج واللحوم والأقمشة لكي لا ينحرف ابناء الشعب الذين يقفون في الطوابير . ومن مآسي الشعوب التي تثور أن قادة العالم المعاصر يشجعون نمط التفكير الاستهلاكي الذي فرضوه من قبل على مثل هذه الشعوب بوساطة خدمهم في الداخل وبوساطة ابواقهم ووسائل اعلامهم في الخارج ويسدّون طريق التحرك الصحيح أمام الناس، ولكن ينبغي علينا أن نكون يقظين وثوريين ومسلمين ولا نخضع لضغط مثل هذه الأُمور، ونمضي على الطريق الذي اخترناه ونكون قدوة صحيحة ان شاء اللّه ثم نقول إن بالامكان رغم كل الضغوط الاستكبارية أن يعتمد شعب على نفسه ويكتفي ذاتياً ثم يصير قدوة للآخرين، وأساس كل هذه الأُمور التقوى وهو الجزء الأول من هذا البحث، أي انهم خططوا بدقة ليسلبوا التقوى أولاً فاذا سلبوها هانت عليهم كل هذه الأُمور، أمّا نحن فطريقنا واضح بسبب تعاليم القرآن ونبي الاسلام (ص) وزعيمنا العظيم وأُسسنا الفقهية، وعلينا قبل كل شيء أن ندعوا الناس الى التقوى، فلو صار الناس اتقياء وأطهاراً فسوف تأتي كل السعادات بعد هذه الطهارة، ولو رأينا الناس اليوم يُدعَوْن الى التقوى في مئات من خطب صلاة الجمعة التي تقام في ارجاء البلاد وعلى ألْسِنَةِ أئمة الجمعة، فذلك يعد بحد ذاته سهماً موجهاً نحو عين الاستكبار، وهو يستهدف بالضبط بلوغ تلك النقطة التي يريد أولئك تدميرها، واننا نعتمد على تقوى شعبنا وتدينه والتزامه، وان شاء اللّه سنبلغ بقوة التقوى وبشعورنا الاسلامي والثوري وبتوجيهات زعيمنا العظيم وبدعم هذا الشعب العظيم تلك النقطة التي يريدها لنا إسلامنا وقرآننا .

الخطبة الرابعة عشرة

الجمعة: ١٣٦٣/١١/٥ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم «**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**»[١].

تناولت في آخر فصل من حديثي الهجوم الثقافي الذي شنه الغربيون على العالم غير الاوربي حيث ذكرت أن الهجوم على أخلاق البشر وأُسس فطرتهم السليمة يعد جزءاً من سياسة العالم الغربي تجاه العالم الثالث وهو أمر مايزال مستمراً، وكان الجزء الثاني من بحثنا يتناول الحيلولة دون النموّ العلمي ووضع العقبات أمام الدراسات العليا وتلقي الفنون والتقنية الحربية حيث كانت سياسة المستعمرين تقضي بأن لا يسمحوا للعالم غير الاوربي وغير المتحالف معهم بالتقدم والاعتماد على قدرة العلم والفن والصناعة والتكامل المادي الذي هو سلاح العصر الحديث، والقضية التي لم تستكمل في هذا البحث هي مقارنة ذلك بما عند الاسلام، فخطبتي لهذا اليوم تتناول مقارنة بين تعامل الاسلام في مجال نشر العلم والثقافة وتعامل العالم الغربي بشأن هذه القضية.

١ـ المجادلة / ١١.

الاسلام وتلقي العلم:

أوضحت في الفصل الأول أن الاسلام في مجال الأخلاقيات يرغب في الاخلاق الجيدة لكل ابناء البشر، ويدعو كل افراد البشر الى التقوى كما يدعو حتى اتباع الاديان الأُخرى والذين لا يتبعون «الملل والنحل» السماوية الى التقوى أيضاً، وهو يريد التقوى والطهارة في العمل وحسن الظن وحسن السلوك لكل الناس، وقد اجريت بحوثاً طويلة حول هذا الموضوع والقسم الأخير من ذلك والذي سأتناوله اليوم يركز في معظمه على العلوم، وكيف أن الاسلام العزيز والرسالة الاسلامية يرغبان في نشر العلم في ارجاء العالم، وهذه المقارنة تحظى بالأهمية لكون هذا المبدأ من دواعي الفخر للعالم الاسلامي اليوم، ولشعبنا الذي ارسى دعائم الحركة الاسلامية الحديثة، ووضع تصدير الثورة ضمن برنامج عمله، ولأن من شأن ذلك أن ينفع كثيراً ويترك تأثيره في بعث المعنويات والنشاط والحركة لدى شبابنا، فكل الذين قرأوا تاريخ العلوم الحديثة وصاروا ذوي اختصاص في هذا المجال ويتعاملون بانصاف يعترفون بان الحضارة المادية السائدة في العالم اليوم والتقدم العلمي والصناعي مدينان للجهود التي بذلها المسلمون قبل قرون، فحين كان الاوربيون غارقين في القرون الوسطى وكان الجهل والوحشية يسودان اوربا، كان المسلمون يحملون مشعل العلم الذي كان العرب روّاده، فكل من لاحظته من المستشرقين الاوربيين وحيثما ارادوا التعامل بانصاف يعترفون بصراحة بان العرب حملوا بإلهام من الاسلام مشعل العلم والصناعة، ومشعل الفنون الحديثة، ونقلوه من الجزيرة العربية الى أرجاء العالم وأضاؤوا به اوربا والهند والصين، وقد جمع المسلمون كل ما كان يكاد يضيع من الافكار والعلوم القديمة إثر طغيان ظَلَمَةِ الدهر على مر التاريخ، وترجموا الكتب القديمة، فكان المسلمون والعرب - على حد تعبير المستشرقين - كمرآة جمعت كل المنجزات العلمية والعلوم القديمة عكستها نحو سائر انحاء العالم.

فالكتب التي كانت في الماضي في مصر وايران واليونان والهند والصين

والروم اخرجها المسلمون بالهام من التعاليم الإلهية من المكتبات الخربة للحضارات القديمة وترجموها الى العربية وسلّموها الى الجيل الحالي، وهذه قضية يعترف بها الاوربيون بشأن الاسلام وقد حدث ذلك في حقبة كان الاوربيون يعيشون فيها أسوأ الظروف الفكرية والمعيشية، واني انقل معظم الأقوال في هذا المجال عن الكتّاب الاوربيين لكي يكون ذلك وثيقة ضدهم، ولكي يحظى بالقبول لدينا، وقد كان سبب ذلك أن المسلمين لم يكونوا متعصبين. وأساس هذه القضية ينبع من التعاليم الاسلامية، فالاسلام يهتم بشكل استثنائي بنشر العلم وتلقّيه وهو يؤكد على ذلك، وسأقرأ عليكم عدداً من الروايات في هذا الشأن وأهدف بذلك فقط أن يكون لهذا البحث أساس وثائقي متين، وإلّا فإنّ بإمكانكم أن تجدوا هذه القضايا بكثرة في الكتب العادية التي في متناول ايديكم، وقد سمعتم الآية القرآنية التي تلوتها في أول الخطبة، ولدينا الكثير من الروايات حول تلقي العلم وتعليمه ، وسأنقل بعضاً منها لأن بحثنا يدور حول ان الاوربيين والغربيين والمستعمرين يحولون تماماً دون تلقي العلوم المتقدمة من قبل البلدان غيرالاوربية، وهذه الروايات منقولة عن المعصومين وبهذه المضامين، فقد روي عن معظم أئمتنا وكبرائنا أن «لكل شيء زكاة وزكاة العلم نشره» وهذا مبدأ يوجب على كل مسلم أن يدفع زكاة العلم الذي تلقّاه كما يجب عليه ذلك بشأن كل النعم الإلهية التي حصل عليها، وزكاة هذا العلم أن يُعلّم ما تعلّمه، فلو احتكر الإنسان العلم ولم يعلّمه الآخرين فقد ظلم ومنع الزكاة، وهناك رواية أُخرى تقول: **(من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ عُدَّ في الملكوت الأعلى عظيماً)** ولدينا روايات حول الآية الشريفة **«مما رزقناهم ينفقون»**[1] والتي تفسر بأنها وردت حول الأموال، حيث تفسرها تلك الروايات بأنها تشمل العلم أيضاً فينبغي وفق ذلك على الذين تعلّموا أن **«مما علمناهم يبثون»** أي ينبغي عليهم نشره في العالم وجاء في رواية أُخرى **(كاتم العلم يلعنه**

---

١ ـ الشورى / ٣٨.

كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء) وهذا الأمر يخص الذين يمنعون نشر العلم ويكتمونه، وجاء في رواية أُخرى **(من كتم علماً نافعاً عنده ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار)** ولو أردنا أن نكتب أمثال هذه الروايات فبامكاننا أن نؤلف منها كتباً ذات ألف صفحة وهي متوفرة بكثرة في كتبنا مثل كتاب بحار الانوار للمرحوم المجلسي، وسيرة النبي والأئمة وكبار علماء الدين، وفضل تعليم الآخرين وعدم احتكار العلم وعدم منع تعليم الآخرين قضية واضحة في الاسلام حيث أدى المسلمون هذا الواجب أحسن أداء ، وقد سمعتم أننا يجب علينا أن نذهب اينما كان العلم ونحصل عليه وقد طبق المسلمون هذا الأمر وارسوا أُسس الحضارة الحديثة وحالوا دون اندراس مؤلفات العلماء السابقين، فكانت اوربا ممن يرتزق من مائدة المسلمين المليئة بالنعم هذه، فانظروا الى هؤلاء كيف يعاملون المسلمين .

واني انقل هنا بعض النماذج لتكون وثائق للذين يريدون لتوّهم التعرف على الاسلام، فالمسلمون كافة يدركون هذه الأُمور، لكننا لدينا اليوم مستمعون جدد وهناك أُناس فتحوا لتوّهم آذانهم لسماع نداء الاسلام، ولابدّ أن يعلم مثل هؤلاء ما هو الفارق بين الاسلام والحكومات الاستعمارية الغربية؟ وكيف يتعامل الاسلام مع الشعوب الأُخرى؟ وهناك الكثير ممن ألفوا كتباً حول العالم الاسلامي والحضارة الاسلامية، ومن جملة هؤلاء الألماني آدم متز وقيل دورانت وغوستاف لوبون وجرجي زيدان ومؤلفاتهم متوفرة في المكتبات، وهناك باحثون آخرون ألّفوا كتباً في هذا الشأن لم تترجم، وبشكل عام لا تعد هذه الأُمور اشياء جديدة اكتشفتها انا أو اني اريدأن أقدّم وثائق جديدة بشأنها، فهذا موضوع تجدونه في المكتبات واني اوصي الذين يريدون التعرف على الاسلام أن يبحثوا عن مثل هذه الكتب، فاذا أرادوا التعرف على الاسلام فعليهم التعرف على الفرق بين سلوك الاسلام وسلوك اوربا في تعاملهما مع الشعوب والعناصر الأُخرى .

المسلمون كانوا رواد العلم والفن :

كان غوستاف لوبون طبيباً وفيلسوفاً وعالم اجتماع وقسّاً بل وعالماً بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وهو مستشرق فرنسي توفي قبل نحو خمسين سنة وله كتاب بعنوان «الحضارة الاسلامية والعربية» اشتهر كثيراً وطبع مرات عديدة، وكل من اراد أن يعلم الفارق بين الاسلام وهذه الموجة الاستكبارية التي تحكم العالم اليوم، وكيف يتعامل الإسلام مع العناصر البشرية الأُخرى؛ فعليه بمطالعة هذا الكتاب .

يقول لوبون في هذا الكتاب: يوم كان المسلمون رواد العلم والفن في العالم وحملة مشعل الحضارة، كان وضعنا في اوربا على أسوأ حال من الوحشية، وحين كانت مكتبات المسلمين ومدارسهم العليا في اسبانيا تستقبل الطلاب من ارجاء العالم، كانت مراكزنا العلمية في عمق اوربا في قلاع تدرس فيها الأوراد والخزعبلات التي ابتدعها رهباننا فقط، وحين أراد أحد كبار قساوستنا أن يدرّس فياوربا ما تعلّمه قال القديسون المتعصبون المسيحيون إن الشيطان قد حلَّ فيه وهو يحرف الناس عن اللّه فحاربوه ، ثم يضيف لوبون قائلاً: حين انشأ الحاكم، ثاني اكبر شخصية اسلامية، مكتبة في الاندلس تضم (٦٠٠) ألف كتاب، لم تكن في كل أنحاء اوربا مكتبة حقيقية واحدة، وحين بدأنا بذلك بعد أربعمئة سنة من ذلك، وحين أراد الحكيم الفرنسي«تشارل» إنشاء مكتبة في باريس لم يتمكن مع كل ما بذله من جهود إلّا من جمع (٩٠٠) كتاب من ارجاء اوربا وحفظها في تلك المكتبة، هذا هو وضع اوربا في القرنين العاشر والحادي عشر ووضع الاسلام في تلك الفترة، وقد كتبت بعض عبارات هذا الكتاب وسأقرأها من منبر صلاة الجمعة لكي يسمعها اخوتنا واخواتنا فيعلموا أننا حين نتحدث عن تصدير الثورة فليس ذلك بدعة في الاسلام، فدعائم الاسلام تقوم على هذا الأمر ومن حقّنا أن نفعل هذا .

يقول غوستاف لوبون: «كانت خدمة المسلمين في تلقي العلوم أمراً مدهشاً ولا يمكننا أن نجد قوماً يفوقونهم في ذلك، فأول ما كان يفعله

المسلمون في كل مدينة يدخلونها هو انشاء مدرسة ومسجد، وكانوا يشيدون المسجد من أجل اصلاح افكار الناس واخلاقهم وينشئون المدرسة من أجل الرقي بمستواهم الفكري» فلتقارنوا هذه الأمور بأسلوب تعامل الأوربيين والاميركيين الذين يسمّون بالمتحضرين، ويدّعون رفع راية الحضارة وآثار وحشيتهم وبربريتهم المليئة بالمآسي بادية للعيان في ارجاء العالم اليوم. فالقحط في افريقيا، والنكبات في جنوب اميركا، والمصائب التي انهالت على ارجاء العالم الثالث كلها بسبب هذه الروح المعارضة للعلم والتعليم والتعلم التي يمتلكها العالم الاستكباري خارج أوربا .

والمستشرقين كلهم يعترفون بأن جامعات اوربا كانت طوال (٦٠٠) سنة تدار إعتماداً على كتب حصلوا عليها من المسلمين والعرب، وكانت الكتب المترجمة لابن سينا وابي ريحان وابن رشد وسائر الفلاسفة الايرانيين ـ حتى فترة قريبة ـ من المناهج الدراسية لجامعات اوربا الكبرى، وهذه اعترافات الاوربيين انفسهم، فهذه هي الروح الاسلامية وتعامل الاسلام مع اولئك وذلك هو تعاملهم مع الشعوب الأخرى، وحتى في الحروب الصليبية التي اشعلوها وجاؤوا من أجل نهب فلسطين ومنطقة الشرق الأوسط فانهم أخذوا من المسلمين المعرفة والعلم اكثر من أي شيء آخر واخذوهما معهم، هكذا كان وضع العالم الاسلامي بشأن نشر الثقافة والفن والعلم والأدب والفروع الأخرى التي علموها الأوربيين، وبامكان الجميع قراءة كتاب «تراث الاسلام» الذي ألّفه (١٣) مستشرقاً ويحوي (١٣) فصلاً مستقلاً ليروا أن جميع الفروع العلمية التي تطورت في العالم اليوم اخذ هؤلاء أساسها من المسلمين، ولم تكن كل تلك العلوم مما ابتكره المسلمون فبعضها أخذوه عن طريق سائر الحضارات القديمة وأحيوه وحين دخل الاسلام هذه المنطقة، وانتشر في ايران، كان كثير من العلماء الذين هربوا من اليونان والروم يعيشون كمنفيين في ايران، فلجأوا الى الاسلام وساعدوا في نشر العلوم في ظله، ولم يكن في العالم الاسلامي اطلاقاً تعصب بهذا الشكل الذي نراه اليوم في اوربا حيث يحول دون حدوث

التكامل العلمي في العالم، وينقل آية الله الشهيد المطهري قصة في كتابه الموسوم «الإسلام وايران» تعدُّ نموذجاً لتعامل الاسلام مع علماء سائر الشعوب والعناصر، حيث يقول:

جاء هشام بن عبدالملك الى الكوفة في اوائل القرن الثاني أي بعد نحو مئة سنة من انتشار الاسلام وصادف فيها أحد العلماء فأخذ يسأله عن فقهاء بلاد الإسلام وذلك يجيبه، اذ سأله هشام من هو فقيه المدينة؟ فاجابه: نافع، فسأله: وهل نافع هذا من العرب أم من غيرهم؟ (حيث كان لدى بني أُمية تعصب قومي عربي ولكنّ هشاماً كان معادياً للاسلام) فاجابه: انه من غير العرب وهو من «الموالي»، فسأله: ومن هو فقيه مكة؟ فاجابه: عطاء بن ابي رباح فسأله: وهل هذا عربي ام لا؟ فاجابه: انه غير عربي، ومن هو فقيه اليمن؟ فقال: طاووس بن كيسان، وحين سأله: هل هو من العرب؟ قال: لا، ثم سأله: ومن فقيه اليمامة؟ فاجابه: يحيى بن ابي كثير وهو من غير العرب، وفقيه الشام مكحول وهو من غير العرب أيضاً، وفقيه الجزيرة رجل يدعى ميموناً، وفقيه خراسان رجل يدعى الضّحاك بن مزاحم، وفقيه البصرة حسن ابن سيرين، وكلما سأله عن فقيه أجاب بأنه من غير العرب، وحين سأله عن فقيه الكوفة، قال: ان فقيهها ابراهيم النخعي وهو من العرب، فقال هشام: كدت انفجر من الغضب ولو لم تذكر لي واحداً من العرب لمتُّ كمداً ، فانظروا كيف كان الوضع بعد مئة سنة من انتشار الاسلام حيث كان الفقه من ارقى انواع التعلم في عالم ذلك اليوم فكان الفقهاء الذين لهم منزلة عالية من الموالي أي الذين انحدروا من العناصر البشرية الأُخرى قد جاؤوا ودرسوا حتى بلغوا هذه المرتبة، هذا هو سلوك الاسلام .

وللامام العظيم علي بن ابي طالب قصص رائعة حول التعصب الذي كان يلاحظ احياناً من بعض شخصيات صدر الاسلام، حيث كان الامام علي يدحض هذه المقولات ولا يسمح أن يكون العلم والأدب والفن والتقنية في خدمة عنصر خاص، وأن يحصر العلم الذي هو من المواهب الإلهية في هذا

الإطار الضيق فتظلم البشرية بذلك، وحين تذكر الروايات أن كاتم العلم تلعنه الحيتان فقد يكون لذلك معنى تكويني ايضاً، أي إن كتم العلم يعدّ ظلماً بحق الكائنات البحرية وبحق الكائنات السماوية (أي التي تطير في السماء) أيضاً.

ولو اطلقت حرية العلم ولم ينحصر بفئة معيّنة بل وضع في خدمة البشر كلهم فانه سينمو، فلدى الشعوب المحرومة قابليات هائلة لو فتحت أمامها بوابات العلوم والفنون فسوف ينمّون مستوى العلم ويرتقون به فتزدهر تلك القابليات، وابشع ظلم يرتكبه العالم الاستكباري بحق البشرية اليوم هو أنه يسعى دائماً من أجل كتم النقاط الحساسة لتقدم العلوم، ففي الصناعات المهمة في العالم نقاطٌ غامضة لا تعطى لشعوب العالم الثالث، وحين يعمل المرء في الصناعة الذرية يجد هناك نقطة غامضة في تحضير الماء الثقيل أو اليورانيوم المشبع مفتاحها في واشنطن أو فرنسا أو موسكو أو غيرها، وحين يعمل في الصناعات الالكترونية يجد في مستوياتها العليا نقاطاً غامضة لا يرغب أُولئك في اعطاء مفاتيحها للآخرين.

فهذا الظلم الذي تتحمله اليوم افريقيا، وهذه المشاكل التي تعاني منها هذه القارة حين ندرسه نجده يعود الى الاعمال القذرة التى ارتكبها في القرن الماضي الاوربيون الذين انزلوا هذه المصائب بهؤلاء.

أحد الشخصيات الانكليزية الماكرة جداً كان مكلفاً بمهمة في هٰذه المنطقة خلال القرن الماضي، وكان لفترة من الزمن سفيراً لبلاده لدى ايران ويدعى «گوراوزلي» وحين كان هذا الشخص مكلفاً بالعمل في روسيا بعث برسالة الى انكلترة (ويقول المؤرخون أن اوزلي كان من مهندسي السياسة الخارجية الانكليزية، حيث كان مهندسو تلك السياسة ثلاثة اشخاص احدهم اوزلي هذا) وكتب فيها «إن كنتم تريدون الحفاظ على الهند (حيث كان الهدف في تلك الفترة الحفاظ عليها) فإنِي اقترح أن تبقوا الشعب الايراني جاهلاً وبربرياً» ، انظروا كيف يقترحون من أجل الاحتفاظ بالمستعمرات ان تبقى شعوبها في جهل ووحشية، فضعوا هذا الى جانب رواد الحركة العلمية

الاسلامية الذين اضاؤوا اوربا حيث حول أولئك اليوم ذلك الضياء الى رصاص وقذائف موجهة نحونا، ومن هنا يتضح الفارق بين النظامين .

ونامل بتوطيدنا دعائم الحركة الاسلامية العظيمة، ان يحل ذلك اليوم الذي نوطد فيه دعائمنا واسسنا ونهيئ الظروف المناسبة أي نجمع هنا علماء وننشيء مراكز علمية مقتدرة، فنطبق رسالتنا الاسلامية ونأخذ بأيدي الشعوب التي أُبقيت متخلفة، ونحن نعتقد أن موعد تصدير الثورة يحل حين نقدر على مواجهة العالم من موقع علمي وفني وصناعي قوي، وعرض أفكارنا مع الخدمات العلمية التي نقدمها هناك، ويتم ذلك بشرط ان يكون العلماء الذين يجتمعون هنا علماءملتزمين ومتّقين وإنسانيين .

اننا لا نرى العلم يختص بأتباع مذهب فكري معين، فالكل بامكانهم أن يكونوا علماء ، ونعلم أن لا تعصب في الاسلام في هذا الشأن، ونحن قادرون على تلقي العلم من لسان أيٍّ كان، وواجبنا احترام العلماء من أي مكان وأية بقعة كانوا إن لم يشاهد منهم أيُّ فساد، هكذا كان اسلوب الاسلام ومايزال كذلك .

الالتزام والتقوى في مجال العلم سبيل الاسلام :

قلت إن الاسلام كان يحترم حتى كتب الوثنيين القديمة التي كانت ذات قيمة علمية، فينبغي أن يكون اسلوبنا العلمي بهذا الشكل، وأن نحترم العلماء والشخصيات العلمية والفنية ونحترم مشاعرهم، أما محور علمنا ومحور حركتنا العلمية ومحور السبل المستقبلية للاسلام التي من شأن ايران أن تكون أحد مراكز سلوك هذه السبل فينبغي أن تقوم على أساس التقوى والالتزام، لأن امتلاك العلم قضية، أما عرض العلم المقترن بالفضائل الاخلاقية والانسانية والعدالة على العالم وجعله في خدمة البشرية فهي قضية أُخرى .

فهذا العلم حين كان في خدمة المسلمين عمروا العالم، ولكنه اليوم في ايدي الغربيين فانكم ترون أية مظالم اصبح هذا العلم وسيلة لارتكابها وأية

أعمال قذرة يمارسونها من هذه الناحية .

وعليه فنحن في حاجة الى جانب علومنا الى علماء متقين وملتزمين وانسانيين وطلاب فضيلة ومتخلقين بالاخلاق الاسلامية والانسانية الصحيحة والحمد لله إذ نعمل لهذا الهدف في جامعاتنا ومراكزنا العلمية ومراكز بحوثنا، ونأمل من جامعة طهران هذه التي تشهد هذا الحشد الهائل من مقيمي صلاة الجمعة أن تشهد يوما امواجاً هادرة من العلماء المفكرين الثوريين الملتزمين والرساليين الذين يخدمون البشرية بحمل مشاعل العلم .

الخطبة الخامسة عشرة

الجمعة: ١٣٦٣/١١/٢٦ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم»، عباد اللّه أُوصيكم بتقوى اللّه.

حول البحث بشأن «العدالة الاجتماعية في الاسلام» ذكرت حتى الآن فصولاً من باب «العدالة في التعامل مع العناصر البشرية» وكان آخر فصل اوردناه فصل الهجوم الثقافي الذي شنه العنصر الأبيض على سائرالعناصر والذي هو أحد المظالم الجارية التي اعتاد عليها افراد العنصر الأبيض، ومايزالون كذلك في هذا القرن الذي يسمى لديهم بقرن حقوق الانسان، حيث يجعلون الحقوق المعنوية لبني البشر في ارجاء العالم عرضة لأطماعهم، وسننهي ان شاء اللّه في هذه الخطبة هذا الباب بعرض اجمالي لهذين القسمين (الهجوم المادي والمعنوي للعنصر الأبيض على سائر العناصر) لنتناول في الخطب القادمة الأبواب الأُخرى من هذا البحث.

قلت في باب الهجوم الثقافي: إن الغرب الذي هو مركز العنصر الأبيض بذل مساعيه في مجال المبادئ العقائدية والفكرية وفي مجال المبادئ الأخلاقية وكذلك في المجالات العلمية والفنية لإفراغ العناصر والشعوب الأُخرى من المعنويات وابعادها عنها، وأوضحت أن هذا العمل يمثل بالضبط النقطة المعاكسة لحركة الاسلام العالمية، وأن الاسلام أرسى دعائم كل شيء

على المعنويات وهو يطلبها لجميع شعوب العالم ويدعو البشر الى الفضيلة والتقوى والعلم والفن، حيث يريد اللّه تعالى المفاخر المعنوية للبشرية جمعاء.

العنصرية في نظرة المستكبرين الغربيين :

منذ أن رفع الغربيون قبل خمسمئة عام راية المدنية المادية وهيمنوا على العالم، كان يسود بينهم مبدأ مايزال بالتأكيد سائداً لدى هذا العنصر الظالم بالرسوخ السابق نفسه حيث يقولون: نحن العنصر المتفوق وينبغي أن نمتلك كل ما هو أفضل، هذه العبارة ألتي اقولها هنا يلتزم بها بشكل عملي كل زعماء الحركات الاستعمارية الغربية حيث يقولون إن كل ما هو افضل في العالم لأي شخص كان وحيثما كان إنّما هو ملك للعنصر الأفضل في العالم، وهم يرون أن العنصر الأفضل هو العنصر الأبيض أو «الآري» حسب قولهم، ضمن هذه العبارة القصيرة يعتقد هؤلاء أن الاشياء الثمينة التي يمكن نقلها والاموال المنقولة في العالم والتي ينبغي حفظها في الخزائن وأمثالها يجب أن تحفظ في الغرب، واينما عثروا عليها سعوا من أجل نقلها الى الغرب وهذه السياسة متبعة منذ خمسمئة سنة وحتى الآن .

وينبغي أن تخضع الثروات غير المنقولة ومراكز الثروة الحساسة في العالم لهيمنتهم أيضاً، وكلما وجد منجم استراتيجي مهم أو ممر مائي حساس أو منطقة استراتيجية في بقعة من العالم، قالوا انه يجب أن يخضع لسيادتنا .

انهم يأخذون الأموال المنقولة ويخضعون غير المنقولة منها لهيمنتهم وهي في مكانها، ويكسبون الافراد والأدمغة المفكرة والقابليات الباهرة والاستثنائية في العالم مهما كلف الثمن ويستخدمونها في مراكزهم العلمية من أجل تحقيق اهدافهم، وحين يتعاملون مع العالم الثالث لا يرضون أن يكون فيه علم وفن إلّا بالحدود التي يمكن بها إدارة استهلاك البضائع الغربية الكاسدة وبالمستوى الذي يمكّن الشعوب من شراء بضائعهم الأدنى جودة، اذ لو لم

يكن كذلك فلن تبقى بعدئذ سوق لبيع بضائعهم، هذا هو أُسلوب هذا العنصر الظالم في العالم والذي يتضح لنا في مجال سلب معنويات الشعوب العريقة وفي نهب وثائق مفاخرها وقيمها التاريخية خلال هـذه الأعـوام الخـمسمئة الأخيرة .

واليوم، حيث احتفلت الأُمم المتحدة منذ فترة طويلة بـزوال الاستغلال والاستعمار الرسمي، تسمعون كل يوم اخباراً من قبيل انزال فرنسا جنودها في كالدونيا الجديدة على المحيط الهادي لأن فيها مناجم النيكل الثمينة، هكذا هم هؤلاء ، فأينما كانت جزيرة مهمة في اعماق المحيط الهـادي فـلابد أن يكون للاميركيين قوات هناك، وحين أظهرت غرينادا رغبتها في الاستقلال قليلاً احتلها الجنود الاميركيون وهذا هو أُسلوب هؤلاء ، وفي مضيق هـرمز، ومضيق جبل طارق، وقناة پنما، والمناطق الأُخرى التي تحظى بأهمية حيوية من حيث خطوط الملاحة الدولية، نرى هؤلاء يعتبرون من حقهم الطبيعي أن يبسطوا سيادتهم هناك، وهذا هو نمط تفكير قوم مغرور وغافل عن نفسه انزل بالعالم هذا البلاء ، واني ارغب في أن اذكر في هذه الخطبة عدداً من نماذج نهب هؤلاء المادي والمعنوي لأنهي بذلك هذا الفـصل، فـمنذ أن اكـتشف هؤلاء خطوط الملاحة البحرية ووصلوا القارات الأُخرى عن طريق البحر، كان هذا ديدنهم وسياستهم التي لم يتخلوا عنها في يوم من الايام بل انها ازدادت حيوية ورسوخاً يوماً بعد آخر، وقد قلت أن نقل الأموال المنقولة والثمينة التي يمكن نقلها والهيمنة على مراكز الثروة والمعنويات وافـراغ الشـعوب مـن دعائمها المعنوية ومفاخرها القومية يعد النهج الرئيس للسياسة الاستكبارية التي يتبعها العالم الغربي، فمنذ وطئت قدما كريستوفر كولومبس أرض اميركا واكتشف تلك القارة حلّ هذا البلاء في تلك المنطقة، وسأذكر في هذا المجال مواضيع مختصرة حول اميركا والشرق الأوسط والشـرق الأقـصى والمشـرق. وأضرب مثالاً حول كل منها لتكون تلك الأمثلة نماذج لتحرك هؤلاء في تلك الحقبة التاريخية .

جرائم الاوربيين بحق سكان اميركا الأصليين:

قام كريستوفر كولومبس برحلات عديدة الى اميركا وكان في كل مرة يصطحب معه فريقاً استكشافياً، وكانت خطة عملهم في تلك الرحلات سلب اهالي تلك القارة، وكان هدفهم في تلك الفترة نقل الذهب الموجود هناك، لأنهم عرفوا تلك المنطقة بأنها أرض الذهب، وكانت خططهم تقتضي في كل منطقة يسيطرون عليها أن يفرضوا على كل فرد من الأهالي ضرائب على شكل ذهب، وكانوا يطلبون من الأهالي الذهب فقط ويقولون إن الذهب ينبغي أن يُنقل الى اوربا، ويقول ابن كريستوفر كولومبس الذي كان يرافق إحدى الفرق وكان حينذاك في الرابعة عشرة من العمر أن فريقنا ارتكب من الجرائم بحق السكان الأصليين من أجل أخذ الذهب منهم ما جعلنا نخجل من كوننا اوربيين.

وكان اولئك يأخذون معهم الكلاب المدربة ويأخذون من الناس الذهب بتسليط تلك الكلاب عليهم، وقد ألف في تلك الفترة قسٌّ من الدومينيكان كتاباً بقي حتى الآن كوثيقة، وجاء في الكتاب أنهم قتلوا في كوبا وهايتي ثلاثة ملايين انسان من أجل الحصول على الذهب والسيطرة عليهم، وتعد پيرو من بلدان أميركا اللاتينية المظلومة التي لم يكف عنها الاميركيون بعد، وسأنقل لكم عن هذا البلد حادثة لتعلموا أية روح كانت سائدة لدى هؤلاء الناهبين، مع أن الروح السائدة لديهم اليوم أسوأ مما كانت عليه في تلك الفترة ولم يتغير منهم إلّا الأُسلوب.

لقد حدث أن خطط هؤلاء لاعتقال أحد القادة المتنفذين ومن رؤساء القبائل في بيرو من أجل الحصول على الذهب، فأمر القائد الاسباني المنتصر أن يعتقلوا أحد القادة المتنفذين مادياً ومعنوياً في قبيلة «اينكا» وكان يدعى «پيسارو» فاعتقلوه وحبسوه وعذبوه وقالوا له ان بامكانه انقاذ نفسه مقابل الذهب، فأخذوه الى غرفة كبيرة كان يجلس فيها القائد المنتصر، فقال: ان اطلقتم سراحي فسأفرش لكم قاع هذه الغرفة ذهباً، فقالوا: كلا، ينبغي أن

تملأهذه الغرفة ذهباً، فجرت مفاوضات بين الجانبين فتقرر أن يُجمع الذهب من القبائل ويوضع في هذه الغرفة ليملو بمقدار طول إنسان، وقد كتب الاوربيون في تاريخهم أن «پيسارو» نهض من مكانه ووقف على اصابع قدمه ومد يديه الى الأعلى ورسم خطاً في المكان الذي بلغته يداه وتقرر أن يجعلوا ذهباً في الغرفة حتى يبلغ ذلك الحد، ولم يكونوا يصدقون أن في بيرو هذه الكمية من الذهب، فانتشرت قبيلة ذلك الشخص في المجتمع والمدن والقرى واستمدوا العون من الأهالي، فجمعت النساء ذهبهن وحليهن وملأوا تلك الغرفة ذهباً كما طلب منهم «پيسارو» حتى انقذوا رئيسهم، ولهذه الكمية من الذهب قصة في تاريخ النهب الأوربي فلو صنعوا من هذه القصة فلماً لكان ذلك كافياً لفضحهم الى الأبد، وفي تلك الفترة حسب مفتشو البلاط الاسباني قيمة ذلك الذهب وقالوا انه يبلغ نحو مليون وثلاثمئة (پزوتا) من الذهب، وكانوا حينها يريدون أن يعلنوا هذا الرقم أقل من حقيقته، وبعد فترة حسبت ذلك جامعة مدريد وقالت أن الرقم اعلى من هذا بكثير، وحسبه الالمانيون وقالوا انه يبلغ (٧٠) مليون مارك من الذهب، وحسبه الانگليز فقالو إنه يبلغ (٥ر١٥) مليون دولار من الذهب، لكن فريقاً دولياً حسب ذلك طبقاً لاسعار البضائع في ذلك الزمان (فلو أردنا حساب قيمة الذهب بالنقد فلا يمكن مقارنة ذلك بقيمته في هذا الزمان، لذلك حسب ذلك الفريق قيمة الذهب حسب اسعار المواد الغذائية) وقالوا: اننا لو أردنا في ذلك الزمان أن نشتري بتلك الكمية من الذهب التي اخذوها من القبيلة دقيقاً لاشترينا به (١٨) مليون كيس يحتوي الواحد منها على مئة كيلو غرام من الدقيق، أي نحو مليوني طن من الدقيق، فتصوروا هذه الكمية من الدقيق في أذهانكم، فكل الحنطة التي اشترتها حكومتنا خلال العام الماضي من الفلاحين في ارجاء البلاد وسررنا من اجله كثيراً تبلغ مليوناً ومئتي ألف طن، لكن أُولئك أخذوا ما يعادل مليوني طن من الدقيق ذهباً من أهالي بيرو من اجل اطلاق سراح رئيس قبيلة، هذه هي الفئة الاوربية التي تعتبر نفسها اليوم متحضرة وانسانية ومخترعة لحقوق

الانسان وامثال ذلك، وهذه النماذج حدثت في ارجاء أميركا اللاتينية ولم تخص بيرو، وهي تعود لسنوات وقرون مضت حيث اطلقوا على تلك المنطقة اسم بلاد الزمرد لأن مثل هذه الامور حدثت فيها بكثرة .

وحين احتل نابليون مصر، قال أحد قادة جيشه عن مدينة تدعى «بولاق» نهبها جنود نابليون: لقد نهبنا تلك المدينة نهباً رهيباً حتى أننا اخذنا الى اوربا كل كنوز الحضارة المصرية .

ويقول ذلك القائد في مذكراته: لقد كان جنودنا حريصين على النهب بدرجة جعلتهم يسرقون جثث الجنود المصريين اذ أنهم سمعوا أن هؤلاء الجنود اخفوا مجوهرات تحت ألبستهم لكي لا نسلبها منهم، وبشكل عام كان هؤلاء يسلكون هذاالسلوك اينما تصوروا وجود سوابق حضارية .

جرائم اوربا في الهند :

تعد الهند مسرحاً لعرض جرائم الاوربيين في آسيا، فطوال قرون عديدة مارس الفرنسيون والانكليز في الهند أبشع أشكال السلب، وسأذكر نموذجاً واحداً لذلك لتروا كم كان هؤلاء يحرصون على نهب الاشياء الثمينة التي تملكها الشعوب الأُخرى، وأية أهمية كان يحظى بها هذا السلب حتى لحروبهم، فمتاحف البلدان الاوربية الآن حافلة بالوثائق التاريخية والكنوز القديمة لكل شعوب العالم اكثر مما لدى تلك الشعوب أنفسها، وحتى نحن الذين لم نكن مستعمرين لانكلترة أو فرنسا لو أردنا اليوم العثور على أفضل كنوزنا الثمينة كالمخطوطات والآثار النفيسة وغيرها فعلينا البحث عنها في المتاحف الاوربية، لقد كانت سياسة هؤلاء تقوم أساساً على نهب ثروات الشعوب الثمينة، فحين كانوا يذهبون الى منطقة معينة كانوا يأخذون معهم خبراء في النفائس، وكان خبراء النفائس اليهود الذين تخصصوا في هذا العمل يأتون مع المهاجمين ويسرقون الاشياء النفيسة من داخل المنازل والمتاحف والقصور ويأخذونها معهم، وكان من أساليبهم المتبعة فرض الضرائب الفردية

على شكل ذهب فلو امتنع الناس عن الدفع اباحوا المدينة لجنودهم لكي يسلبوها، ومن المدن الهندية التي نهبت وبقيت عنها وثائق جيدة مدينة «لكنو» مركز ولاية «أود» الهندية، فمن حسن الحظ أن صحفياً يعمل في صحيفة التايمز الهندية يدعى «وليام» كان حينها حاضراً هناك فكتب كتابين عن قصة نهب هذه المدينة، وهذان الكتابان يعتبران اليوم وثيقتين تدلان على ما فعله العنصر الذي يدّعي الأفضلية على الشعوب الأُخرى، وجاء في احد الكتابين: «حين صدرت الأوامر بالنهب، نهب جنودنا وضباطنا ومراتبنا من منازل المهراجات والشعب ومراكز العبادة والمعابد والقصور الحكومية من الأموال ما يجعلنا نقول إن تلك الاموال تشكل جزءاً كبيراً من ثروات انگلترة.

ثم يقول: وقد حصل كثير من ضباطنا على كميات من الثروة تكفيهم لضمان مستقبلهم وتمكنهم من شراء منزل جميل في اسكتلنده أو ايرلنده أو شراء سفينة نزهة، أو توفر لهم رأس مال يجعلهم يستريحون الى آخر عمرهم، وكتب هذا الصحفي في مذكراته: لو أن جندياً عثر في منزل على آنية خزفية راقية ورأى في الشارع زميله حاملاً في يده قطعة من الماس، لغضب لسوء حظه ولحصوله على الخزف بدلاً من الماس، وضرب الخزف بالارض وحطمه.

هذه الجرائم ارتكبوا أمثالها في دلهي الجديدة، وبشكل عام اقيمت مزادات علنية للمجوهرات والقلائد وسائر الأموال المسروقة والمنهوبة تجعل المرأ يأسف لهذا الوضع، ويتساءل كيف تتطهر لدى المتغربين صور هؤلاء البشعين فيظنونهم أُناساً متحضرين وانسانيين؟

جرائم اوربا في الصين :

لقد سنّ هؤلاء قانوناً لنهب الصين يقضي بأن يأخذوا مقابل كل جندي انگليزي يقتل دية مقدارها عشرة آلاف جنيه، وفي مقابل كل جندي غير اوربي ـ هندي أو افريقي مثلاً ممن كانوا في جيشهم ـ خمسمئة جنيه، فانظروا

أولاً الى نمط تفكيرهم الذي جعل دية الجندي الانكليزي عشرة آلاف جنيه ودية الجنود الملونين خمسمئة جنيه، صحيح أن كلا المبلغين ظلم لكننا نرى التمييز حتى في هذه القضية أيضاً، وعن هذا الطريق كانوا يفرغون جيوب الناس، وايـنما آمـتنع الناس عن الدفع نهبوهم، وحين هدموا القصر الامبراطوري الصيني وأحرقوه حيث يعد ذلك من كوارث التاريخ الفني العالمي، كتب القائد الفرنسي واسمه «تشارلز گاردن» الذي كلف فيما بعد بإخماد ثورة «المهدي» في السودان، في مذكراته التي كتبها في هذا الشأن تحت عنوان (يومَ نهبوا القصر): «لقد دمر اليوم بأيدي جنودنا أجمل قصر في التاريخ البشري» هذه هي عبارته.

وكمثال على ذلك كان يحدث احياناً أن يحطموا سريراً أو كرسياً أو ساعة جدارية من أجل اخراج فص من الماس أو الفيروزج أو الياقوت أو الزمرد، وقد حدثت حوادث ونزاعات بين المانيا وفرنسا حول نهب غرفة موادّ التجميل الخاصة بامبراطورة الصين وكان كل منهما يدعي لنفسه ملكية الآلات والأدوات الموسيقية التي كانت في ذلك القصر.

وهؤلاء لم يتورعوا في تاريخهم عن ارتكاب أي عمل من أجل نهب مراكز الثروة في العالم ونهب مفاخر الشعوب وسلب قيمها التاريخية لأنهم كانوا يعتقدون أن لو رأت الشعوب ما ورثته من عصورها التاريخية ومن آبائها واجدادها فسوف تُبعَثُ فيها الروح القومية، وستعلم أي ماضٍ قيم كان لها لذلك كان الاوربيون ينهبون كل شيء لكي لا يبقوا لدى الشعوب حتّى هذا القدر القليل من المعنويات، ولم يرحموا حتى المقابر وخرائب الآثار التاريخية، وكلما كانت هناك دلالة تاريخية على وجود مدينة قديمة حفروا ذلك المكان، واخذوا كل ما حصلوا عليه من المقابر، ولربما سمعتم بقصة فضيحة «اندريه مالرو» الذي كان وزيراً في حكومة ديغول (بفرنسا) وهو كاتب شهير أيضاً، حيث عثروا في مدينة «آنقوره» الكمبودية في حقائبه على عشرات الاجساد الموميائية ، وقد نشرت الصحف هذه القضية، فإلى هذا الحد

تقدم هؤلاء في السرقة .

جرائم اوربا في مصر :

انكم تجدون من آثار الأهرام المصرية اليوم في مصر نفسها اقل مما تجدونه في متاحف لندن، فالجثث المحنطة التي نجدها في متاحف اوربا بعد أن أخذوهامن مصر تبلغ حداً لا يمكن أن نجده اليوم في مصر ذاتها، وكانت طبيعة التيار الاستكباري الغربي منذ اربعمئة سنة أو خمسمئة وحتى اليوم أنهم كانوا يبحثون دائماً عن الأماكن التي توجد فيها الثروات والمناجم والذهب والماس والمفاخر القومية والنفائس وآثار الحضارات السابقة لكي ينهبوها كلها ويأخذوها الى اوربا، وقد فعلوا ذلك بالفعل واخذوا كل هذه الأشياء الى اوربا، وبامكانكم أن تدركوا بهذا الحساب البسيط جداً وبهذا المقياس الذي أتحدث به لماذا نرى اوربا غنية والبلدان الأُخرى فقيرة؟ فكل هذا الذهب والماس والمجوهرات يعد تراث الحضارات البشرية العريقة الذي جمعه هؤلاء وكدسوه في خزائنهم، أو جمعه الاقطاعيون والمتجبرون والكونتات والكونتسات واللوردات الذي كانوا يعيشون في انحاء اوربا وكدسوه في خزائن خاصة وجعلوه دعماً لنقودهم ونشاطاتهم الاقتصادية، هذا هو الوضع الذي يعيشونه، وذلك هو وضع الشعوب الأُخرى التي نهبت مناجمها ومفاخرها ومعنوياتها حيث تشهدون اليوم النكبات التي تعيشها .

وقد كنا نرى في عهد النظام السابق ـ في ايران ـ أن هناك ملّاكاً كبيراً أو اقطاعياً يعيش في قرية أو منطقة، وحين كان المرء يقارن بين بيت الملاك وأُسرته وبيوت الآخرين يجد أن كل ما صادفه طوال عمره من الأشياء الجيدة قد عمر بها بيته وبيوت اقاربه، ولو كان عند البقية دجاجة أو بيضة جيدة لقدّموها ليلة العيد لهذا الرجل، ولو أنهم عثروا في البراري على فاكهة جيدة لجاؤوا بها الى هؤلاء ، ومن المؤكد أن هذا الاسلوب يجعل هذا الفرد يكبر والبقية يصغرون، وهذا الاسلوب يتمثل الآن في العالم في العلاقة بين العنصر

الابيض وسائر العناصر، فلو وجدنا جزيرة صغيرة في محيط واسع أو رأينا في صحراء قاحلة قلعة شامخة أو مزرعة خضراء يانعة فهي ملك للبيض.

أسلوب الفاتحين المسلمين:

قارنوا هذا الأُسلوب بالاسلام، ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نجعل مقياسنا العهدين الاموي والعباسي في تاريخ الاسلام، لأن هؤلاء لم يكونوا مسلمين حقيقيين، ولكن مجرد أنهم كانوا يُسمَّون مسلمين يجعلنا قادرين على المقارنة قليلاً، ولو اتخذتم عهدالنبي (ص) والخلفاء الراشدين أي تلك الأعوام الأربعين أو الخمسين الأُوَل من عهد الاسلام مِلاكا للقياس، فانكم لا ترون في أي عهد أن عمّر هؤلاء المدينة وخرّبوا منطقة من العالم، ففي تلك الأعوام الأربعين أو الخمسين الاول من تاريخ الاسلام كان الوضع المعيشي لأهل المدينة أسوأ دائماً من المناطق التي فتحوها، فليست في الاسلام سياسة تقضي بأخذ أموال الآخرين وصرفها على أُناس معينين ومنطقة خاصة، وقد قلت مرة في احاديثي هذه إن المسلمين حين تغلبوا على «هوازن» بعد فتح مكة وحصلوا على كل تلك الثروة، وزع النبي كل الأموال في اطراف هوازن وعاد الى المدينة خالي الوفاض. وقال للأنصار إن هؤلاء يعودون بالغنائم وانتم تعودون برضا اللّه، فلا يهدف الاسلام الى نهب سائر الشعوب من أجل اعمار مركز الحكم الاسلامي، بل يعتبر ذلك من الذنوب، وحتى في عهد الأُمويين الذين كانوا مسلمين بالاسم فقط لا تجدون دمشق قد نهبت هذا النهب، ولا ترون في عهد خلافة العباسيين في بغداد مثل هذه الجرائم التي ارتكبها الغربيون لإعمار اوربا، ومع ان أولئك لم يكونوا مسلمين حقيقيين لكن اسم الاسلام كان بذاته يمنعهم من ذلك، ولو كان لدى الشعوب والأقوام والملل شيء من النعم الدنيوية فالاسلام يريده لهم، وهو يدين النهب والسرقة والخيانة والتجبر والاستغلال والاستعمار.

اوربا بملفها الاسود تدعي الدفاع عن حقوق الانسان في مواجهة الاسلام:

هذا هو الاسلام، وتلك هي اوربا التي تزعم اليوم أمام الحركة الاسلامية أنها تدافع عن حقوق الانسان وتدّعي العدالة والتحضر، وهؤلاء يقفون بوقاحة أمام الجمهورية الاسلامية وامام الحركة الاسلامية ويظنون أنهم قادرون على خداع هذا الشعب والحيلولة دون ادراكه الحقائق بالالفاظ الجوفاء والمزاعم التي اثبتوا ألف مرة في التاريخ أنهم كاذبون فيها، وخلاصة حديثي في هذا الفصل أن بيننا وبين الحركة العنصرية الأوربية فارقاً كبيراً في التعامل مع الشعوب الأُخرى، واننا نقف وإياهم في الأساس على طرفي نقيض، والعدالة الاجتماعية في الاسلام في مجال الماديات والمعنويات عدالة محسوبة رسمت بقلم الخلقة وبالإرادة الإلهية، والتيار الاستكباري للعنصر الأبيض هو هذا الذي نلاحظ آثاره في العالم، والسبيل الوحيد لدحض كل هذا الظلم وخلاص البشرية من هذه المظالم التاريخية التي تجري منذ عدة قرون ينحصر في نظرنا في احياء الاسلام واحياء روح التقوى والفضيلة والمعنويات والمبادئ الاسلامية والانسانية بين الناس، وترسيخ دعائمها في حياتهم، لكن نطبق بعد ذلك العدالة في تعاملنا الصحيح مع سائر الشعوب.

الخطبة السادسة عشرة

الجمعة: ١٣٦٣/١٢/١٠ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه، بسم اللّه الرحمن الرحيم **«ان اكرمكم عند الله اتقاكم»**.

حول بحث عدالة الاسلام الاجتماعية بشأن العناصر البشرية، ذكرنا فصولاً من المظالم التي ارتكبها خلال القرون الخمسة الماضية العنصر الأبيض المتمركز في اوربا وفي أميركا اليوم، وأشرنا في كل فصل الى عدالة الاسلام، وفي هذه الخطبة اطرح فصلاً آخر من هذا الموضوع أراه من فصول هذا البحث المهمة جداً وهو يتناول قضية استخدمت كأصل وأساس في سياسة استمرار مظالم البيض المستعمرين تجاه العناصر الأُخرى، وهو سلاح يستخدمه المتغطرسون في الوقت الحاضر أيضاً.

وفي الفصول السابقة شرحنا الهجوم الثقافي المعنوي والفني والعلمي عن طريق الحصول على الامتيازات والغزو العسكري وعقد الأتفاقيات ونهب الأموال والكنوز الوطنية والمفاخر الفنية، وهذا الفصل الذي سأطرحه في هذه الخطبة يحظىٰ لدي باهتمام خاص، واطلب من ابناء شعبنا الشريف والمسلم والثوري أن يهتموا اهتماما جديراً بهذا البحث مادام مستمراً في خطب الجمعة، وان كان لديهم اقتراح أو انتقاد للقضايا المطروحة فيه، فبإمكانهم

اخباري به بالرسائل أو بالهاتف، واطلب بشكل خاص من العلماء والفضلاء أن يتمعنوا في هذه النقطة التي اشرحها .

الاخلال في سياسة الشعوب غير الاوربية وادارتها :

من الصفحات البشعة جداً جداً للتاريخ البشري خلال هذه القرون الخمسة من تاريخ الغرب والعلاقات الدولية، الظلم الذي اريد الحديث عنه الآن وهو «الاخلال في سياسة الشعوب غير الاوربية والعناصر غير البيضاء وادارتها» والذي مورس من قبل المستعمرين البيض خلال القرون الخمسة الماضية، فقد كان هؤلاء بحاجة الى الامساك بأزمّة البلدان الخاضعة لهيمنتهم واداراتها من قبلهم بشكل مباشر أو غير مباشر متخذين ذلك هدفاً ووسيلة لتحقيق اهدافهم المتمثلة في النهب والسرقة المخططة لها، وقد استخدموا لتحقيق هذا الهدف كل ما تمكنوا منه وينبغي القول إنهم نجحوا في هذا الأمر، ومما يؤسف له أنهم ناجحون فيه اليوم أيضاً حيث تنتشر اليوم انتشاراً تاماً هذه السياسة للقوى العالمية المتفوقة في العالم الثالث وبين معظم شعوب العالم المظلومة، ويجب ان تحظى هذه القضية بالاهتمام الكبير من قبل شعبنا واهلنا الثوريين و مستمعينا في العالم ولاسيما بعد هذا البحث حيث سنركز على المعارف الاسلامية، ومن شأن ذلك أن يكون منيراً للطريق أمامنا، وهذا في الحقيقة فضح لنقطة سوداء في تاريخ الاستعمار الغربي والشرقي مؤخراً .

وقد كان واضحاً لدى المستعمرين أنهم عاجزون عن الهيمنة على شعب أو بلد أو منطقة دون النفوذ الى ادارة تلك المنطقة ومديريها وامرائها وملوكها، فلو لم تضمن هيمنتهم السياسية لزالت هيمنتهم الثقافية والاقتصادية وسائر اشكال هيمنتهم الاستعمارية، ومما يجدر قوله أن هناك علاقات متبادلة بين مختلف اشكال الهيمنة، فالهيمنة الثقافية تعزز الهيمنة السياسية وكذلك الحال في الهيمنة الاقتصادية، ولكن لو أراد المرء أن يأخذ بنظر الاعتبار المعادلة الاولية لهذه القضية، لرآها تنفذ في ظل المدراء الكفوئين وغير الكفوئين

للمجتمعات، وليست هذه القضية أمراً غامضاً واني اعتقد أن فطرة البشر تجعل أول شيء يمكنهم نهمه هو الحقيقة القائلة: إن لم تتم السيطرة على ادارة المجتمع أو رئاسته أو امارته أو حكومته فلا يمكن القيام بعمل جدي ومضمون، وهذا الموضوع يفهمه الجميع لذلك نرى كل التيارات والجماعات والأفراد الساعين نحو الهيمنة في العالم يعملون للحصول على السلطة السياسية .

ومن الطبيعي أن يكون للاسلام اهتمام بهذه النقطة، فالاسلام الذي اكتشف دقائق الحياة وادق القضايا النفسية للمجتمع ووضع لها خططاً لا يمكنه إهمال مثل هذه القضية الواضحة .

وللاسلام في هذا المجال وصايا خاصة سأشير اليها خلال الخطب القليلة القادمة .

لقد اهتم الاسلام بهذا الموضوع اهتماماً خاصاً، حيث لدينا بعض العبارات القصار مثل **«الناس على دين ملوكهم»** أو **«صنفان من امتي اذا صلحا صلحت أُمتي واذا فسدا فسدت امتي»** حيث تعتبر الرواية الأُولى صلاح الأُمراء والحكام محوراً لصلاح المجتمع، وتعتبر الرواية الثانية صلاح المجتمع رهيناً بصلاح العلماء والحكام معاً، وعبارة **«الناس على دين ملوكهم»** توضح حقيقة تقول إن أفكار الناس ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بدين الحكّام وأفكارهم، ويبدو أن هناك رواية أُخرى عن الرسول الأكرم (ص) يقول فيها:

«اذاكان امراؤكم خياركم وسمحاؤكم اغنياءكم وامركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها» أي أن الحياة افضل لكم من الموت، والنقطة المقابلة لذلك هي:

«واذاكان امراؤكم شراركم وبخلاؤكم اغنياءكم واموركم على نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» أي أن موتكم افضل من حياتكم لأن مثل هذا المجتمع لا يسير نحو الصلاح .

واني أقصد من الاتيان بهذه الروايات أن تروا كيف أن الاسلام اهتم في تعاليمه العادية واليومية بذكر حقيقة تقول: لو كانت الذراع الرئيسة لتحرك المجتمعات (أي الحكام) فاسدة فلا يمكن للمجتمع أن يتقدم نحو الصلاح،

وقد اكتسبت هذه القضية لدى الشيعة بشكل خاص لوناً آخر، والذين لديهم اطلاع على المعارف الشيعية يعلمون أن الحكم لدى الشيعة قضية سماوية، أي إن الولاية نفسها التي جعلها اللّه للنبي الأكرم (ص) كمسؤول عن حكم الناس انتقلت في الفكر الشيعي الى الأئمة (ع) المنصوص عليهم بعد النبي (ص)، ثم تأتي ولاية الفقية التي نراها قد ترسّخت اليوم الى هذه الدرجة في دستور بلادنا وفي حياتنا وهي من ظلال الفكر الشيعي الذي يرى أن للولاية والحكومة اصلاً سماوياً، أي أنه يولي قضية الحكام والحكومة والولاية وتدبير شؤون الناس من الاهتمام بحيث باتت من صلب معتقده قضية سماوية، ومن المؤكد أن سائر الفرق الاسلامية أكدت على صلاح الحاكم والخليفة ومدير المجتمع، فاحفظوا في اذهانكم هذا الموضوع لكي نواصل البحث حوله في المستقبل.

والغربيون محتاجون من أجل بلوغ أهدافهم للتصدي لحكم المجتمعات وادارتها في البلدان الخاضعة لهيمنتهم.

ولكن كيف يريد سكان جزيرة انكلترة أو الاميركيون أن يبسطوا هيمنتهم عبر المحيط الأطلسي على اعماق الصين أو الهند أو البلدان العربية في افريقيا مع كل هذه الفوارق الموجودة بينها وبينهم من حيث العناصر البشرية واللغة والثقافة؟ وكيف يريدون الامساك بادارة هذه المجتمعات، فهذه قضية في غاية الأهمية.

وقد كانت هذه القضية اسهل على هؤلاء في المناطق التي كان الاستعمار فيها رسمياً مثل فلسطين والجزيرة العربية والعراق والهند وفيتنام وأمثالها لأنهم كانوا ينصبون المدراء بأنفسهم، فكثير من الذين كانوا يحكمون مثل هذه البلدان كانوا يأخذون وثيقة حكمهم من ملكة انكلترا مثلاً وكان ينبغي أن تكون تلك الوثيقة موقعة من الملكة نفسها، فلم تكن الهيمنة على مثل هذه المناطق أمراً صعباً، ولكن في بلدان مثل ايران التي كانت مستقلة فانهم حين كانوا يريدون الامساك بادارتها كانوا يواجهون المشاكل، وسوف أشير في

البحوث القادمة الى كيفية حلّهم لتلك المشاكل، اما عن الحكومات الشرقية لاسيما القوة الكبرى الشرقية والماركسيين فلا أريد البحث في هذا المجال كثيراً وسبب ذلك يعود أولاً الى ان هؤلاء حديثو الولادة، وهم انفسهم يعانون من بعض المشاكل ثم إنهم لما اقاموا أساس مذهبهم على المادية ورفض كل القيم المعنوية، فالذي يصل الى الحكم عن طريق الماركسيين شخص لا يعترف بالله والمعنويات والأخلاق ويدير كل شيء على أساس المادة، ويعتقد أن كل شيء هو من آثار المادة، ويعتبر التاريخ مادياً أيضاً، ويعتبر حركة التاريخ حركة حتمية، فحين يريدون ايصال مثل هذا الشخص الى الحكم عن طريق حزب او انقلاب عسكري فمن المعلوم أن لا امكانية لوجود فضيلة لديه، وعليه فهؤلاء ينصبون دائماً للحكم في البلدان التي تدور في فلكهم افراداً ارتقوا سلم المادية هذا كالفئة التي تحكم افغانستان والتي تعرّض الى هذا الحد أبناء شعبها للمذابح التي ترتكب على أيدي الجنود الروس، وهم يظنون أنهم جاؤوا من أجل بسط العدالة، فمثل هذا الانطباع المتناقض ينتج عن تلك الأيديولوجية ولا نقاش كثيراً في هذا المجال، لأن العنصر الأبيض الذي نتحدث عنه هنا يصدق على الغربيين غالباً (مع أن العنصر الأبيض لهؤلاء ارتكب هذه المظالم نفسها في جزء من العالم).

فالغربيون ايديهم مطلقة اكثر في مستعمراتهم التي ينصبون بانفسهم حكاماً عليها، أما في البلدان الخاضعة للنفوذ مثل ايراننا على مر التاريخ وبلدان مستقلة في الظاهر كمصر والجزيرة العربية واليمن والسودان كأمثلة حيّة معاصرة، فكيف كان بامكانهم السيطرة على ادارة شؤونها؟ فلوا أرادو أن يحكم مثل هذه البلدان افراد صالحون، حيث انهم محتاجون احياناً للافراد الصالحين ظاهراً، فان المشكلة أن شخصاً صالحاً أو عدة مدراء صالحين غير مستعدين في أي بلد أن يضعوا مصالح بلدهم وشعبهم تحت تصرف الأجانب، وهذه حقيقة في غاية الوضوح، أي إن شخصاً تُشَمُّ منه رائحة الصلاح قليلاً، غير مستعدٍّ مهما كلف الثمن لأن يضع مصالح شعبه وأقاربه واسرته وبني دينه

تحت تصرف اميركا أو انكلترا أو روسيا أو أية قوة أُخرى .

وعليه فمن الطبيعي أن يجري ضمن هذا التيار ويخضع لنفوذ هؤلاء أُناس تتقوى مشاعرهم تجاه الاجانب (بسبب أطماعهم الشخصية وركضهم وراء المنفعة الخاصة) بدرجة تجعلهم مستعدين للتضحية من أجل أولئك، ولكي يحققوا اطماعهم الشخصية ومطامحهم في الحكم نراهم يضحّون بمصالح شعبهم من أجل مصالح الاجانب، وهذه قضية طبيعية جداً أن يكون اغلب الحكام في البلدان الخاضعة للنفوذ من الذين يتلاعبون بمصالح شعبهم ويحرقون سوقاً من أجل منديل واحد، ويقبلون بانزال المصائب على الشعب من اجل ابقاء انفسهم واقاربهم واعوانهم في رفاهية من العيش ، مثل هذه الفئة تسقط في هذه التيارات، ومما يؤسف له أن أيدي المستغلين وتاريخ العالم الثالث والاجيال والعناصر غير البيضاء خلال الأعوام الأربعمئة أو الخمسمئة التي يمثلها هذا التاريخ الأسود، مليئة بهذه الصفحات المخزية لسلوك الحكومات العميلة مع شعوبها والأجانب وعملائهم، وهو تاريخ بشع جداً، وهو ليس تاريخاً ضائعاً، بل هو تاريخ مدون، حيث تحفظ كثير من الكتب والصحف والصدور وتاريخ حياة الناس ومسارح الاحداث هذه القضايا، وتاريخنا حافل بمثل هذه المشاهد وقد تبقى هذه المشاهد حية في تاريخ البشرية ولا تمحى من اذهان الناس أبداً .

عدم معرفة حكام البلدان الخاضعة لنفوذ الاستعمار بمصالح شعوبهم :

على هذا الأساس يمكن للمرء أن يتوصل بشكل تحليلي الى نتيجة تقول إن الذين يُنصَبون لادارة الأُمور في البلدان الخاضعة لنفوذ الاستعمار والاستكبار أغلبهم لا يعرف مصالح شعبه كثيراً بل هو بمصالح الأجنبي اكثر معرفة، ولا يعني هذا الكلام أن أي شخص في هذه الأنظمة وفي كل مستويات الحكم فاسد، فكثير منهم يأتي بأمل الخدمة ثم يقدم خدمة أو لا يقدم وقد يمارس كثير منهم نشاطه معتبراً ذلك عملاً عادياً ولا يرتكب خيانة بل ينجز

عملاً صغيراً قدر استطاعته، إلّا أن طبيعة حكام البلدان الخاضعة للنفوذ أنهم قليلو الوفاء لمصالح شعبهم، فان رأيتم اليوم مثلاً حكام مصر وبغداد والأردن يجلسون ويجرّون وراءهم منظمة التحرير الفلسطينية ويتصرّفون بهذا الشكل ضد مصالح العرب، أو رأيتم في لبنان أن الكتائب والتيار الذي يحكم لبنان يوافق على حضور اسرائيل في بلده أكثر من موافقته على حضور المسلمين وشعب لبنان المظلوم، وان كنتم ترون اليوم بلداناً كالسودان تتحول في افريقيا الى جسر لغلبة الاستكبار الغربي، أو ترون حكومات كالحكومة الافغانية ترتكب المذابح بحق شعبها على يد جنود القوزاق الروس، فأصل كل ذلك في الذي قلته ، أي يبرز تيار حاكم يربط نفسه واعوانه ومصيره بمصالح التيار الاستكباري الفلاني في العالم، ويسلك مثل هذا السلوك ضد مصالح أهله وشعبه من أجل الحفاظ على هذه المصالح المحدودة، وهذه النماذج تعد خلال هذه الأعوام الخمسمئة نموذجاً على التيار السائد في تاريخ البشرية تقريباً، والمسؤول الأول عن كل ذلك هو هذا العنصر الذي يسمى بالأبيض وباطنه اكثر سواداً من الفحم، ومركزه الرئيس اليوم ذلك البيت الابيض الذي باطنه على خلاف ظاهره اكثر سواداً من كل سواد، وهو مركز للظلمات اسموه البيت الأبيض، ومصداق لذلك المثل الشهير الذي يقول: على العكس أسموا الزنجي كافوراً، واني لا اعلم لماذا صار ذلك البيت أبيض منذ البداية؟! ولماذا لم يصبح لونه اسود مصادفة لكي يناسب ذلك باطنه البشع!؟ هذه هي طبيعة معيشة هؤلاء في الدنيا، أما معادلة القضية فهي التي اريد الحديث عنها وهي معادلة ينبغي اكثر من أي شيء آخر أن تكون درساً لشعبنا، ليعلم أي الأشخاص ينبرون في التيارات المحلية والداخلية للتعاون مع التيارات الاستكبارية ، وأي الأشخاص يؤدون هذه الأعمال . فالصعب في هذا الأمر هو اكتشاف هذه العلاقة واجراء تحليل صحيح لا يدع المرء يضل طريقه بل يفهم أي تيار يكمن فيه هذا الخطر فيكتشفه ويحذر من أن يبرز هذا التيار في مكان ما .

سيادة العصابة الرأسمالية في البلدان الخاضعة لنفوذ الغربيين :

الذي قرأته من التاريخ حتى الآن ومن مصير هذه البلدان المكبلة يمكن ابرازه على شكل قانون تقريباً، ومع أن هذه الأشياء ليست قانوناً مئة في المئة كالقوانين الرياضية لكنها يمكن أن تصاغ في شكل قانونٍ اجتماعي يقول إن العصابة الرأسمالية والذين يعشقون الرأسمالية ويعجبون بالأموال الدنيوية هم الذين يمكنهم حمل هذا النهج الاستكباري القذر على عواتقهم وممارسة هذه العملية في البلدان المختلفة، ولو أنكم لاحظتم تاريخ هذه البلدان (وقضية حكم الألف عائلة الذي صار آسماً علماً تقريباً تكشف عن هذا الأمر) لوجدتم أن الذين يريدون نهب شعبهم وملء موائدهم باستغلال الفئة العمالية المعدمة من شعبهم من الذين نجد في كيانهم هذا الاستعداد فيستغله المستغلون الغربيون اسوأ آستغلال. واينما وجدنا في التاريخ حكومة عمّرت طويلاً وضعفت للغربيين وبقيت لفترة طويلة فإننا نجد أن الفئة الرأسمالية قد تعاونت مع تلك الحكومة، وليس من الضروري ابتداءً أن يتسلّم الحكم شخص رأسمالي، فقد يجد هؤلاء نظام حكم يحمل اطماعاً شخصية أو ينصبون فئة في البلاد عن طريق انقلاب عسكري ثم يلتحق به الرأسماليون ويسندوه ، فإن لم يكن ذلك النظام رأسمالياً فإنه بعد سيطرته على مقاليد الحكم واغتصابه مصالح الشعب يتحول الى الفئة الرأسمالية شيئاً فشيئاً، ويصرف همّه نحو المنزل والسيارة والمزرعة والحساب المصرفي والشهوات والحفلات الليلية والسفرات والملذات والمجون والعلاقات المشبوهة، ومن هنا يبرز تيّار يسيطر على مقدرات البلاد ويتحول الى افضل رفيق وصديق حميم لهيمنة الاجانب والتيارات الاستكبارية الداخلية، وقد أثبت تاريخ العالم صحة هذه المقولة .

فهذه الأُسر التي نجدها في البلدان العربية مثل العراق (قبل هذه الحكومة) والأردن وكثير من بلدان جنوبي الخليج الفارسي والمناطق الأُخرى، هي التي

يلقي الاستكبار على عواتقها تبعة هذه الأعمال بحق الناس، وأُسرة بهلوي في بلدنا أفضل مثال على هذا التيار، والعصابة الرأسمالية التي كانت خلال الأعوام الخمسين أو الستين الأخيرة التي يمكن أن نحسب لها حساباً افضل مثال على هذا التيار، فلو لم يكن هؤلاء لما وُجد من يعمل على تطبيق سياسة العالم الاستكبازي، فالعمال والكسبة العاديون (ولا أقصد هنا التجار الكبار جداً) والجنود والمراتب والضباط العاديون وافراد الطبقة المتوسطة نرى معظم علاقاتهم العاطفية ومصالحهم ومعيشتهم ترتبط بعامة الشعب وهم من الشعب نفسه، ويصعب أن يتحول هؤلاء الى عصابة تخدم تياراً معادياً للشعب، وقد يحصل ذلك بشكل فردي، اذ يمكن العثور على فردٍ من أي مكان وشراء ذمته وتحقيق الأغراض عبره ، ولا يمكن العثور بسهولة على تيار يحظى بمزيد من الاستمرار والبقاء .

وعليه نستنتج أن هناك قانوناً دائماً وفي كل مكان «ونقصد هنا بالقانون الاجتماعي حيث إنَّ للقوانين الاجتماعية استثناءات محتملة» وهو أنه قد جرت العادة في البلدان الخاضعة لنفوذ الغربيين والتي تدور في فلكهم أن تبرز عصابة خاصة تعمل كتيار متجذر في المجتمع وتطبق سياستهم، وعن طريق هؤلاء جرت المفاسد واهم تيار يمكن للمرء أن يذكره هنا هو التيار الرأسمالي،وليس معنى ذلك أن تعتبروا كل رأسمالي خادماً لاميركا أو الغرب، كلا، لأن نظرتنا الاسلامية لا تسمح لنا بالحكم على إنسان بصورة حتمية، فالشيوعيون هم الذين يصنعون الطبقات ويقولون ان هذه الطبقة فاسدة وتلك الطبقة سليمة، ويقولون إن من المستحيل أن نجد في الطبقة الرأسمالية التي هي طبقة فاسدة ـ حسب تعبيرهم ـ انساناً صالحاً، ولو وجدوا انساناً صالحاً قالوا إنه خرج عن طبقته، واننا لا نحلّل هكذا، فمن العادي أن يكون الاغنياء أناساً صالحين، فعندنا مثلاً السيدة خديجة التي كانت في خدمة النبي وهي أول آمرأة أسلمت في تاريخ الاسلام، فالقضية لدينا اضحت موضوعية ولا يمكننا التفوّه بهذا، فالصالحون يمكنهم أن يكونوا أغنياء أيضاً يمتلكون المال الحلال

ويستخدمونه بالشكل الصحيح أو حتى ينفقون من أموالهم ويستفيدون منها ولا يدخلون هذه التيارات القذرة، فهذا أمر ممكن، ومع أن تعميم هذا الأمر ليس صحيحاً لكننا يمكننا أن نحكم من الناحية النوعية أن هذا الأمر حدث في العالم لاسيما خلال نصف القرن الماضي، وحين نعود الى الوراء نرى الأسوأ من ذلك، ففي الفترة السابقة كان هؤلاء حين يأتون الى منطقة معينة يذهبون الى رؤساء العشائر والإقطاعيين والعمدات والملاكين الكبار ويربطونهم بهم أنفسهم، لاحظوا تاريخ إيراننا هذه، وانظروا الى مجلس النواب بعد حركة الدستور لتروا أية فئة كانت تجتمع في مجالس نواب البلدان المستقلة والحرة ظاهراً، ومن كان يفوز حين يجرون انتخابات في العشائر والقرىٰ ، فحين كان ابن الاقطاعي ورئيس العشيرة حاضراً لم يكن الناس ينتخبون الفلاح والعامل، ولم يكن يذكر أصلاً، ولم يكن أحد يدون اسمه في الانتخابات، ثم كان هؤلاء يجتمعون في مجلس النواب الذي لم ينفع شيئاً ولكنهم كانوا يجتمعون فيه وكان اسمه مجلس النواب، وكان امر الذين ينصبون من اعضائه واضحاً حيث كانوا يشكلون مجلس الشيوخ .

ثم كان تعيين الوزير والنائب والمدير العام ورؤساء الدوائر والمصانع وامثالهم وكل من كان يعين لمنصب بالأُسلوب نفسه الذي استمر حتى السنوات الأخيرة، فكان ذلك تياراً مترابطاً ومتأصلاً تصل يده الى كل مكان وحتى المناجم التي تحت الأرض حيث كانت أسلحة الدرك ترافق ارادة الاقطاعيين، مثل هذا التيار كان يدير البلاد والى جانبه قدرة أميركا أو اوربا أو المناطق الأُخرى وسياستها الأمبريالية، فانظروا هل يمكن في مثل هذا الوضع أن يتقدم مجتمع نحو الصلاح، وما أريد قوله هنا هو أن المسؤولية الرئيسة عن مصائب العالم وتعاسة شعوبه تقع على عاتق هذه السياسة المشؤومة التي أصلها في القصور البيض ظاهراً في العالم الغربي، فهؤلاء مسؤولون عن كل مصيبة تقع في العالم، ومع ذلك كان الحال بشأن ايران في ظاهره حيث كان هنا محمدرضا شاه يحكم وكان هناك مجلس نواب يسنُّ القوانين لصالحه

وتعتبر آلة في يده، ولكن الحقيقة أن رؤساء القبائل والعشائر والاقطاعيين والاغنياء وتجار الاستيراد والتصدير واصحاب المصانع الذين اصبحوا على هيأة عصابة مترابطة في كل أُمورها يبلورون هذا النظام ولم يكن هناك غريب في ذلك النظام إلّا الشعب وعامة الناس الذين كانوا يعطونهم الطعام كحيوان يريدون تحميله، هكذا كان رأي هؤلاء في الشعب.

وعليه فلو تصرفنا نحن بيقظة فمن المواقف الأكيدة التي ينبغي اتخاذها في الثورة رفض سيادة رأس المال (فامتلاك رأس المال شيء وسيادة رأس المال شيء آخر)، ويمكننا أن يكون لدينا اغنياء وأن نفسح المجال للناس لكي يمارسوا النشاط الاقتصادي، ويمكننا أن نسلّم القطاع الخاص النشاطات الرئيسة في البلاد كالتوزيع والانتاج وهو صحيح أيضاً ومفيد ومؤثر ويجب علينا إنجازه، ولكن ينبغي أن يكون هناك نظام لا يحكم فيه رأس المال.

فالرأسمالي موجود لكن الرأسمالي الحاكم غير موجود، ولا ينبغي أن تصدر قرارات مجلس النواب بتأثير من آراء الرأسماليين، ولا ينبغي أن تخدم القرارات التنفيذية للبلاد ولمجلس الوزراء مصالح الرأسمالية، ولو اصبح الأمر كذلك فسوف لا تجد اميركا واوربا وروسيا وأي منطقة أُخرى عصابة تتغلغل فيها وتجعلها في خدمتها، ومما يجدر ذكره أنه حين تتبدل الظروف يستخدم هؤلاء زعماء الجماعات السياسية بدلاً من الاقطاعيين، ولكن على أية حال ستتحول عند ذاك تلك الجماعة الى تيار سنبحث في أمره في موضع آخر، وهذا البحث الذي أجريته يشمل اوربا واميركا نفسها أيضاً وسوف تحين ان شاء اللّه فرصة أُخصص فيها باباً لهؤلاء لتروا هل إن شعب اميركا هو الذي يحكم اليوم أم هذه العصابة التي ذكرتها؟

العصابة الرأسمالية هي التي تحكم أميركا وليس الشعب:

لو كان الشعب الاميركي هو الذي يحكم اميركا لما حدثت هذه المآسي في افريقيا وآسيا، لو كانت اصوات شعوب اوربا وعمال مصانعها أصواتاً

حقيقية لما عانينا اليوم من هذه التعاسات في أنحاء العالم، ولا أعلم هل شاهدتم في التلفزيون برنامج «الهيمنة» أم لا، فالعالم يعاني من العصابة الرأسمالية والشركات الدولية متعددة الجنسيات، فالأميركيون والاوربيون انفسهم مكبلون والشعوب الأُخرى مكبلة أيضاً تبعاً لهم، ومن واجب هذه الثورة أن تنقذ نفسها من هذا الفخ الخطر.

وقد جرت العادة في الثورات العالمية أنهم حين ينفصلون عن هؤلاء يقعون في شراك الروس الذين هم أسوأ من هؤلاء، وقد قلت إنه لو أراد أن يضع حكام أفغانستان مثلاً في مقابل حكام مصر، فحكام مصر أفضل لأنهم لم يبلغ بهم الحد أن يذبحوا شعبهم بهذه الصورة وبمئة ألف جندي روسي، ولو أراد المرء أن يضع حتى النميري أمام كارمل فالرحمة على النميري، فإنه هرب الفلاشا من هناك لكنه لم يرتكب هذه المجازر ضد شعبه، فمشكلة ثورات العالم هي أنهم ما إن خرجوا من فخ حتى وقعوا في فخ آخر، ولا يمكن لثورة مستقلة وحقيقية أن تقف على قدميها وتعطي ثمارها إلّا إذا تخلصت بالكامل من العصابة الرأسمالية ولم تتورط بالعصابة الشيوعية، وهذا أمر يتطلب الكثير من الدقة والتنبه والدعم، وهذا الدعم متوفر في بلدنا، فإذا وجدنا ثورتنا لم تتورط بهذه الأشياء فذلك يعود الى تمتعها بهذا الدعم الرئيسي، فنحن لدينا الاسلام الذي هو فوق كل هذه الأُمور، وعندنا أفضل المعارف بشأن هذا البحث الخاص الذي اطرحه وهو بحث «الحكام الصالحين»، واننا نعتمد على افرادنا باعتبارهم أناساً صالحين، وقد اعتبرنا التقوى مقياسنا ولابد أن نعتبرها مقياساً لكفاءة الافراد، فاذا اردنا اختيار النائب والوزير ومدير المصنع فعلينا أن نعرف أولاً هل لديه تقوىً أم لا، وأن نقيس الكفاءات الثقافية والفنية والالتزام معاً، ولو حافظنا على هذا الأساس فيوم يوجد في تشكيلاتنا غني صالح في حال مراعاة كل الشروط فلا يضرنا ذلك اطلاقاً، حيث يكون مصداقاً للرواية التي ذكرتها والتي تقول: «اذا كان اغنياؤكم سمحائكم» أي إنه غني لكنه سخي وليس محتكراً وبخيلاً وممسكاً، فنحن نقبل بأصل الغنى ولكن بشرط

خلوّه من البخل والامساك والأنانية والاستغلال وخزن دماء الناس في القوارير، ولو حافظنا على هذا الاساس وهو التقوى والالتزام والكفاءات المعنوية، وقد حافظنا عليه والحمد للّه قدر استطاعتنا خلال هذه الاعوام الخمسة أو الستة، لو حافظنا على هذا الأساس فقد اغلقنا الطريق امام نفوذ ذلك السرطان الاستكباري، ولو سرنا على هذا الصراط فلن يستطيع أُولئك التغلغل عن طريق تلك العصابات المخربة المعادية للدين لأنها تفتقر إلى أصل الكفاءة ولا عن طريق طلاب النفع الذين يحرقون السوق من أجل منديل ويبيعون شعبهم من أجل تجارة منحصرة بشركة غربية، لا عن هذا الطريق ولاً عن ذاك الطريق، وسوف يغلق الطريق امام الاستعمار، وان شاء اللّه سأصور لكم في الخطب القادمة بعض الشيء وضع العالم الاوربي والاميركي نفسه لكي ندحض ما يدور في اذهان بعض شباننا السذج الذين يتصورون أن مهد الحرية والديمقراطية هناك، ولكي تفتح الطريق في بلادنا أمام الحكومات الشعبية الحقيقية ويتم التصدي للعملاء الذين يعملون من أجل الهيمنة والعصابات الأنانية .

الخطبة السابعة عشرة

الجمعة: ١٣٦٤/١/٩ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه، بسم الله الرحمن الرحيم «واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا»[1].

تحدثنا في الخطب الأُولى لصلاة الجمعة حول عدالة الاسلام بشأن العناصر البشرية، وشرحنا في الغالب المظالم التي أوقعها العنصر الأبيض بحق العناصر الأُخر خلال السنوات الماضية واجرينا مقارنة بين ذلك وبين ما لدى النظام الاسلامي.

وآخر باب شرحناه من مظالم سيادة العنصر الأبيض قضية الظلم والجور اللذين مارسوهما عن طريق نصب الاشخاص غير الصالحين حكّاماً علىٰ البلدان غير الاوربية والبلدان الخاضعة لنفوذهم فحوّلوا مقياس الحكم من المقياس الصحيح والسليم الذي يريده الاسلام الى مقاييس رديئة جداً تسببت في الفساد والكوارث للبشرية.

وقلت إن الاسلام يرى أن أصلح الناس هم الجديرون بالولاية والحكومة في المجتمع وهم الذين يحق لهم تدبير شؤون الدولة، وتتمثل المبادئ المهمة

١- الاسراء / ١٦.

لذلك في العلم والتقوى وروح التضحية والكفاءات الفنية، وقلنا إن المذهب الشيعي ذهب الى أبعدمن هذا فاعتبر الحكم حقاً يمنحه اللّه لمن يشاء وأن المحور الالهي هو الذي يقرر أساس الحكومة، والنقطة المقابلة لهذا الأمر وضعت في العالم المادي بما يجعلهم ينصبون للحكم أفسد الناس، ذلك لأن هدف هذه الحكومات هو الرئاسة واستغلال الناس والغوص في اللذة وظلم الأكثرية ولا يمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق الصالحين، بل عن طريق أفسد الناس والذين تستوجب مصالحهم الشخصية في الأقل تأييد مثل هذا التيار الدنيء وارتكاب هذا الظلم بحق اكثرية الناس .

أما في العالم الملحد وكفر الماركسية الفلسفي فلهذه القضية طريقها الخاص، فأولئك ينكرون ماوراء المادة وعليه تؤدي انطباعاتهم الفلسفية بذاتها الى مجيء أُناس ماديين لا يعتقدون بالمبادئ الأخلاقية والمبادئ الانسانية ولدينا نماذج منهم، أما في العالم المادي الغربي حيث فلسفتهم المادية ليست في ظاهرها مادية لكنهم ماديون في حقيقتهم، فقد خططوا للأمر بشكل يجعل غير الملتزمين مذهباً فكرياً معيناً يصلون الى الحكم بشكل اوتوماتيكي، وهم يعانون من هذا الأمر في بلدانهم وقد فرضوه في خارج اوربا على شعوب العالم أيضاً، وأحد سبل ذلك اختيار الاشخاص غير الكفوئين الذين باعوا أنفسهم ومن على شاكلتهم لتدبير الانقلابات العسكرية والاستعانة بالرأسماليين وتعاون الجانبين مع بعضهما وتعاضدهما، وقد تأتي فئة عادية بأساليب سلمية في الظاهر ثم توجد تياراً فاسداً، واكثر انواع هذه التيارات شيوعاً في العالم الغربي هو حكم رأس المال. وهناك انواع أُخر أيضاً، وهذا من أسوأ ما نشاهده في العالم .

وها أنا أكرر القول إن هذا لا يعني أننا نعارض امتلاك بعض الناس ثروات، فالشيء غير المرغوب فيه هو حكم الثروة، فامتلاك الثروة شيء ، وحكمها شيء آخر، لكن الاغنياء لا يرضون بشيء غير حكم الثروة، فلو أمكن في نظام معين أن يمتلك بعض الناس ثروة ولا تكون السلطة الحاكمة بأيديهم ولا

يكون لهم نفوذ في الحكم فلن تحدث هذه الأمور التي أقولها، وجذور هذه القضية في الغرب نفسه، حيث إنهم هم الذين بذروا هذه البذرة، وحين نمت صاروا يعانون منها ولم يتمكنوا من التخلص منها، فإذا كان الأمر هناك على هذه الصورة فطبيعي أن تكون الحكومات المتفرعة عنهم على المنوال نفسه .

حكم الرأسماليين المطلق في اميركا :

أرغب اليوم في عرض جانب من الوضع في مركز العالم الغربي، واعتقد بأن هذه الخطبة ستكون من الخطب التاريخية، واني اخاطب بذلك فئة الشبان على الأغلب لاسيما الذين لديهم روح غربية ويظنون أن الديمقراطية الحقيقية هي التي تسود في الغرب .

ففي أميركا نفسها، نجد الفئة الرأسمالية التي تشكل اقلية ضئيلة جداً من حيث عدد السكان في كل البلاد تحكم اكثرية الشعب الساحقة بأبشع صورة منذ عشرات السنين، وقد كبّلتها بقوانين خاصة ومؤسسات معقدة جداً مما جعل امكانية اقامة حكم الشعب الحقيقي في اميركا أمراً مستحيلاً في الحسابات العادية (إلّا اذا حدثت هناك ثورة كما حدث في ايران) وأسموا ذلك بالديمقراطية أيضاً .

واميركا الآن في نظر الكثيرين مركز الديمقراطية في العالم، فـ(ديمو) في اللغة تعني الشعب و (كراسي) تعني الحكم وبذلك تعني الديمقراطية حكم الشعب، فانظروا الى أي مدى يحكم الشعب في اميركا وانظروا ما الذي تعاني منه شعوب أميركا المكبلة .

فقبل أن يتحقق استقلال اميركا خطط الرأسماليون لكي يبقوا هم الحكام دائماً، وقد حكموا بالفعل ومايزالون حتى الآن وينبغي القول إنهم خططوا بشكل صحيح، فمثلاً رتبوا الأُمور باسم الانتخابات وباسم حكم الشعب بما لا يجعل كل شيء في أيدي الشعب، فأبناء الشعب يتوجهون نحو صناديق الاقتراع ويدلون باصواتهم أيضاً (وانتم تعلمون أن الذي يقرر الأُمور في

الحكومات الديمقراطية ظاهراً وفـي تـلك التـي هـي ديـمقراطـية حـقاً هـو الانتخابات) فينتخبون رئيس الجمهورية وينتخبون ممثليهم في مجلس النواب ثم يتم بتعيين الوزراء من بين هؤلاء الذين أنتخبهم الشعب وتتم الانتخابات علىٰ كل حال، ولكن الحقيقة أن الشعب ليس هو الذي يقرر مصيره، وكل ما ينبغي قوله هنا أن لو كانت هذه الانتخابات حقيقية وحدد الناس مصلحتهم حقاً بطبيعتهم وبدون خـداع أو تشـويه أو دعـايات مـضللة ، وتـوجهوا نـحو صناديق الاقتراع طوعاً فسوف تصلح هذه الأصوات وهذا الاقتراع كل شيء ، ولو كان الشعب صالحاً فسوف تأتي حكومة صالحة، ولو كان فاسداً فالحكومة فاسدة، والمرء يتصور من ظاهر الأمر أن هذه القضية تحصل في اوربا واميركا والبلدان الغربية، أما في البلدان الشرقية فهم يخجلون أساساً من أن يدّعوا ذلك.

ففي اميركا تدور الانتخابات وفقاً لرغبات الرأسماليين والاثرياء ، فاولئك هم الذين يرسلون النواب الى مجلس النواب والشيوخ، وقد يحصل أن نجد بين ستمئة نائب ٥٪ منهم أُناس انتخبهم الشعب بسبب شهرتهم وكفاءاتهم، ولكن الاكثرية ليسوا كذلك، فالاكثرية الساحقة منهم يأتي بهم المال، وسوف اذكر نماذج لذلك، فقد صدر في اميركا مؤخراً كتاب بعنوان «من الذي يدير الكونغرس الأميركي؟» اورد كاتبه وثائق فضح بها الرأسمالية الغربية، ومعظم المواضيع التي سأذكرها منقولة من هذا الكتاب، وان كانت غير ذلك فسوف اذكر مصدرها، وليست هذه القضية جديدة، فقد كانت الانتخابات في السابق تجري بالمال أيضاً .

النفقات الباهظة للحملات الانتخابية :

ففي عهد لنكولن مثلاً (أي قبل مئة وعشرين سنة) بلغت نفقات حملته الانـتخابية مـئتي دولار انـفق مـنها (١٩٩) دولاراً وأعـاد دولاراً واحـداً الى الصندوق (واميركا مركز الاحصاءات حيث تدار كل شؤون الأميركيين طبقاً للاحـصاءات، ومـن حسـن الحـظ أنـنا قـادرون عـلى اثـبات كـل شـيء

بالاحصاءات).

وفي العقدين أو الثلاثة الماضية، ولكي لا تتمكن الطبقة المتوسطة من منافسة الأثرياء في الانتخابات، زاد هؤلاء نفقات الحملات الانتخابية بدرجة كبيرة، ففي العام الماضي كان معدل نفقات الحملة الانتخابية للنائب الواحد مليوناً ومئة ألف دولار (وبعضهم اكثر من ذلك وبعضهم أقل) فانظروا من قد يكون هذا النائب الذي ينفق هذا المبلغ لكي يبقى نائباً أربعة اعوام؟ فلو كان مرتب هذا الشخص عشرة آلاف دولار في الشهر فسوف يتقاضى طوال فترة نيابته نحو خمسمئة ألف دولار لكنه ينفق اكثر من ضعف هذا المبلغ على حملته الانتخابية، فمن يمكن أن يكون هذا الشخص؟ ومن الذي يتمكن من دفع هذه النفقات؟ وقد انذرت بعض الشخصيات الأميركية من مغبّة هذا الأمر.

فقد قال «آيزنهاور» يوماً ماإن هذا الوضع السائد في اميركا يحرم كل الكفوئين الذين لا يملكون المال من المشاركة في اتخاذ القرارات بشأن البلاد، وبعد ذلك بعدة سنين حذّر «كندي» من خطر ذلك، وقد كان هو من الأسر الكبيرة والرأسمالية، إذ قال: ان هذا الوضع السائد في بلادنا لا يدع بعد الآن احداً يشق طريقه نحو الكونغرس الاميركي إلّا إذا كان مليونيراً أو يحظى بدعم اصحاب الملايين ويجعل بقية أبناء الشعب يائسين من دخول الميدان، وهذه بالضبط حقيقة اميركا اليوم، والعجيب أن وضع الصناديق من أجل جمع الأموال للحملات الانتخابية اكثر شيء علانيةفي اميركا، فهم قادرون على أخذ المال للانتخابات من أي مكان، وبامكان الجميع أن يضعوا الأموال في الصناديق كما يحصل عند أضرحة الصالحين ومزاراتهم.

وجاء في الكتاب أن هناك اليوم نحو (٣٥٠٠) لجنة تخص الانتخابات تسمى لجان النشاطات السياسية وهي تنفق على الحملات الانتخابية وترتبط هذه اللجنان بالشركات والتراستات والكارتلات والشخصيات الاميركية.

وهناك جدال في اميركا بهذا الشأن، اذ يقولون: لماذا لا تسمون هذ رشوة؟

يقول أحد الشخصيات الاميركية واسمه «جاكوب»: «ان هذا العمل رشوة بالتأكيد وأنا لا آخذها» ثم يسألونه: ان كل ذلك رشوة فلماذا لا تعلن عن منعه، فيقول: «لأن تفسير الرشوة من صلاحيات الكونغرس، فالنواب هم الذين ينبغي عليهم أن يحددوا مصداق الرشوة» وهذا أمر عجيب، ولكن لماذا صعّدوا من هذه النفقات؟ السبب في ذلك يعود الى أن كل وسائل الاعلام بيد الأثرياء، فهم يسيطرون على الاذاعة والتلفزيون، والدعايات التي يطبعونها على علب الكبريت وعلب الحليب وامثالها كلها تحت سيطرتهم، ففي هذه الانتخابات التي مضت كانت محطة تلفزيون والتيمر تأخذ ثلاثة آلاف دولار مقابل نصف دقيقة من الدعاية الانتخابية.

مجموعات الضغط وتأثيرها في الكونغرس الأميركي:

يقول أحد الشخصيات الاميركية وهو من المنتخبين: ان أقبح عار للنواب الاميركيين هو توفير نفقات دعاياتهم الانتخابية، ويترك تحمل ذلك من الأثر السلبي على شخصيتهم اكثر ما يتركه أي سبب، ثم يعبر عن ذلك بالقول: لو وجدنا في أميركا اليوم نائباً يزعم النزاهة والعفاف الاقتصادي فحاله كحال امرأة تبيع نفسها وتأخذ من زُبنها نقوداً وتزعم الصلاح والعفاف في الوقت نفسه، هذه هي العبارة التي قالوها هم، وقد تقولون إنهم حين يأخذون الأموال ويشقون طريقهم الى الكونغرس فسوف يفكرون هناك بحرية، ولكن الأمر ليس كذلك، فحين يذهبون الى هناك لا يدعهم أسيادهم وشأنهم ولا يكفون عنهم، فكلما طرحت لائحة أو مشروع قانون تابعته لجان النشاطات السياسية، وفي اللغة الانگليزية كلمة هي «اللوبي» كانت تعني الممر في البداية، وهناك في ممرات مبنى مجلس الشيوخ والكونغرس أشخاص يتمثل عملهم في السعي من أجل توجيه اصوات النواب نحو الأهداف التي يريدونها ويسمون بمجموعات الضغط أيضاً.

يقال إن اعضاء اللوبي كانوا في عام ١٩٧٢ نحواً من (٢٠٠) شخصية

متنفذة، ويقولون الآن إن تيار «اللوبي» يضم اليوم (١٥) ألف عضو يمارسون نشاطهم من أجل توجيه النواب نحو السياسة التي يرغبون فيها .

فكل كبار الرأسماليين الاميركيين والكارتلات والتراستات يملكون مكتباً سياسياً في واشنطن له نحو ألف فرع يعمل في هذه المكائد (وتعد الشركات الكبيرة في واشنطن مراكز سياسية لأميركا وليست مراكز اقتصادية) هذه هي حقيقة الكونغرس الاميركي ونواب الشعب الاميركي .

وقد تسمعون أن (٦٠) نائباً اميركيا مثلاً بعثوا برسالة أيدوا فيها التيار المنافق الفلاني أو أيدوا البهائيين ، فهؤلاء النواب ليسوا كنواب المجلس الايراني الذين لو أعطوهم الدنيا كلها فلن يتغير كلامهم أو اصواتهم بمقدار كلمة واحدة، فالذين دخلوا الكونغرس الاميركي بهذه الطريقة سواء كانوا (٦٠) شخصاً أو اكثر بعضهم من بعض ولا قيمة لأصواتهم لكي نحسب حساباً لرسالة وقعوها، وساذكر نماذج موضوعية لذلك لتعلموا ماذا يجري هناك، وهذا البحث طويل جداً، وخطبة صلاة الجمعة أجل من أن نتحدث فيها بهذا القدر عن اميركا، لكني اعتقد أن شعبنا ولاسيما المتغربين في بلادنا لابدّ أن يعلموا أيّ مركز يدير العالم اليوم، ولماذا ترتكب اليوم كل هذه الجرائم في العالم، والتي يعود أصل معظمها الى اميركا فلا يتفوه احد بكلمة هناك .

طرحت في اميركا خلال العقد الماضي قضية بعنوان «قضية الحليب واسعار مشتقات الألبان» ، فقد قالت نقابة الألبان إنها بحاجة الى مساعدة وينبغي أن ترفع اسعار الألبان وقدمت النقابة اقتراحاً بهذا الشأن، وكان وزير الزراعة الأميركي يعارض هذا الارتفاع بشدة وكانت حجته أن نحو سبع نفقات المواد الغذائية في اميركا ينفق على الألبان ولو أننا رفعنا اسعار الألبان بنسبة عشرة في المئة فسوف يؤدي ذلك الى حدوث تضخم في اميركا لا يمكن معالجته، فضلاً عن أن الألبان مربحة في اميركا، وقد ألقى الوزير خطبة حماسية عارض فيها رفع سعر الحليب، وتعد نقابة الألبان من أقوى النقابات حيث تقدّم لجان نشاطاتها السياسية أموالاً لمعظم النواب الاميركيين، لذلك وجدوا

فجأة أن مشروع رفع اسعار الألبان بنسبة ٦٪ قد أُقِرَّ بتوقيع (١٦٠) عضواً من اعضاء الكونغرس، كما قدم (٢٩) نائباً بشكل مستقل الى مجلس الشيوخ لائحة رفع سعر الحليب، وعقد ممثلو نقابة الألبان لقاءً مع نيكسون الذي هو عضو في هذه النقابة، وبعد عشرة أيام رفعوا سعر الحليب بنسبة ٦٪ فأحدث يومها ضجة في العالم (وقد ذكر الكتاب عدد النواب وكمية الأموال التي اخذوها من النقابة) هذه هي حقيقة اصوات الكونغرس ومدى نفوذ اعضائه.

وفي عهد كارتر قدّموا لائحة، وقرر كارتر نفسه فرض ضرائب عالية على عائدات الأدوية، فتصدّى الكونغرس لكارتر بشدة، واتضح فيما بعد أن من بين خمسين شخصاً تصدوا لمعارضة هذا الأمر كان (٤٨) شخصاً قد اخذوا أموالاً من صندوق لجنة نشاطات الصيانة وأنفقوها على حملاتهم الانتخابية، هكذا هو وضعهم الذي يجعل نائباً اميركياً يعمل بصراحة ضد مصالح شعبه بسبب الأموال التي تسلّمها.

كذلك طرحت في فترة معينة لائحة حول إنشاء محطة للطاقة الكهربائية على نهر «كلينج» وكانت وراء هذه اللائحة خمس مؤسسات أميركية كبيرة، فطرحت هذه القضية على الكونغرس بسرعة، واتضح فيما بعد أن معظم الذين أيدوها كانوا قد تسلموا نفقات حملاتهم الانتخابية من تلك المؤسسات.

وذات مرة قدموا قانوناً تقدمياً يقضي أن على أصحاب السيارات المستعملة الذين يريدون بيعها في معارض السيارات أن يملأوا استمارة يذكرون فيها عيوب سياراتهم، فبدأ افراد «اللوبي» نشاطهم في الكونغرس فعارض هذا القانون وحال دون اقراره بسهولة، وكان النواب الذين عارضوه من الذين تسلّموا مساعدات من صندوق عائدات نقابة باعة السيارات، ولو أنكم اردتم ألف مثال على ذلك لأمكنكم الحصول عليها في اميركا، ولوجدتم كيف تتأثر اللوائح القانونية بهذه التيارات، وهناك استمارة خاصة للمساعدات يعطونها لكل نائب يطلب منهم مساعدة حالية لكي يملأها، وكان من الاستمارات التي وزعت على النواب استمارة تخص جمعية المدارس القومية

واصحاب المدارس الخاصة في اميركا، وكان من الأسئلة التي وردت في تلك الاستمارة «ماهو رأيك بشأن الامتيازات التي يجب على الحكومة منحها للمدارس الخاصة؟» فقال أحد النواب مازحاً: هذا السؤال ثمنه عشرة آلاف دولار، أي إن هذه الاستمارة هدفها شراء أصواتنا، هذه هي بيئة اميركا وديمقراطيتها والنتيجة هي هذه التي ترونها في العالم.

النتيجة هي أن يحظى بالدعم أشخاص من امثال النميري والملك حسين والحكام السعوديون وشيوخ الخليج الفارسي، وتقمع تيارات مثل ايران والشعب اللبناني وسائر شعوب العالم الحرة.

فأية ميزانية تعرض على الكونغرس الاميركي لقمع الشعوب يصادق عليها بكل سهولة، ولو أرادوا اتخاذ خطوة نافعة للشعوب فلا تتم المصادقة عليها.

إن كل الشواهد تدل على أن الثورة الاسلامية في إيران ثورة شعبية، ولو كانت هناك ديمقراطية حقيقية على وجه الكرة الأرضية فهي اليوم في ايران، فأية خطوة ايجابية اتخذها أولئك الديمقراطيون الأميركيون بشأن ايران حتى الآن؟ وقد صنعوا في اميركا مجموعتين هما «الحزب الديمقراطي» و «الحزب الجمهوري» وحين ينظر المرء من بعيد يظن أنهم ديمقراطيون حقاً، والجدير بالذكر أن الحزب الديمقراطي فيه شيء من الديمقراطية حيث يعود بمقدار معين الى الفئات المحرومة والعمال والزنوج، أما الجمهوريون فهم الأنصار الرسميون للرأسماليين، لكن الاثنين شيء واحد، والحزب الديمقراطي يعلم أنه لو لم يساوم «اللوبي» ولجان النشاط السياسي فلن يفوز في الانتخابات، ولا يتمكن أبداً من توفير نفقاته الانتخابية، وهم يعترفون بذلك قائلين: إننا نأخذ هذه الأموال بسبب الضرورة، فبهذه الحزبية المزدوجة يخدعون الناس.

وناتج هذا التيار البشع لسيادة رأس المال، المصائب التي تحل اليوم بالعالم البشري، وليس خلاص العالم من هذا الجحيم الذي صنعه له العنصر الأبيض تحت هذا الاسم أمراً ممكنا بسهولة، وهو بحاجة الى كثير من الجهود

والدماء والتضحيات والنشاطات، وقبل كل شيء ينبغي أن يستيقظ شعب اوربا واميركا نفسها ويرى أي وضع يعيشه .

وفي اميركا عدد يتراوح بين (٢٣)و (٣٠) مليوناً من الزنوج فيما يشكل الهنود الحمر والفئات المحرومة ١١٪ من الشعب الاميركي وهؤلاء كلهم محرومون من بلوغ مراكز اتخاذ القرار إلّا اذا باعوا أنفسهم، هذا هو الوضع في العالم، وبهذا الشكل نفسه نجد مقياس الحكومات الديمقراطية في بقية البلدان، ومع هذا الذي لديهم تجدونهم ينظرون الى الجمهورية الاسلامية وإليكم يا أبناء شعبنا الذين تعلنون رأيكم بحرية في أية حادثة تقع وترسلون أبناءكم الذين تعرفونهم جيداً الى مجلس الشورى الاسلامي برغبتكم فيتحدث هؤلاء النواب معكم ويتكلمون بلسانكم وكذلك اوكلتم مسؤولية ادارة البلاد الى ابنائكم ومازلتم تولون ثقتكم بنا بهذه الصورة، إنهم يعتبرونكم شعباً خاضعاً للكبت ومعادياً لحقوق الانسان وهم الأحرار والديمقراطيون حسب تعبيرهم .

انكم تعلمون أن الاسلام يعارض في الأساس مثل هذه الأُمور، ولو أراد الناس كلهم تنصيب شخص غير متقٍ حاكماً فلا يقبل بذلك الاسلام، لانه يعتبر التقوى والكفاءات العلمية اساس مثل هذه الأُمور التي تحظى بأبعاد سامية، وهو يؤكد على التقوى وعلى موضوع بحثي الرئيس وهو «**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**» ، وعليه فمن الإنصاف القول إن حكم الشعب هو هذا الذي اقيم اليوم في ايران، وهذه الثورة الحقيقية الوحيدة في العالم، وهذه القضية هي أحد اسباب كل ما نتعرض له من ضغوط وبغضاء وتحالف بين الشرق والغرب لكي يخنقوا صوتنا، ولهذا السبب لا يتلاءم هذا النظام مع أساس عمل هؤلاء ، لذلك نختتم بحث اليوم بتحذير وانذار الى شعبنا العزيز بأن يتنبّه فلو جاء الأثرياء في المستقبل وآفترضنا أنهم أُناس صالحون لكنهم إذ يرون انفسهم نسيجاً يختلف عن الآخرين ولا يرغبون أبداً (إلّا ما ندر منهم) في أن يستثمروا أموالهم لمصلحة الفئة المحرومة، وهم مستعدون لإعطاء شيء ولكن بشرط حصولهم

على تلك الأكثرية، فعلينا أن نسعى لجعل الشعب نفسه مصدر السلطة ومركز اتخاذ القرار في الحياة الاجتماعية، فلو كان معظم الناس فقراء فلابد أن يكون قادتهم مثلهم، ولو كانوا من الطبقة المتوسطة فليكن قادتهم مثلهم، واذا أصبحوا كلهم اثرياء فليكن قادتهم مثلهم أيضاً، صحيح أنه حين يحكم الأثرياء فمن الممكن أن ينشروا شيئاً من الأمن والرفاهية مهما كلف الثمن من أجل الحفاظ على مصالحهم وملذاتهم، ولكن هذا لا ينفع حيث يصبح الوضع كما كان في عهد الشاه، وفي تلك الحال تيأس اكثرية الشعب وترضى بحياة شبه حيوانية، ويتحول بعضهم الى تلك الصورة، وهذا لا وجود له في قاموسكم يا أبناء شعبنا، لذلك ينبغي علينا اختيار طريقنا والتوجه نحو الاشخاص المتقين والجديرين والمتدينين والحريصين الذين هم من عامة الشعب، ولو لم نجد أحداً يملك تلك التضحية العالمية فليكن في الأقل حريصاً على الفئات المحرومة .

الخطبة الثامنة عشرة

الجمعة: ١٣٦٤/١/١٦ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم»** ، عباد الله اوصيكم بتقوى الله .

اعتدنا في الخطب السابقة على الحديث عن العدالة الاجتماعية وكان آخر فصل من بحثنا يتناول العدالة بين العناصر البشرية في نظر الاسلام والمظالم التي ارتكبها العنصر الأبيض والمجتمع الغربي لاسيما الاوربي خلال القرون الخمسة الماضية بحق العناصر البشرية الأُخر، وانتهى هذا البحث بالظلم الذي ارتكبه العالم الاستعماري الغربي والعنصر الأبيض بحق العناصر الأُخَر في مجال فرض الحكومات غير الصالحة وحرف أُسس الجدارة للولاية والحكم، وقلنا إن من الآثار السيئة والمضرة لهذا الامر والذي مايزال العالم يعاني منه، تنصيب الطبقة الرأسمالية حكّاماً على اكثرية الشعب الذين هم من الجماهير المحرومة غالباً .

كما قلنا إن اوربا نفسها وحكومات مجتمعات البيض تعاني من هذه المشكلة أيضاً، إلّا انهم يعوّضون هذه الخسارة بنقل مضار مثل هذا الحكم الى سائر ارجاء العالم والاضرار بالشعوب الأُخَر، وذكرت في الخطبة السابقة نماذج من سيادة رأس المال في أميركا حيث حظي ذلك باهتمام بالغ من قبل

مختلف فئات شعبنا. فقد تلقينا خلال هذا الاسبوع مكالمات هاتفية ورسائل كثيرة من مختلف الأماكن اعتبر اصحابها هذا البحث بنّاءً ومفيداً لمصير شعبنا ولتقرير مستقبله.

وقد دار بحثنا حول أن النظام السياسي السائد لدى المجتمعات الغربية يجعل الاغنياء والعناصر التي تحظى بدعمهم واصحاب الملايين وحدهم القادرين على شق طريقهم نحو مجلس الشيوخ والمناصب الحسّاسة، وان اكثرية الشعب لاسيما الجماهير المستضعفة من الملونين في اميركا ترى نفسها محرومة إلى الأبد من ذلك وهي يائسة منه.

وأوردت نماذج كثيرة للانتخابات في اميركا ولا اريد البحث كثيراً في ذلك في هذه الخطبة، والسبب في ايضاحي هذه القضية هو أن يتحدد البحث أولاً، ولنقارن الموضوع بشكل مختصر بالاسلام ثانياً، والبحث الرئيس الذي سأتناوله في هذه الخطبة يتعلق بالامام العظيم علي بن ابي طالب (ع)، واني أرى انه ليس من المروءة أن لا نخصص لهذه الشخصية جزءاً من خطبة من خطب صلاة الجمعة لاسيما في هذا الاسبوع الذي تصادف فيه ذكرى ولادة هذا الرجل العظيم في التاريخ لذلك سأتحدّث في معظم الخطبة الأُولى لهذا اليوم حول شخصية هذا الامام الجليل واربط ذلك بأصل بحوثنا، فبالمقدار الذي يمكننا أن نستدل بما في الغرب على الفساد كأساس للحكم، يمكننا أن نستدل بحياة علي بن ابي طالب على صحة اساس الحكم في الاسلام وأصالته التي تجسدت في حياة علي بن ابي طالب وفي حكومة هذا الرجل العظيم التي دامت خمسة اعوام.

فنقاط الضعف التي طرحناها بشأن اساس الحكم في اميركا والغرب وهي البرلمان ومجلس الشيوخ، سنطرح النقطة المقابلة لها في الحكم الاسلامي والمتمثلة في حياة الامام علي بن ابي طالب (ع)، مع أن بحثنا حوله اكثر شمولاً من قضية الحكم.

والنقطة التي ينبغي علينا التأكيد عليها هي اننا عاجزون عن عرض

شخصيات هؤلاء العظام كما هي خلال بحوثنا وخطبنا وكتبنا، كما أشار إمام الامة الى ذلك في حديثه، فلا إدراكنا قادر على بلوغ حقيقة شخصيتهم ولا لساننا قادر على بيان ذلك، والذي يمكننا أن نشعر به، يمكن للمرء أن يشير الى عشر معشاره في جزء من خطبة، وأفضل عبارة يمكن أن يلهج بها لساننا هي أن نقول إن علي بن ابي طالب انسان كامل ونموذج للانسانية اهتم به قلم الخلقة، أي إن أشمل لفظ يمكن أن يطلق عليه هو أن نقول إن عليا (ع) انسان كامل .

ومن المؤكد أن ديننا الاسلامي وهو دين توحيدي لا يسمح لنا بالغلوّ والارتفاع بهذه الشخصيات عن مقام الانسانية، امّا تلك العبارات المغالية التي تلاحظونها أحياناً في تعابير بعض الشخصيات العرفانية والصوفية حول علي ابن ابي طالب (ع) والعظماء الآخرين، فاننا لا نقولها، وهناك رواية لأحد الأئمة في هذا الشأن (مضمونها):

«نزهونا عن الربوبية والشرك، ثم قولوا فينا ما شئتم» فالانسان مخلوق من مخلوقات اللّه، وهو النخبة من بين كائناته ، واشرف المخلوقات، والأئمة اشرف الناس، وفي الانسان الكامل وضع كل شيء ، لأننا لا نعرف شيئاً أفضل من الانسان الكامل بين مخلوقات اللّه، اننا ننزل عن مقام الربوبية ثم نضع أصابعنا على هذا النوع من البشر، وللانسان الكامل الذي نذكره تعابير أُخَر طبقاً لأدبيات الاديان والمذاهب، فحجة اللّه مثلاً احد هذه التعابير، فنحن حين نسمي الأئمة حجج اللّه فذلك يعني ان كلّاً منهم يمثّل الانسان الكامل نفسه، لأن كثراً من الوثائق يدل على أن الانسان كان هدف الخلقة، والمسيرة الأصلية للانسان تتجه نحو المقام السامي للانسانية، وعليه السير في هذا الاتجاه، فاللّه خلق الانسان الكامل كحجة في حياتنا، وعرّفه لنا لكي نجعله قدوة لنا، فاذا اردنا اثبات اي شيء أو نفيه صارت شخصية هؤلاء العظماء حجة لنا .

وفي كل مجالات الحياة يعد علي بن ابي طالب وأولاده المعصومون والأنبياء في زمانهم حجة على الناس في كل الفضائل والرذائل، فعلينا الانتهاء

عن كل ما انتهوا عنه، والامتثال لكل ما أمروا به والسعي لبلوغه وهذا حجة علينا، فحجة اللّه والانسان الكامل والنموذجي شيء واحد إذن، والانسان النموذجي يعني نوعاً من الانسانية اهتم به قلم الخلقة وجعله هدفاً، وطلب من الناس أن يقتدوا به، وبعبارة أُخرى يعد الانسان الكامل نموذجاً وحجة اللّه وأُسوة حيث يستخدم القرآن هذه الكلمة في اغلب الأحيان، وهناك تعبير آخر عن الانسان الكامل وهو «المَثَل» حيث كانت النصوص العربية تستخدم هذه الكلمة غالباً، والدليل تعبير آخر حيث ان حجة اللّه دليلنا، و «النور» و «احد الثقلين»[1] ومثل هذه العبارات التي نلاحظها حول الأئمة، كلها تريد أن تدلنا على مفهوم يقول: ان هؤلاء اناس منزهون عن العيوب وجمعت فيهم كل الفضائل، وبإمكان كل شخص اينما كان أن يتخذ من هؤلاء نموذجاً واسوة وحجة وقدوة ومثلاً لنفسه، وهؤلاء هم مشاعل الأرض، ولو قرأتم الزيارة الجامعة (لأهل البيت (ع)) لوجدتم عباراتها شرحاً لهذا الذي اقوله .

وقضية شمول الانسان بحث قد يشار اليه احياناً وقد يشرح بشكل مفصل احياناً أُخر حيث وردت عبارات من قبيل إن علي بن ابي طالب (ع) جامع الأضداد .

وقد وردت هذه القضية في اشعار كبار العارفين وفي عبارات الشخصيات العظيمة، واني اعتقد أن لفظ جامع الأضداد وردت من أجل افهام الاخرين الموضوع، فالعارفون اسمى من أن يعتبروا هذه الأُمور أضداداً، فالتصريح بهذا اللفظ اما تسامح في التعبير أو أن الذين اكثر عامية طرحوا هذه التسمية وتصوروا أن هذه الصفحات في كيان الانسان متناقضة مع بعضها أو أن بيان هذه العبارة جاء في سياق «الحديث بلغة المستمع» ، وإلّا فلا يمكن تسمية هذا بجمع الاضداد، وعبارتي أنا هي جمع كل الحسنات التي تريد ريشة

١- اشارة الى حديث الثقلين المشهور الذي روي عن النبي الأكرم (ص) حيث قال: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب اللّه وعترتي .

الخلقة خطها في كيان الانسان والتنزه عن كل الرذائل التي لا يريد اللّه تعالى تنزيه البشر عنها، فهذه الأشياء موجودة في كيان الأئمة وفي كيان علي (ع) وعلى المرء أن يعثر عليها، ولكن هل هذه الاشياء متناقضة مع بعضها؟ فالانصاف يقتضي أن لا يقول المرء ذلك، والذين قالوا أن هذه الخصال متضادة، تصوروا أن شخصاً شجاعاً وبطلاً يحمل سيفه وينزل الى أرض المعركة ويضرب اعناق ألف رجل في ليلة واحدة ولا يبالي بذلك، يحتاج الى روح خاصة، وحين يرونه قد وقف الى جانب طفل يتيم ولاحظ على وجهه آثار اليتم وغبرته وآلامه، فتأثر بشدة وبكى، يقولون ان هاتين الخصلتين متناقضتان، وينبغي للمرء أن يكون بطلاً بتلك الصورة أو ذا مشاعر رقيقة لكي يرق قلبه لمثل هذا المشهد ويبكي، أو ترون أن علي بن ابي طالب يحمل المعول في اوقات فراغه ويذهب الى البراري ويحفر الأرض والجبال والحجر فتنفجر ينابيع الماء كما تنفجر اعناق الإبل حين نحرها، فهو يكسر الاحجار هكذا وهو في الوقت نفسه زاهد لو قدموا له الخبز مع الملح واللَّبَن قال إمّا أن تجعلوا اللبن إداماً أو الملح .

يقولون إن هاتين الخصلتين متناقضتان أي أن يكون المرء بتلك الصفة فيخرج الماء من اعماق الأرض ويكون في الوقت نفسه زاهداً بهذه الصورة فلا يرغب في أكل الملح واللبن معاً، وهم يتصورون أن هاتين الخصلتين متناقضتان، فخطيب كان أخطب اهل زمانه ومن شأن احاديثه أن تعد نماذج وشواهد في المستويات العليا للأدب العالمي بعد ألف واربعمئة سنة، وهو في الوقت نفسه جندي مقاتل ومزارع نشط ومفكر قادر على حل اصعب الالغاز الرياضية واعقدها ، يقولون عنه انه لا يمكن جمع هذه الأشياء معاً ، فالانسان اما أن يكون أديباً لامعاً أو رياضياً أو مقاتلاً ممتازاً مثلاً .

فلدى الناس العاديين من امثالنا، لا يمكن بلوغ أعلى المستويات في كل هذه الفروع، فنحن لا نملك عادة افراداً كهؤلاء ، وإن اشخاصاً مثل ابن سينا الذين يعدون من نخبة البشرية قد تخصصوا في بعض الفروع العلمية، ولكن أن

نرى في هذا الزمان مثلاً انساناً يصبح في وقت واحد طبيباً مرموقاً، ويتخصص في المستويات العليا للهندسة وفي فروعها المعقدة، ويحصل على أعلى شهادة في علم الفلك، ويحصل في فروع لا علاقة لها بهذه الفروع كالآداب مثلاً على شهادة عالية، فإن اذكى الناس لو عمل بجد فليس بامكانه الحصول إلّا على أربع شهادات دكتوراه أو خمس لا اكثر، فلو توصل علي بن ابي طالب عن هذا الطريق على ما نعتقد أنه بلغه حيث كان في اعلى مستوى في جميع الفروع العلمية وكان على درجة سامية في كل الفروع الأخلاقية والعملية أيضاً كان يحصل على اعلى الدرجات اينما دخل، فلا يمكن في الحالة العادية من حياة البشر العاديين جمع كل هذه الصفات الى بعضها، ولكن هل هي متناقضة أم إن الانسان لا يمكنه بلوغها؟

ليس لدى الانسان الوقت الكافي لجمع كل هذه العلوم، وهذه قضية لا تناقض فيها ابداً، فكيف يمكن للانسان أن يلم جيداً بفرعين علميين؟ لو كان هناك تناقض فلسفي فاجتماع النقيضين مستحيل فجمع الأضداد ـ إذن ـ تعبير عامي طرح في الاغلب للدلالة على ذروة الشمول لدى الإمام، ولو استخدم هذه العبارة بعض الشخصيات العلمية احياناً فانهم قد تساهلوا في التعبير، والصحيح أن نقول إن علي بن ابي طالب قد جمع كل الفضائل، اما إذا أردنا أن نوضح كيف يمكن للمرء أن يبلغ هذه الدرجة، فالحقيقة أننا نعتقد أن كل هذه الفضائل ليست اكتسابية، أي لو تصورنا أن الامام عليّا (ع) قد تعلم كل هذه العلوم في المدرسة وتتلمذ على أيدي مدرسين اكفاء ، فالأمر ليس اكتسابيا بهذه الصورة، ولكن أصل دواعي نيل هذا الفضل من اللّه اكتسابي، أي أن بعض الكفاءات تبرز لدى انسان فيفتح اللّه أبواب رحمته أمامه، هذا هو الاكتسابي، فحين تفتح باب الرحمة تفيض الرحمة الالهية دون انقطاع وبلا حدود ودون نهاية، وعلي بن أبي طالب حصل على هذا الموقع، وهكذا هم البشر النموذجيين الذين اراد اللّه أن يكونوا حججاً في الأرض حيث كان على هذه الشاكلة الانبياء في التاريخ كلهم ثم الأئمة واليوم امام الزمان الذي نؤمن

به، ومتىٰ تقوم القيامة لابد أن يكون في الأرض حجة من هذا النوع، وعلى هذه الشاكلة ينبغي أن يكون هؤلاء وهكذا هم حيث يحصلون على هذه العلاقة بابواب الرحمة الالهية، وفي القرآن آيات كثيرة بهذا الشأن وهذا يحتاج الى بحث مستقل يثبت بوضوح أن هناك أُناساً يختصهم اللّه تعالى بفضائل خاصة، وهذه هداية إلهية خاصة، فلدينا نوعان من الهداية، وهذه الهداية الخاصة من شأنها أن توفر كل هذه الأشياء للانسان، حيث توفرت كلها لعلي بن ابي طالب (ع) فصار انساناً ؟ ـ كما نعتقد ـ جامعاً لكل الفضائل ومنزّهاً عن كل الرذائل، وقد ذكرت في هذا البحث مرة أُصول القيم وقلت إن التقوى والعلم والجهاد هي الاصول الرئيسة الثلاثة ولها فروع ذكرتها في الخطب، فهذه الأُمور وكثير غيرها مما لا نقدر على احصائه موجودة كلها في هذا الشمول الذي أتحدث عنه، ولكن أية قوة وأية عظمة يمثلها علي بن ابي طالب (ع) للاسلام (الذي هو أهم دين إلهي على وجه الأرض وهو الدين الإلهي الأبدي) الذين اراد اللّه أن تعَدّله مثل هذه الشخصيات، وأية خدمات قدمها علي بن ابي طالب (ع) الذي كان شموله الذي سأتحدث عنه الآن اكثر من هذا بكثير، فقد تربّى علي بن ابي طالب (ع) منذ لحظة ولادته في الكعبة في أحضان أُمٍّ كفاطمة بنت اسد التي كانت ثاني امرأة اعتنقت الاسلام، ثم في احضان نبي الاسلام الأعظم الذي هو افضل مركز تربوي في العالم، ومن أب كأبي طالب تلك الشخصية العظيمة التي لو لا دفاعها عن النبي لما سمح له الكفار بالبقاء في مكة وابلاغ الناس بدين الاسلام، وقد تعرض ابو طالب لبغض اعداء علي واعداء الفضيلة حتى أشاعوا عنه انه لم يعتنق الاسلام، فكيف لم يدخل ابو طالب الاسلام وهو الذي حافظ على النبي في مكة؟ وكانت وفاة ابي طالب اكبر ضربة لحقت بحياة النبي العادية، على أية حال كان للامام علي (ع) حضور فعال في كل المواقع الحساسة والخطرة من تاريخ الاسلام وهو أمر مهم جداً، فانظروا اليه في البداية حيث كان شاباً صغيراً إذ كان بسبب نبوغه يدفع كثيراً من الأخطار عن النبي الأكرم (ص)، وأول قضية لمع فيها نجمه كانت قضية ليلة المبيت

حيث وضعوا في تلك الليلة خطة واسعة للقضاء على النبي (ص)، فانقذت حياة النبي تلك التضحية وذلك المبيت في فراشه، ثم جاء علي بن ابي طالب (ع) الى المدينة، وأهم معركة وقعت في حياة النبي وفي تاريخ الاسلام هي معركة «بدر» التي جندل فيها علي عليه السلام تلك الشخصيات البارزة من الكفار وانهى المعركة لصالح الاسلام، وكان المشهد التالي وهو أيضاً مهم جداً في «أُحد» حيث يعترف كل المؤرخين أن علي بن ابي طالب (ع) انقذ حياة النبي بتلك التضحيات الخاصة التي أبداها، وفي معركة «الخندق» وفي اللحظة التي واجه فيها عمرو بن عبدود وصفت تلك المواجهة بأن الكفر كله برز الى الاسلام كله، فهذا الوصف المصيري يجسد لنا ذلك الموقف، أي إن مصير الكفر كله والاسلام كله يتقرر هنا، حيث أنهى علي بن ابي طالب (ع) ذلك لصالح الاسلام، وفي معركة «خيبر» فتح علي (ع) قلعة خيبر المهمة، وبعد فتح مكة بلغ اعلى قمة من الفخر حيث رقى على كتفي النبي، وقضى على الأصنام التي كانت رموزاً للشرك والكفر ومحاربة الاسلام، واينما نظرتم في فترات التاريخ وجدتم علي بن ابي طالب (ع)، هذه الشخصية العظيمة انساناً بكل معنى الكلمة، فحين كان جليس البيت كان أهم سند للحكومات التي كانت تحكم آنذاك وللخلفاء الراشدين من الناحية العلمية والاستدلالات الاستشارية وإيضاح السبل الصحيحة والحيلولة دون وقوع النزاعات والخلافات التي كانت قاتلة للإسلام في ذلك العهد، وبإمكاننا أن نعتبر هذا الدور الذي أدّاه علي بن ابي طالب من ادواره الحسّاسة جداً، فتصرّف بهذا الشكل، ثم جاءت فترة حكمه التي دامت سنوات معدودات وظلت خالدة كنقطة لامعة في تاريخ الاسلام، بحيث اننا لو جرّدنا التاريخ من هذه السنوات القليلة من حكم علي لما بقي له شيء ولبان فقيراً جداً، فبهذه السنوات القليلة من حكمه اغنى علي بن ابي طالب تاريخ الحكم واساس الحكم الاسلامي بشكل لم يتمكن احد من تطبيقه في التاريخ، ولن يتمكن ذلك أحد في المستقبل، ولم نتمكن نحن من تطبيقه حتى الآن، وعلى أية حال فقد أرسى علي بن أبي طالب هذا

الأساس في التاريخ خلال تلك الأعوام القليلة من حكمه .

أمّا نهج البلاغة الذي يضم منتخبات من خطب علي بن ابي طالب (ع) والذي يعقد مؤتمره في هذه الأيام، فمن الإنصاف القول إنه من الكنوز العظيمة للمجتمع الإسلامي بعد القرآن، مع أن هذا الرجل تلميذ للنبي وحسب قوله «أنا عبد من عبيده» أي إنه كان يعدّ نفسه من عبيد النبي، وأن مقام النبوة مقام آخر وله بحث آخر، هذه الشخصية وهذا الإمام احتل اسمى قمم الفخر في العلم والتقوى وكل الاشياء التي لم نتمكن نحن إلّا العثور على نموذج لها وعلى بصيص من مصدر نورها العظيم، ففي العلم قال الامام (ع) «لو ثني لي الوسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم، وبين اهل الانجيل بانجيلهم، وبين اهل الفرقان بفرقانهم ...» الارشاد للمفيد ١/٣٠ ط العلمية الاسلامية .

ومن حيث الشجاعة كان يقول عن نفسه (ما مضمونه): «لو برز الي كل العرب لما وليت عنهم مدبرا» هذه هي بطولة علي، أما لسانه البليغ فحين كان يتحدث كان اعداؤه يقولون عنه إنه ساحر، أما شفقته ومروءته وعدالته التي هي مدار بحث خطبتنا هذه وسأتحدث عن جانب منها يرتبط ببحوثنا، فقد حدّت بالكاتب المسيحي «جورج جرداق» لأن يسميه في كتابه: «صوت العدالة الانسانية» وهكذا نجد كاتباً مسيحياً يحمل افكاراً عميقة حول الدفاع عن المستضعفين وكانت شخصيته تبلور هذه الحالة، يسمي علي بن ابي طالب (ع) بـ «صوت العدالة الانسانية» حيث اختار حسب وجهة نظره لقباً جيداً لعلي بن أبي طالب .

حول حكم علي (ع):

قلنا من قبل إن كل نائب في اميركا ينفق مليوناً ومئة ألف دولار لكي ينتخب، وقد ارسل رأسماليو اميركا هؤلاء الى مجلسي النواب والشيوخ بهذه الطريقة لكي يحكموا المجتمع عن طريقهم، والنقطة المعاكسة لذلك نجدها عند علي بن ابي طالب (ع)، فقد أمر بمصادرة أموال كل رأسمالي خائن علم

أن امواله مغصوبة، وحين تولى الحكم كان أول تعميم اصدره أن كل ما اعطي الى الأشخاص قبل عهده من اموال بيت المال والاموال العامة بغير حق ينبغي اعادته الى بيت المال ولو أصبح مهر النساء ، وهكذا كان سلوكه مع هذه الطبقة، وقد جاءه طلحة والزبير وهما من الشخصيات الشهيرة في العالم الاسلامي وهما يحظيان باحترام وود كبيرين لدى أهل السنة وكانا من الشخصيات القديمة والمتنفذة لكنهما أصبحا شيئاً فشيئاً من الأثرياء وممن يسمون بالمترفين، فقالا اننا نبايعك بشرط أن نشاركك في الحكم، فقال لهما الإمام (ما معناه): «كلا، اذهبا، اننا لا نريد شركاء ، فاما أن تبايعا كما بايع الناس وان امرتكما بالقتال قاتلتما وتعملا بكل حكم احكم به أو تذهبا، فنحن لا نريد شركاء ، فان الناس هم الذين اختاروني للخلافة» . وهذه هي فئة يجدر أن نقارنها بالأميركيين .

ففي احد الانتخابات قال أحد اعضاء مجلس النواب أو الشيوخ ويدعى «بويس نيزور» في اجتماع حضره الرأسماليون لبحث قضية نفقات الانتخابات، تعالوا نقسم الأمر بيننا، فأنتم تنفقون الأموال وترسلوننا الى الكونغرس ثم نسن نحن القوانين ونزيدكم ثراءً ، ثم عاودوا الانفاق وارسلونا الى الكونغرس ثانية، فنعود نحن نسن القوانين ونزيدكم ثراءً ! وهذا ما نجده في الوثائق المتعلقة بخطابات اعضاء الكونغرس الاميركي .

مقارنة بين سلوك الامام علي (ع) والديمقراطية الأميركية :

تلك الحكومة تريد أن تتحدث الى هذه الحكومة، فتلك الحكومة تقول لطلحة والزبير اللذين كانا من اركان ذلك العهد وكان من شأن تأييدهما أو معارضتهما أن تعزز موقف علي بن ابي طالب (ع) أو تخلق له المشاكل، وقد خلقت له بالفعل كل تلك المشاكل في معركة البصرة، تقول لهم: اننا لا نريد شركاء ، وفي هذه الحكومة تقسم الاعمال حيث قال نائب اوكلاهاما في احدى كتاباته: حين تحدثت إلى اعضاء الكونغرس الأميركي وجدت ٩٩٪

منهم يرى أن أسوأ اعماله جمع المال من أجل الانتخابات، فهذه هي الحكومة التي تقول إن أسوأ اعمالها جمع المال من أجل الانتخابات، وعلي بن ابي طالب يسلك مع أصحابه سلوكاً آخر، اذ جاء اليه يوماً مالك الأشتر (وانـنا نعرف مالك الاشتر جميعاً ونعرف أنه شخصية محترمة، وافضل رسالة بعث بها علي بن ابي طالب (ع) ودونها التاريخ كانت رسالته الى مالك الأشتر، وخدماته معروفة سواء في الحرب أو في المواضع الأُخرى، وهذه العائلة عائلة شريفة أساساً، لكن القضية اشتبهت لديه) وقال له: مولاي، اننا إنّما انتصرنا في معركة البصرة فذلك لأن الكثير كان معنا، وكنّا متّحدين، وبعد معركة البصرة حيث جئت الى الكوفة تسببت هذه العدالة الجافة التي طبقتها في انفضاض كثير من هؤلاء الأثرياء من حولنا فتخلوا عنا، فلتنفق قليلاً على هؤلاء لكي تميل اليك اعناقهم، وينحازون الى جانبنا فنتمكن من حل مشاكلنا مع هؤلاء، فقال الامام (ما مضمونه): «ما هذا الذي تقوله يا مالك؟ ان هذا الذي تقوله ـ بأن هذه الأمور هي التي خلقت لنا المشاكل ولو تصرفنا بهذا الشكل فسوف تحل مشاكلنا ـ هو الذي أخافه واخشى أن اعمل بما تقوله لكي اقوي حكمي، وهذا يدمر مبادئي.

اهل الجور فروا من عدل الامام علي (ع):

« فهؤلاء الذين انفضوا من حولنا، فروا من العدل ولم يفروا من الجور، فليقل الناس إن انصار الجور فروا من علي بن ابي طالب، وفر منه أولئك الذين كانوا يريدون التمييز والمكاسب والأشياء التي لا يستحقونها» فعجز مالك عن اقناع علي بن ابي طالب (ع) على العدول عن رأيه ولو بمقدار ذرة واحدة، ثم جاء آخرون الى الإمام وطرحوا عليه هذه القضية بشكل آخر، وفي هذه المرة صاح بهم علي بن ابي طالب (ع) قائلاً (ما معناه): «كم انتم جاهلون! الويل لكم، وهل تريدون مني أن اطلب النصر بالجور؟!» هذا هو السلوك العادل والعدالة الاجتماعية لعلي بن ابي طالب وأساس حكمه وطريقته في الحكم، وتلك هي

طبيعة الاميركيين التي ذكرتها. وتشير إحصائية الى أن في مجلس الشيوخ الأميركي (٢٧) شخصاً من بين (٣٣) شخصاً هم الذين انتخبوا بأموال اكثر، أي أنهم أحصوا الأموال واحصوا عدد الفائزين فوجدوا أن هناك (٢٧) شخصاً من بين كل (٣٣) انفقوا مقداراً اكبر من المال فانتخبوا، فهذا اسلوبهم في كسب الانصار لحكومتهم وتلك طريقة علي بن ابي طالب (ع)، وقد قال مدير شركة استاندارد أويل الاميركية في احدى خطبه: لو أردنا الإبقاء على امتيازاتنا فيلزمنا أن نستثمر الأموال في الانتخابات، وهكذا نجدهم يعدون الانفاق على الانتخابات استثماراً، وهم يتحدثون عن ذلك في خطبهم أيضاً ويكتبونه في صحفهم، وهذا الاستثمار المادي يعني تقسيم الأعمال نفسه، أي اعط اموالاً وخذ اصواتاً ثم تسن القوانين بما يحقق مصلحتك، وقد تحدث رئيس الصفقات في شركة تكساس النفطية الاميركية وقال: اذا أردت أن تكسب امتيازات في المستقبل فعليك أن تنفق المزيد من الأموال في الانتخابات، فعند هؤلاء نوع من الحكم وهذا نوع آخر، وهذا هو أساس حكم علي بن ابي طالب الذي يكتسب على لسان مسيحيٍّ لقب «صوت العدالة الانسانية» ويتحول الى مفخرة في تاريخ البشرية والانسانية.

وصية الإمام علي (ع) لمالك الأشتر:

كتب الامام الى مالك الأشتر (ما مضمونه): «لا ينبغي لك أن تجعل لنفسك أو لقرابتك أو لاصحابك امتيازاً فيما هو ملك للناس وهم متساوون فيه، وما كسبه الناس من الحلال فهو لهم» هذا الامام الذي يتحدث هكذا يقول في موضع آخر (ما مضمونه): «من كان يملك الأرض والماء ثم افتقر، فهو بعيد عن رحمة اللّه» أي ليذهب ويزرع ويكسب المال ويأكل من الحلال، وانا عاجزون عن أن نجد أفضل من حكم علي بن ابي طالب هذا الذي نادى بالعدالة، وهذه الشخصية التي جلبت المفاخر للمجتمع البشري في فترة حكمها التي دامت أربعة اعوام وعدة شهور، وهذه الشخصية العظيمة الذي

عجز الجميع عن العثور على نقطة ضعف في كل فترة حياته، حيث سعت كل القوى الاعلامية في عهده وبعد عهده من أجل التغطية على فضائله، ولكننا نجد اليوم تلك الفضائل قد ذاع صيتها من شرق الأرض الى غربها وصارت سمعته تسطع في السماء كالشمس، وهذا الرجل العظيم هو صاحب المناسبة المهمة لهذا الاسبوع، ومن افضل خطب علي بن ابي طالب (ع) تلك الخطبة التي تتحدث عن التقوى وتدعو اليها وفيها من القوة ما جعل الذي خاطبه لا يقوى على تحمل كل هذا السمو في الوصف فأسلم روحه الى بارئها إثر سماعه موعظة علي بن ابي طالب، هذه هي شخصية الامام علي (ع) وعدالته، وهذا القائد العظيم[1] الذي نكنُّ له كل هذا الود يعد احد تلامذة تلامذة تلامذة علي بن ابي طالب (ع) وهو يفخر بأنَّ في كيانه نفحة من نفحات علي بن ابي طالب (ع) الكثيرة وكونه واحداً من احفاده، نسأل اللّه أن يحفظه ويوفقنا لأن نكون من أفضل شيعة علي بن ابي طالب (ع) ونتمكن ان شاء اللّه من أن نقدم للعالم نموذجاً بسيطاً يليق بمقامنا عن حكم علي بن ابي طالب (ع) .

١- يقصد به الامام الخميني (قدس سره) وكان حياً في ذلك الوقت. (المنقح)

الخطبة التاسعة عشرة

الجمعة: ١٣٦٤/٢/٦ هـ. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، قال العظيم في كتابه، «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض» (الشورى / ٢٧).

كنا قد أشرنا، في بحث العدالة الاجتماعية بشأن العناصر البشرية، الى المظالم التي ارتكبها العنصر الأبيض خلال هذه القرون الخمسة بحق العناصر الأُخر، وذكرنا من ذلك فصولاً. منها تشويه الحكم في المجتمعات البشرية وهو من ابشع مظالم الغربيين تجاه العناصر والأجناس الأُخر حيث ماتزال هذه المصيبة تنزل بالمجتمعات البشرية، ولما كان الغربيون انفسهم خاضعين لحكم رأس المال وهو الذي يعد مقياساً ومعياراً للحكم فيالغرب، وأن الديمقراطية شعار كاذب ومخادع يعمل كقطن يذبحون به الناس، فقد صدروا هذا البلاء وانتشر كالمرض الساري في ارجاء العالم الخاضع لظلمهم وصار أساساً لحكم القوى المادية والحكام الماديين، كما قلنا إن الوضع في المنطقة الخارجة عن نفوذ الغربيين وحكمهم، والخاضعة لنفوذ الحكومات الالحادية التي تسيطر عليها مادية الفلسفة الماركسية أسوأ بدرجات من حيث استئصال جذور المعنويات، إذ ينكر هؤلاء أية قيمة للمعنويات وهذا بحد ذاته بلاء آخر.

كما تقرر أن نجري مقارنة بين هذا ونظرة الاسلام لأن المحور الرئيس للبحث الذي نجريه حول التميز العنصري هو العدالة الاجتماعية في الاسلام حيث يشار فيه الى الانظمة غير الاسلامية من أجل المقارنة، وفي الخطبة السابقة تحدثت بشكل خاص عن علي بن ابي طالب (ع) بمناسبة ذكرى ولادته وتحدثت عن المواقف التي اتخذها، واوضحت نظرة الاسلام العامة التي تجسّدَ أحد مصاديقها المهمة في سيرة الامام علي (ع).

قضية الحكم من أهم مشاكل الأنبياء مع معارضيهم:

حين نطالع ـ بصورة عامة ـ تاريخ الأديان السماوية وانبياء اللّه نجد أن قضية الحكم كانت من أهم القضايا التي دارت بينهم وبين الاجنحة المعارضة لهم، وقد طرحت بين الجانبين دائماً قضية الحكم وحق الحكم ومقياسه، فلو شرحت هذه القضية وتعرف العالم الثالث ومظلومو العالم ومحروموه وشعوب العالم المغلوبة على منطق الأديان السماوية هذا ومنطق الاسلام هذا وصدّقوه، فسوف يكون ذلك افضل وسيلة للنفوذ الى قلوب شعوب العالم المحرومة وإعدادهم من أجل تحقيق مطالب الأديان السماوية والدين الاسلامي، ولو قدر للجمهوريةالاسلامية أن تعرض بشكل عملي في التاريخ مصداقاً صريحاً لمنطق الأنبياء فقد أسدت أفضل خدمة لرسالة الأنبياء، لأن هذه القضية تعدُّ قضية الانسانية الرئيسة، أي إن القضايا الفرعية يمكن تشويهها دائماً، فلو امكن فهم هذه القضية فهماً صحيحاً وتطبيقها فسوف تعالج بقية المشاكل، وهنا تكمن جذور تلك المشاكل.

والذي يفهمه المرء من القرآن الذي هو أهم وثيقة صالحة وأصح وثيقة وجدت في تاريخ البشرية، هو أن الانبياء منذ أن أعلنوا رسالتهم كان متجبرو المجتمع في صراع معهم حول قضية الحكم وحق الادارة، وقد وردت هذه القضية في القرآن، فلدينا سورة في القرآن اسمها سورة «الزخرف» سمعتم بها كثيراً وتلوتموها مراراً، واني اطلب منكم لاسيما من طلبة العلوم الدينية أن

تقرأوا هذه السورة مرة من هذا المنظار الذي سأبحثه ، فكلمة «الزخرف» اما تعني الذهب أو تعني الزينة والزخارف، فلو سمي الذهب زخرفاً فلربما كان ذلك لكونه افضل مصداق للزينة والزخارف، وقد تجسدت روح هذه السورة في هذه الكلمة والنقطة الرئيسة التي تركّز عليها هذه السورة هي أن الكفار طرحوا في مقابل النبي قضية الحكم، فكان مقياس الكفار فيها «الزخرف» وكانت التقوى مقياس النبي، أي أن الجدال الذي كان يدور هو أن الكفار كانوا يقولون هل انت جدير بهذا الذي تدعيه من أنك أخذت من السماء حق الولاية؟ وكانوا يقولون له: انك إذ لا تملك المال والذهب والامكانيات المادية فليس لك مثل هذا الحق، بل هذا الحق يعود للذين تسلّحوا بالمال والامكانيات المادية، وكان النبي يطرح التقوى في المقابل، ثم تشير السورة الى تاريخ الأنبياء ، وهي تقول في آيتها الخامسة: **«أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين»**[1] وفي الآيات التالية يذكر الموضوع بصراحة اكثر حيث يقول تعالى :

«وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آباءنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مقتدون»[2] .

المترفون كانوا في مواجهة مستمرة مع الانبياء :

وهكذا يطرح القرآن هذه القضية كسنة وقانون تاريخي واقصد هنا أن هذه القضية وردت في القرآن كقانون حتمي تاريخي وحقيقة تاريخية لا استثناء فيها، ثم يتطرق القرآن الى التفاصيل فيقول :

«وقالوا لو لا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[3] فانظروا اين كان

١- الزخرف / ٥. ٢- الزخرف / ٢٣.

٣- الزخرف / ٣١.

يذهب هؤلاء ، وقد تكررت هذه القضية في حياة كل الانبياء، فحول النبي نوح الذي هو أول نبي وردت قصته بشكل مفصل حيث لا نجد قبل نوح تاريخاً واضحاً في القرآن عن الأنبياء بهذه الخصوصيات، فانظروا كيف أن أول ما جاء بشأنه أنه حين دعا الناس كان مما قالوه له: «قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون»[1] وقالوا له: «إلّا الذين هم اراذلنا بادى الرأى»[2] (ومما يجدر ذكره أن كلمة الأراذل هذه التي نستخدمها الآن غير ذلك، فقد كانوا يقصدون من الأراذل الطبقة السفلى من المجتمع وهم العمال والفقراء) فقد كان محور كلامهم لنوح أن كيف نتبعك وكيف نتبع نهجاً تشكّل طلائعه الطبقة المحرومة، فاطرد هؤلاء لكي نأتي نحن فقال لهم سيدنا نوح (ع): «ما أناْ بطارد المؤمنين»[3] حيث يؤكد على الايمان ويقول: اني لا أقدر أن اطرد المؤمنين واني لا أستطيع أن اخلق هذا المحور بنفسي فهو أمر وضعه اللّه، فهؤلاء آمنوا وتقدموا على غيرهم، وهكذا ترون أن اول نبي شرح تاريخه في القرآن بشكل واضح ووصفت فيه الطبقة السفلى حسب زعمهم والطبقة المترفة هو نوح (ع) .

واني لا استطيع ان اشرح تاريخ الأنبياء في هذه الخطبة، وهذه المواضيع متوفرة في الكتب وليس هذا مما ابتدعته وفهمته وحدي، ثم يتقدم بنا الزمان قليلاً فنصل عهد النبي موسى (ع) (واني لا اتحدث عن كل الانبياء لكي اصل الى النتيجة بسرعة) فحين يأتي موسى ويحاجج فرعون «وقد اشارت الى ذلك سورة الزخرف ايضاً» يقول له فرعون: كيف يكون لنا أن نتبعك، ثم يتذرع هو وسائر المترفين بقوله لموسى (ع) :

«أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى»[4] وهذا الاستدلال يشبه بالضبط استدلال مجلس الشيوخ الاميركي والرأسماليين السلطويين والكارتلات والشركات متعددة الجنسيات في هذا العصر، حين يستدل فرعون

١- الشعراء / ١١١.   ٢- هود / ٢٧.   ٣- الشعراء / ١١٤.

٤- الزخرف / ٥١.

على حكمه بأنه يملك هذه الأشياء كلها، وأن الأنهار تجري من تحت قصره فهو ـ إذاً ـ احق بالحكم، ثم يقول القرآن على لسان فرعون:

«فلولا أُلقي عليه أسورةٌ من ذهب»[1] فلابد أن أسورة الذهب كانت من الزينة التي تميز صاحبها في ذلك الزمان، ثم يقول «أم أنا خير من هذا الذى هو مهين»[2] هذا هو المنطق الذي طرحه فرعون بشأن النبي موسى (ع).

وحول النبي عيسى (ع) ذكر التاريخ بشكل واضح أن المرابين والرأسماليين اليهود شكلوا أهم سد أمام النبي عيسى (ع) ولهذا الأمر بحث رائع لا مجال لطرحه الآن.

سلوك الكفار مع النبي (ص):

بعد ذلك نصل عهد نبي الاسلام (ص)، فأول قضية كانت بين النبي والكفار هذا الذي تقوله هذه السورة وهو أنهم قالوا له انك لا تجدر بالحكم لأنه حق لرجل عظيم من هاتين القريتين، فمن الذي كانوا يقصدونه؟ قيل انهم قصدوا بذلك الوليد بن المغيرة أو شخصاً آخر، وفي كل الأحوال كانوا يريدونه منّ شخصيات مكة الشهيرة فكان أولئك يقفون في وجه النبي (ص) متمسكين بهذا الاستدلال فيحتج اللّه عليهم.

اقرأوا الآيات من الآية الثلاثين وحتى الآية السادسة والثلاثين من سورة الزخرف لأني اعتقد أنها طريفة جداً، فاللّه يقول كيف يفكر هؤلاء، انهم يقسمون نعم اللّه ويضعون بأنفسهم حدوداً للقيم الالهية متوهمين أن كل من يملك شيئاً فله قيمة عند اللّه وكل من لا يملك فليست له عنده قيمة، فقضية الملكية وعدمها قضية ترتبط بمصالح الخلقة حيث رتبها اللّه في المجتمع لأسباب معينة، يقول تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون»[3].

١ـ الزخرف / ٥٣. ٢ـ الزخرف / ٥٢. ٣ـ الزخرف / ٣٢.

أي أننا قسمنا معيشتهم حسب السنن التي وضعناها للمجتمع، فلهذه الاختلافات التي ترونها فلسفة خاصة، وهذا بحث جذري جيد نعرف من خلاله هل هؤلاء متساوون أمام السنن الإلهية ؟ وهل أن السنن الإلهية تقتضي أن الذي يعمل اكثر في الطبيعة يحصل على كمية اكبر؟ ثم يقول تعالى: **«ولولا أن يكون الناس أُمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة ومعارج عليها يظهرون»**[1] .

حيث يطرح اللّه تعالى قضية عجيبة وطريفة جداً، ولو درس المرء القضية ككل ودرس كيف تقوّم الأُمور وكيف تحدد القيم لوجَدَ أن هذا الوضع هو من امر اللّه .

قيمة المعنويات :

فالدنيا في مقابل التقوى واللّه والمعنويات لا قيمة لها الى الحد الذي لو لم تكن هناك خشية من أن يقف الناس كلهم الى جانب الكفر (وهو أحد تفاسير هذه الآية) لكان اللّه يعطي الكفار وأعداءه من المال ما يجعلهم يصنعون سقف بيوتهم من الفضة ولمنحهم درجات عالية تجعلهم قادرين على التسلط مادياً على كل الناس **«ولو لا أن يكون الناس أُمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون»**[2] **وقال تعالى في موضع آخر «ولبيوتهم ابواباً وسرراً عليها يتكئون»**[3] .

أي أن هذه الأشياء لا قيمة لها، فبأي شيء تقوّمون الاشياء؟ أباعداء اللّه والكافرين به؟ وعليه لا يمكن اعطاء قيمة لهذه الأُمور، فليس المقياس أن يملك المرء شيئاً أو لا يملك، ثم يقول تعالى: **«وزخرفاً وان كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين»**[4] أي أن القيمة الحقيقية للمتقين ، وبهذا وضع

١- الزخرف / ٣٣. ٢- الزخرف / ٣٣. ٣- الزخرف / ٣٤.

٤- الزخرف / ٣٥.

التقوى في مقابل المال ورأس المال، وهذا موضوع رائع جداً، فليفهم العالم الثالث والاكثرية المحرومة في العالم اليوم هذا المنطق الذي جاء في قرآننا بهذه الصراحة، وليفهموا المقياس السائد اليوم في الكونغرس الأميركي حيث يقول أحد نوابهم إن (٢٧) أو (٢٨) شخصاً من بين كل (٣٣) شخصاً فازوا في الانتخابات كانوا قد انفقوا اموالاً اكثر من غيرهم «أي سيادة الرأسماليين في العالم الغربي» هذا هو الاسلام وهؤلاء هم الكاسدون، ففي الاسلام حين كان النبي (ص) أو علي بن ابي طالب (ع) يريد تنصيب حاكم على منطقة معينة (فلنقرأ تاريخ أولئك الحكام والشخصيات التي تطرح لذلك لنرى كم هو رائع) كان يتوجه نحو المقاييس الانسانية والى الفضلاء من الناس، فلربما يكون ذلك الشخص ثرياً أو غير ثري، ولما كانت اكثرية الناس من الفقراء، والفضيلة تبقى في هذه الطبقات المحرومة اكثر من غيرها فلذلك يكون الفضلاء اكثر عدداً بين الفقراء في الغالب، ولكن يمكن أن نجد في ذلك الجانب أُناساً فضلاء أيضاً، فالمقياس هو التقوىٰ والفضيلة والانسانية، ونحن لا نغلق الأبواب ولا نقيم جداراً فنقول إن من يملك ثروة لا يمكنه ان يكون فاضلاً، بل يمكنه ذلك بنسبة كبيرة .

ونحن عندنا في هذه الظروف أثرياء كانوا معنا منذ الأيام الأُولى للثورة، وكانوا يجاهدون معنا، وبعد الثورة نصروها (وبعضهم انتمى ابناؤهم الىٰ المنافقين فأُعدموا جرّاء اجرامهم) لكنهم ما يزالوا أوفياء للثورة ويقدمون لها الدعم والمساعدة .

واني لا أريد شرح الوجه الآخر لهذه القضية بل الذي اريد قوله إنه لا ينبغي لأحد أن يتصور أن المحور يمكنه أن يكون غير التقوى والفضيلة الانسانية وتلك القيم التي خصصنا من أجلها فصلاً من بحوثنا .

ولكننا ندرك عملياً أن هذه الطبقة المحرومة التي تشكل اكثرية المجتمع هي التي تحرس الفضائل، فمن هذه الاحداث الأخيرة التي نتذكرها في صلاة الجمعة؛ صفوف مقاتلينا والمتطوعين للذهاب الى الجبهات والمساعدات

التي تقدم، من القطع الذهبية والحلي التي تتبرع بها الأخوات من الفئة المحرومة الى الثورة، وتلك القوافل التي تحمل التبرعات الى الجبهة، حين ننظر الى محتواها ندرك جيداً من الذين يحرسون هذه الثورة وهذا الطريق، على هذا فنحن نتحدث عما هو أشمل من هذه القضية، والموضوع العام هو أن القرآن الكريم وصف تاريخ الأنبياء بأنه ترافق مع محاجة دائمة كانت تقع بين المترفين والأنبياء تدور حول الحكم، ففي البداية كانوا يحتجون على النبي قائلين له: انك لا تصلح للنبوة لأنك فقير والحجة الأُخرى كانت: انك لا تملك بيتاً من ذهب أو مملوءً بالزينة والزخارف، فهذه الاشياء كانت مقياساً لديهم وكانوا يقولون للنبي لو كانت لديك زخارف ولم تكن فقيراً لأمكن أن ينزل عليك جبريل ويأتيك بالوحي، ولو كنت غنياً وثرياً لكان بامكانك أن تكون محوراً لنا وحاكماً علينا، وحين كان يطرح هذا المنطق على معظم الانبياء كانوا يقولون:

اننا لا نملك خزائن اللّه ونحن نتبع اللّه، ويمكن أن يكون لهذا تفسيراً آخر، ثم حين استطاع النبي بقوة الجهاد وبمعونة الحفاة والعبيد المتحررين من امثال بلال وسلمان والخباب وسهيل وغيرهم أن يغلّب منطقه وينتصر، وحين انتصر طرحوا قضية جديدة ولم يعودوا يقولون: انك لا تصلح، لأن النبي بلغ هدفه، بل قالوا له: أبعد هؤلاء عنك لكي نأتيك فلا يمكن أن تكون حاكماً على الحرمين ومعك مجموعة من الحفاة ولا يكون اشراف قومك معك، وبعثوا الى النبي برسائل عن طريق قرابته وقالو له بشكل مباشر وبطرق مختلفة: أُبعد هؤلاء لكي نأتيك، واني لا أعلم ما الذي دار في ذهن النبي وما الذي حدث حتى جاء جبريل بالوحي من اللّه وقابل هذا الاقتراح الجديد بحزم قائلاً:

هؤلاء هم الذين قالوا لك من قبل أنك لا تصلح للنبوة، فما الذي تقبله منهم؟ لو أنك أبعدت هؤلاء لكي يأتي اولئك ويمنحوا الاسلام الشوكة والقدرة فقد ظلمت، وهكذا وضع هذه الكلمة في نص بحث العدالة الاجتماعية، فاعتبر طرد الطبقة المحرومة من أجل كسب القوى المادية ظلماً وجوراً،

فقصة الحسابات الإلهية غير هذا حتى يتصور احد أنه لما كان يملك خدماً وحشماً وجيشاً ولأن له اموراً من هذا القبيل فيمكنه أن ينتصر، كلّا ينبغي الإبقاء على هؤلاء ، وقد ذكرت في تلك الخطبة عن علي بن ابي طالب (ع) بالمصداق نفسه أن اولئك المترفين ومكتنزي الذهب جاؤوا اليه فقال لهم الامام (ما مضمونه): «اذهبوا، وهل اطلب النصر بالجور» وهذا هو تفسير هذه الآية التي تقول ان هذه كانت حرباً، وهذا الأمر نجده اليوم في الجمهورية الاسلامية ويواجه العالم اليوم هذه القضية ، فالبيت الأبيض الذي هو اكثر بيوت العالم سواداً، والكونغرس الأميركي ومجلس الشيوخ الاميركي والبرلمان الانگليزي وقصر الاليزيه والأماكن الأُخر لا يمكنها تحمل حكم نابع من صلاة الجمعة هذه التي تقام في طهران ومن هذا الشعب المستضعف المظلوم الذي لا يملك إمكانيات مادية، إنها لا تتحمل أن يزعزع هذا الحكم قصورهم وهيا كلهم، ولو أنهم وجدوا هنا انقلاباً دبره قادة الجيش يتحدث بهذه الاقوال نفسها، لما ارتعبوا الى هذا الحد، فرعب مترفي العالم من الطبقة المحرومة، وهذا تستحقه مثل هذه الرسالة ، والذين ينكرون اللّه والمعنويات والآخرة والخصال الأخلاقية ويربطون كل شيء بالمادة وآثارها عاجزون عن أن يزعموا أنهم قادرون على تشييد هذا الصرح الشامخ على عواتق الطبقة المحرومة، لذلك نراهم يتحولون الى امبريالية جديدة أو على حد تعبيرهم الى الامبريالية الاشتراكية الجديدة، وهي تسمية أطلقها «ماو» على رفيق له (ويقصد به الاتحاد السوفياتي)، وعليه فهذا هو طريق اللّه واكثر الانبياء وهذا الطريق أصله في السماء ، وجبريل هو الذي بشّر به، والناطقون به هم الأئمة الأطهار الذين عملوا كحفظة لهذا الدين، وينبغي أن يترسخ هذا الطريق، لأن اعداءنا يخافونه (وهذابحث طويل وممتد الأطراف يحتاج الى حديث كثير، لكني لا استطيع أن أتحدث عنه باكثر من هذا في بحث العدالة الاجتماعية الخاص بالتميز العنصري، وقد نفتح له في موضع آخر فصلاً خاصاً نشرح فيه هذا الطريق) ومحور كل هذه الأُمور التقوى كما قلت، وقد أُمرنا أن ندعوا الى

التقوى في كل موضع . إذ لا يمكن أن يوطد دعائم هذا الصَرح الشـامخ إلّا التقوى، وكل ما خرج عن هذه المقولة فهو متزعزع، واننا ندعو الاخوة والاخوات الى السير على هذا الطريق الذياختاروه، سواء كنا نحن أو لم نكن، أو كان أحد أو لم يكن، فهذا طريق الأنبياء .

وهذا هو الطريق الذي أمر اللّه النبي الأكرم بسلوكه، فهو طريق رسمه اللّه، وباب فتحت نحو السماء ، وحبل بين اللّه والأرض وبيننا، وعلى الشعوب أن تتمسك بهذا الحبل، وتتلمّس هذا الطريق، ويوم يحصل لدى الناس هذا النضج ويتحركون ضمن هذا المسار فسوف يتحولون الى اقوى قوة على وجه الأرض .

الخطبة العشرون

الجمعة: ١٣٦٤/٢/٢٠ هـ.ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأئمة المعصومين، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم».

اعتدنا ان نبحث في عدالة الاسلام الاجتماعية بشأن العناصر البشرية واعتقد أننا سننهي اليوم ان شاء الله آخر فصل من هذا البحث بإشارة الى أحد أبعاد مظالم العنصر الأبيض،،وعرض اجمالي للبحوث السابقة، وإيضاح حالة خاصة من هذا الظلم والتميز اللذين يرتكبهما البيض الغربيون في العالم المعاصر، ليكون مجموع بحوث هذا الباب ان شاء الله دليلاً على عدالة الاسلام وظلم معارضيه أو المذاهب التي تزعم الحق والحقيقة .

كان الذي قلناه (من الفروع الكثيرة مما فعله العنصر الأبيض خلال هذه الأعوام الخمسمئة بالعناصر الملونة الصفراء والحمراء والسوداء والشعوب الأُخر) فصلاً مؤلماً جداً كان الهدف منه هيمنة عنصر معين على العالم، ومن أجل تحقيق هذا الهدف استخدم هؤلاء كل ما تمكنوا منه، ولم يبقوا شيئاً من الظلم لم يرتكبوه .

سبل نفوذ الاستعمار :

ولقد كان من نتائج ذلك أن آل عنصر الهنود الحمر الى الانقراض تقريباً

ولم يعهد يملك استقلالاً في العالم، كما تحوّل الزنوج الى عنصر منهك خائر القوى عاش طوال هذه الأعوام الخمسمئة في حالة من الانهاك رغم المقاومة البطولية التي أبداها، أما العنصر الأصفر الذي كان يسيطر على اوسع رقعة من الأرض ويشكّل اكبر عدد من حيث النفوس البشرية فقد أبقوه على الدوام في حالة من الحرب والفقر والحرمان، والبلدان التي كانت في هذه المناطق تسود بينها هذه الحالة التي ترونها الآن (والتي آلت الآن الى التحسن نوعاً ما)، وقد ارتكبوا هذه الأعمال عن طريق نشر الرق الذي كان من فصول بحثي، وعن طريق الاستعمار الرسمي، أي أن يحوّلوا بلداً أو شعباً أو حكومة الى مستعمرة رسمية، وعن طريق تصدير الثقافة الغربية المبتذلة وإحلالها محل ثقافات الشعوب المستقلة والفنية والأصلية حيث ارتكبوا في هذا المجال جرائم كثيرة، كما استخدموا في ذلك طريقة تصدير افرادهم الأشرار والمحكومين والمنفيين الى سائر مناطق العالم ونصبهم ممثلين عن العنصر الأبيض وهو أمر يعدُّ بعداً مؤلماً في الحقبة التاريخية الماضية، وكان الطريق الآخر نصب الاشرار والخاوين والذين لا قيمة لهم من الشعوب والبلدان بدلاً من الصالحين، ونصب الذين باعوا أنفسهم بدلاً من المستقلين والوطنيين، فغالباً ما كان يتسلّم الحكم بهذه الطريقة في الحكومات الخاضعة لنفوذ هؤلاء افراد غير صالحين. وقد ورد كل هذا في فصل مستقل شرحته في هذا الشأن.

وكان من الفصول المؤلمة من وسائل هؤلاء للهيمنة قضية المعاهدات والاتفاقيات التي كانوا يعقدونها بعنوان الاتفاقيات الدولية فيفرضون على الناس اغراضهم في صيغ قانونية الظاهر وبأساليب مخادعة ثم كانوا ينقضون بأنفسهم تلك الاتفاقيات ويرتكبون ما يريدونه من اعمال، والطريق الآخر الذي استخدموه هو الحصول على الامتيازات السياسية والاقتصادية التي حصلوا عليها في العالم بشكل واسع، وبعد حصولهم عليها كانت تلك الامتيازات تتحول الى شركات وحكومات تنافس الحكومات المحلية وقد شرحت ذلك أيضاً، وكان من فصولهم الشائنة جداً جداً إفساد اخلاق الناس أي

تصدير الأخلاق المضادة وتوجيه الضربات الى اخلاق الناس، وقلت إنهم نفّذوا ذلك عن طريق إفساد النساء وايجاد روح التحلل والقضاء على الفضائل الأخلاقية للشعوب والدول والبلدان الأُخر مما يعمل كالآكلة التي تنخر الشعوب من الداخل، وقد شرحت هذا الفصل واوضحت أي بلاء انزله على شعوب العالم .

وكان لدينا فصل آخر بعنوان «نهب المفاخر القومية» للشعوب، أي نهب الآثار التاريخية وافراغ المتاحف وسرقة الأعمال الفنيّة للشعوب لكي يفرغوها من شخصيتها التاريخية حيث ماتزال هذه الفكرة مستمرة .

والهجوم الثقافي بشكل عام يعد من الفصول البشعة جداً لهذه الفترة من الهيمنة التي اخضعوا فيها ثقافات كل الشعوب للتأثر بثقافة الغرب، حيث انزل هذا النفوذ الثقافي الغربي بالشعوب انواع البلاء .

وكان آخر فصل ذكرته هو فصل فرض حكم رأس المال على الشعوب، حيث حكّموا رأس المال بدلاً من الفضائل والمعايير الانسانية والعلمية والفنية والاخلاقية والتقوى والفن، فكان هذا بلاءً لا يمكن تفاديه تحملته هذه الشعوب، وهناك فصل مشؤوم آخر سأشير اليه اليوم باختصار، ثم اشرح نقطتين محدّدتين من الوضع السائد ليعلم السادة والسيدات أي اُناس هؤلاء الغربيون الذين يدعون الدفاع عن حقوق الانسان ويحتقرون كل من لا يودونه متهمين اياه بانتهاك حقوق الانسان .

مكيدة ايجاد الفرقة بين الناس :

هذا الفصل يتحدث عن ايجاد الفرقة بين الناس، فهؤلاء يجرون دراسات واسعة ويحصلون على معلومات كثيرة عن المناطق التي يهتمّون بها فيعرفون اهتمامات القوم والشعب الذي يريدونه فيبثون الفرقة في تلك النقاط الحساسة، وبهذه الفرقة يحولون دون وحدة الناس وتماسكهم لكي لا يقفوا في وجوههم يوماً ما ويتحولوا الى شوكة في عيونهم وينقضّوا عليهم، وقد طرح

العرب هذا الفصل بجملة قصيرة كمبدأ استعماري وهو مثل مشهور بيننا يقول «فرق تسد».

وحتماً كان هذا الأمر من الاسس الرصينة والدائمة للسلطويين على مر التاريخ، فكلما وجدوا حاجة لذلك، بثوا الفرقة المذهبية، فكانت قضية الشيعة والسنة في العالم الاسلامي مما تشبث به هؤلاء دوماً، والله يعلم كم سفك هؤلاء من الدماء في العالم خلال هذه الأعوام الخمسمئة بتحريض السنة على الشيعة والشيعة على السنة، وكلما وجدوا الأرضية غير مناسبة لذلك عثروا على شخص احمق لكي يؤلف كتاباً ينال فيه من المذهب الآخر ويحرض اتباعه، أو حرضوا خطيباً يخطب خطبة، أو حرضوا جاهلاً لكي يمارس حركة شائنة، والخلاصة أنهم بهذه الأعمال يحيون البغض والأحقاد الممتدة الى (١٣٠٠) أو (١٤٠٠) عام ويحرضون الناس على بعضهم، وقد وجدتم في هذه الحرب بين ايران والعراق التي بدأها عفلقي عميل للاستكبار كحركة استعمارية. إنهم أرادوا إضفاء صبغة الشيعة والسنة عليها، وكذلك استخدموا عناوين العرب والعجم والترك والفرس والكرد وأموراً من هذا القبيل، وتعرفوا على القبائل واحيوا بينها الخلافات والثارات وحرضوها على بعضها من هذا الطريق وتركوها يقاتل بعضها بعضاً، فهذه القارة الهندية على طول تاريخها لاسيما حين وطئتها اقدام الغربيين قد سفك من الدم على ارضها باسم هذه التعصبات والخلافات ما لو جمعه التاريخ يوماً فإن المرء يرى أن عالماً كاملاً من البشر المظلومين والمحرومين قتلوا هنا وماتزال الحال مستمرة هكذا، والعجيب أن الشعوب تخدع هكذا، وفي الشهر الماضي اشعلوا في كجرات بالهند فتنة مشؤومة جداً لها جذور استعمارية ايضاً انقضّ فيها الهندوس على المسلمين وقتلوا منهم عدداً كبيراً ونهبوا مراكز كسبهم ومنازلهم، وكانت جذور القضية أن الحكومة الهندية ارادت منح مكاسب للـ «الهريجان» أو «النجسين القدماء» كما يسمونهم وهم اكثر فئات الهندوس حرماناً، فعارضت ذلك فئات الهندوس الأُخرى ومنها المترفون وانقضّوا على الهريجانيين، فحين وجد

هؤلاء أن الهندوس يقتل بعضهم بعضاً أرادوا ابعاد الفتنة عنهم فحرضوهم على المسلمين، وفي مدينة مثل «أحمد آباد» التي يشكل المسلمون ١٤٪ من سكانها نرى معظم الهندوس يرتكب المذابح بحق المسلمين والحكومة لا تبدي أي دفاع عن المسلمين، واني احذر الحكومة الهندية وأقول لها إنه ليس من مصلحة الهند أن تجرح في هذه الظروف مشاعر مليار مسلم في العالم بهذه السياسة الاستعمارية التي تعلم أن جذورها لا تنبع من الهند بل تعود الى الانگليز والغربيين الآخرين في الهند، وأُحذّر مسلمي الهند واطلب اليهم أن يحذروا، وأن يلتزموا ضبط النفس ولا يُحرَّضوا على بعضهم.

وقد شهدنا تلك التحركات التي حدثت قبل شهور عدة بين فئات السيخ، وبين السيخ والهندوس، وهذه الأعمال كانت موجودة دوماً في تاريخنا مع الغربيين، فكم من المذاهب والاتجاهات خلق هؤلاء وحرّضوها على المسلمين، واننا وجدنا احياناً هؤلاء البهائيين (الذين يحظون بعطف الرئيس الاميركي والنواب الاميركيين) قد حصلوا على الكثير من المنافع من روسيا القيصرية وانگلترة والآن جاء دور الاميركيين ليرتكبوا هذه الأعمال، ففي كل يوم يخلقون تياراً، في باكستان يخلقون تياراً باسم القاديانية، ويخلقون في العالم العربي تياراً باسم الوهابية، وفي ايران تياراً باسم البهائية وامثال ذلك، والله يعلم كم من الفتن اشعله هذا العنصر الأبيض الأوربي الدنيء بالتلاعب بالمقدسات والمساجد والمعابد والروح الدينية للناس وكم من الدماء سفكوها عن هذا الطريق، ولو قرر يوماً أن يحاسب الله هؤلاء القادة الأوربيين بسبب جرائمهم هذه، فلا أعلم أي عقاب وأي جزاء يستحقه هؤلاء ليعادل هذا الظلم الذي ارتكبوه، ونحن ندرك نوعاً ما سبب الخلاف بين المسلمين، ولكننا نراهم احياناً في بلدان أميركا اللاتينية والمناطق الأُخرى يحرضون القبائل على بعضها أحياناً بسبب بقرة أو وثن أو حجر أو اشياء من هذا القبيل يعبدونها، وأية أعمال ارتكبوها بحق الناس في المعابد! هذا هو أُسلوبهم في بث الخلافات في مجال المعتقدات الدينية للناس والذي لا يعلم مداه إلّا الله، ومن

جهة أُخرى كلما ارادوا اخماد نار الخلافات الدينية اخمدوها، فمن اعمق الخلافات الدينية في العالم الخلاف بين اليهود والمسيحيين، وقد قرأت يوماً كتاباً حول تاريخ الخلافات التي حدثت بين اليهود والمسيحيين، وانتم تعلمون أن المسيحيين يعتبرون اليهود قتلة المسيح، وبينهم ثارات لا تخمد نيرانها فلا يمكن أن يتصالحوا إذن، فمنذ فكر الاستكبار العالمي أن يجر المسلمين الى هذه الحال، سعى الى اخماد نار هذه الفتنة بين اليهود والنصارى، وإشعالها بين المسلمين، واننا نجدهم يصالحون اسرائيل مع الكتائب في لبنان لكنهم يريدون تحريض السنة والشيعة على بعضهم في لبنان ويمارسون ذلك بالفعل، فهذه الجذور العميقة والنفوذ الذي حصلوا عليه ومواطئ الأقدام التي حصلوا عليها بين التيارات القوية السائدة في العالم أوالدين أو الأشياء الأُخر، نراهم يستخدمونها كرأس حربة لإيجاد الفتنة، أمّا لماذا وقعت الحروب الصليبية في تاريخ البشرية، فإنّها من هذه النماذج، صحيح أن الاوربيين كانوا في ميدان القتال حينها وهذا امر لا يدخل ضمن بحثنا وله بحث آخر منفصل، واينما لم يكن دين حرضوا الاحزاب والفئات السياسية ، وهذه الأُمور التي يعرفونها، هذه هي حقيقة هيمنة العنصر الأبيض على اكثرية الشعوب على وجه الأرض خلال هذه الأعوام الخمسمئة، ولا يمكن اختصار هذا البحث اكثر من هذا القدر الذي عرضته في صلاة الجمعة .

وان شاء اللّه سيتابع هذه البحوث من يرغب في الاستزادة منها، ويوضحون هذه الأُمور للناس في احاديثهم وكتاباتهم، وعلينا لاسيما في هذه الحقبة من الزمن أن نواجه الغربيين دائماً بجرائمهم هذه ونشكك فيهم لكي يخجلوا من الحديث عن حقوق الانسان والثقافة والحضارة ولا يتشدّقوا بذلك، فيتخذوا في هذا المجال حالة دفاعية ويدافعوا عن انفسهم ويسألوا عن كل هذه الجرائم وأن لا يكون الأمر كلما حدثت ثورة في بقعة من العالم اتهموا الثوريين فجأة بمعاداة حقوق الانسان والحضارة والقمع وامثال ذلك وافرغوا شخصية الثورة من محتواها ومعنوياتها، ينبغي أن تكون المقابلة

بهجوم اعلامي يندلق من العالم الثالث نحو هذا التيار الاستكباري لكي يقع هؤلاء في ضائقة اعلامية، وهذا أمر ميسور وممكن لو بدأته دول العالم الثالث كافة كما بدأناه نحن، ولكن الوضع السائد بمناسبة المؤتمر الذي عقدته حركة عدم الانحياز في الهند بشأن ناميبيا يقتضي أن أوضح قليلاً ـ خلال بحثي ـ الاحداث التي تتعلق بناميبيا لكي تعرفوا جيداً طبيعة الغربيين وتعلموا أية فئة هم، ولو استمع شعبنا الى ذلك جيداً فلن تتمكن بعدها تلك الدعايات الغربية من تضليله، فناميبيا بلد مساحته نحو (٨٠٠) ألف كيلو متر مربع، وفي عام ١٤٨٤ كانت البرتغال أول دولة تحتله، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن «أي منذ خمسمئة عام» وهؤلاء الناس التعساء يكابدون اسوأ الظروف المعيشية، وقد ارتكب بحق هؤلاء من الجور ما أبقى منهم اليوم نحو مليون نسمة مع النمو الذي حصل لديهم، فبلد تعادل مساحته نصف مساحة ايران يبلغ عدد سكانه مليوناً، وقد استعبدوا هؤلاء دوماً ومارسوا بحقهم المذابح والنفي ومارس معهم الظلم كل من استطاع ذلك.

ففي البداية جاء البرتغاليون ثم تبعهم الهولنديون فالانكليز وأخيراً سلموها الى الحكام البيض في جنوب افريقيا.

استغلال زنوج جنوب افريقيا وناميبيا:

واننا نرى اليوم البيض الذين يحكمون جنوب افريقيا يحكمون ناميبيا أيضاً، وسنتحدث هنا عن جنوب افريقيا وناميبيا معاً، فهناك اليوم نموذج جيد على التعامل بين البيض والسود، فمجموعة صغيرة من البيض تسيطر على الحكم في جنوب افريقيا وتسيطر على المناجم الغنية بالذهب والماس والامكانيات الكثيرة المتوفرة هناك، وتستغل اكثرية تبلغ عشرين مليوناً ونيّفاً من الزنوج والملونين. والعجيب أن الأمم المتحدة قد أخضعت ناميبيا عام ١٩٦٥ أي قبل نحو عشرين سنة لانتدابها لكي تحررها، حتى أن الحركة الوطنية الموجودة هناك واسمها سوابو قبلت لعضوية الأمم المتحدة كمراقب؛

أي أن الأُمم المتحدة اهتمت بها بهذا القدر وليست هذه حال لا تعترف بها الأُمم المتحدة .

مثل هذا البلد يسيطر عليه البيض في جنوب افريقيا وسأعرض هنا عدداً من الاحصاءات المتعلقة به لكي تروا كيف يحصل الظلم في العالم، ففي المجال الدراسي تشير احصائية نشرتها الأُمم المتحدة إلى أن طفلاً واحداً من بين ألف طفل زنجي في ناميبيا بامكانه انهاء الدراسة الثانوية، وأن نفقات دراسة البيض هناك ته" (٢٠) ضعف نفقات دراسة الزنوج، أي أن كل طفل أبيض يذهب الى المدرسة ينفق عليه (١٠) أضعاف ما ينفق على الطفل الأسود «ويشمل ذلك القرطاسية والأُمور الأُخر» هؤلاء هم الذئاب الغربيون المتقنّعون بقناع البشرية الذين يرتكبون هذه الأعمال .

ومن بين كل ألف طفل أسود يولد في ناميبيا يموت (١٣١) طفلاً قبل بلوغه العام الأول من العمر فيما يموت من اطفال البيض سبعة فقط، فانظروا الى هذه النسبة، وهذه احصائية الأُمم المتحدة أي أن اطفال السود يموتون بنسبة تفوق الأطفال البيض بعشرة أضعاف، مع أن الاطفال السود اكثر تحملاً حيث يكتسبون المناعة في ارحام امهاتهم بسبب مرضهن، لكنهم يعيشون بهذه الصورة بسبب رداءة ظروف معيشتهم .

وفي جنوب افريقيا نفسها وهي الدولة الأُم «وانكم تشاهدون في الافلام كيف بدأ الزنوج حركة قوية هناك مؤخراً» تشير الاحصاءات الرسمية بشأن الأراضي الى أن ١٥٪ من المزارعين هم من البيض و ٨٥٪ منهم سود، وتقسيم الأراضي تم بشكل جعل (٢٥٠) مليون هكتار يملكها هؤلاء البيض الذين نسبتهم ١٥٪ ، فيما يملك الـ ٨٥٪ الباقون (٣٥) مليون هكتار، ولو أردنا أن نحدد ذلك بالكميات فان ٥ر١٢٪ من الأراضي يملكها السود الذين يبلغ عددهم سبعة ملايين مزارع، فيما يملك (٧٠٠) ألف مزارع ابيض تشكل نسبتهم ١٥٪ من المزارعين ٨٥٪ من الأراضي الخصبة، وبهذا الشكل قسمت الثروات هناك .

ومع أن جنوب افريقيا اكبر مصدر للذهب في العالم واكبر مصدر للماس واليورانيوم أيضاً، إلّا أنَّ الزنوج الذين يعيشون هناك من افقر الشعوب، وسبب ذلك هو أن الحكومة هناك بيد البيض وقد أدانتهم الأُمم المتحدة وأميركا، وهذه الإدانة ظاهرية بالطبع، وأراد بعضهم في الظاهر فرض حصار اقتصادي أيضاً، ولكننا لا نعلم من أين تنبع هذه القدرة الهائلة التي يملكها هؤلاء البيض الذين يبلغ عددهم عدة آلاف في جنوب افريقيا، هذا هو وضع البيض والسود الذي ذكرت عنه نموذجاً بسيطاً ولكن عمق هذه القضية بهذه الصورة نفسها في أرجاء العالم الأُخرى وهي غير منظورة في سائر بلدان العالم وعلى شكل آخر، حيث قسمت رؤوس الأموال والامكانيات والرفاه والفقر والنكبات بهذا الشكل الذي تدل عليه الأرقام التي ذكرتها لكم .

معدل دخل الزنوج في ناميبيا :

يبلغ معدل دخل الزنوج في ناميبيا (٩٠) جنيهاً فيما يبلغ معدل دخل البيض (٢٠٠٠) جنيه، فاين الـ (٢٠٠٠) جنيه من (٩٠) جنيهاً، انها تعادل (٢٣) مثلاً أي اكثر من (١٢) ضعف، ففي هذا المجتمع الذي يختلف مستوى الدخل فيه بمقدار (٢٣) مرة يمكن معرفة مستوى المعيشة والرفاهية والقضايا الأُخرى فيه، ولا يحق للسود المشاركة في الانتخابات مطلقاً وهي تختص بالبيض فقط، واختيار المسكن اجباري أي أن السود لا يحق لهم اختيار أي مكان للسكن، ومناطق البيض والسود منفصلة عن بعضها، والدراسة منفصلة في المدارس، واخيراً قاموا بسبب ما يحملونه من مبدأ عنصري بإعطاء الملونين امتياز المواطنين من الدرجة الثانية في الدستور وهو بذاته يشعل نزاعات جديدة، فالمسلمون الهنود الذين ذهبوا من الهند الى جنوب افريقيا يواجهون تساؤلات من السود الذين يقولون لهم انكم أخذتم امتيازات من البيض، وهكذا بدأ صراع جديد بين هؤلاء ، ثم كيف تتصرف الشرطة مع هؤلاء ، وكيف هو الوضع في الحافلات وفي المتنزهات وكيف يعمل السود،

فهذه أُمور تسمعونها من الاماكن الأُخر ولا أُريد الحديث عنها هنا .

الذي أريد قوله فقط لشعبنا وللذين يسمعون صوتي أن لا ينبغي الانخداع بالظاهر الناعم والهادئ لهذه الأفاعي الغربية المرقطة، فهؤلاء يتحدثون حين يتحدثون كانسان متحضر وشريف ومحب للبشر، وفي العمل فالنموذج متجسد لعملهم هو هذا الذي قلته وقد ذكرت نماذج أُخر على ذلك في الخطب التي ألقيتها حتى الآن وأوضحت أية فئة من البشر هؤلاء .

الغربيون رفعوا لواء الحضارة والثقافة والعدالة والانسانية كذباً :

هؤلاء يريدون اليوم أن يرفعوا في العالم لواء الحضارة والثقافة والعدالة والانصاف والانسانية، وكل من لم يحمل لون ثقافتهم اتهموه بعدم التحضر وبتلك الأُمور التي يرغبون في اتهامه بها، وهناك أُناس متغربون في هذه البلدان وحتى في ناميبيا هذه وحتى في جنوب افريقيا وحتى في بلدان كبلدنا مايزال أولئك قبلتهم وهم يرون أن الانسانية لا يمكن بلوغها إلّا عن طريق هؤلاء ، ولو أمكن لهذا الفصل الذي تحدثت فيه حتى الآن أن يكون مرشداً لشعبنا ولا سيما لشبابنا فيعرفوا هؤلاء الذئاب التاريخيين فمن شأن ذلك أن يخلق تحولاً في المعنويات يجعلنا نعرف في الأقل أن هؤلاء (الغربيين) يكذبون فنختار طريقنا، فنحن نعتنق الاسلام ونتمسك به ومن مفاخرنا العظيمة أن الاسلام كان منذ انطلاقته الأُولى مقترناً بالعدالة، وقد كتب «جرجي زيدان» وهو مسيحي: حين شكل النبي الأكرم الحكومة في الجزيرة العربية خلال الاسبوع الأول شكل لجنة عليا كان من اعضائها زنجي يدعى بلالاً، ونحن نعلم أن ذلك المركز الرئيس للتجمع في الاسلام كان يشكله سلمان الفارسي وامثاله، وكان يحيط بالنبي الأكرم شخصيات من هذا القبيل كانت تمثل محور الحكم وكانوا خليطاً من كل العناصر، فقد كان صهيب الرومي يجلس الى جانب سلمان الفارسي الأعجمي والى جانب بلال الحبشي والى جانب النبي الأكرم نفسه (ص) وعلي بن ابي طالب العربي (ع) وجها لوجه، وعلى مر

التاريخ حافظ الاسلام على هويته هذه، ومنحنا القرآن هذه المفخرة ، وكلما اعترض احد على لباس هؤلاء أو نسبهم أو سوابقهم التعليمية قال له النبي الأكرم ان هؤلاء اناس صالحون ومتقون .

فكانت التقوى اساس التعيين والاختيار لدى النبي الأكرم (ص)، وكان رسول اللّه (ص) يعتمد هذا المبدأ أي ترجيح التقوى ذلك الاساس الداخلي الأصلي للانسانية، وأساس الفضائل واساس الورع عن المزالق والذنوب الذي من شأنه حقاً أن يشكل تجسيداً لجوهرة الانسانية الأصيلة، والقرآن ركز عليه أيضاً، وهذا هو تاريخنا، وهذه هي مطاليبنا وهذا هو محور حركتنا ومحور قيمنا ورأس مالنا، واننا نعتقد أن لو كانت ملكة التقوى هذه في قلب أي انسان لجعلته يخاف اللّه ويتقيه سواء كان ابيض أو أسود، والأدب مرآة للافكار، وقد ركزنا في أدبنا على القضية منذ البداية وشعراؤنا وحتى شعراء البلاط فهم حين ينشدون قصائدهم كانوا لا يتمكنون من تجاهل هذا المبدأ حتى لو كان شعرهم مدحاً للملوك والجبابرة، اذ جاء في بعض اشعارنا:

كان أحدهم أبيض الوجه كالبدر له مكانة
وجاء فسئم من غلام أسود
فعبس الغلام الأسود وحزن
وقال لذلك الصنم الذي قلبه من حجر
لو أن اللّه أضاء بك العالم
فقد جعلني خالاً في جبين النهار
ولو منحك اللّه وجهاً كالبدر
فقد اعطاني وجهاً كليلة القدر

وهكذا ترون أن هذه القصيدة جعلت كل تلك القيم لرجل زنجي ولا تنكر أن البيض بامكانهم أن يكونوا ذوي فضائل، فلو كانت الشمس بيضاء فليلة القدر سوداء ، ولو كان وجهك الجميل ابيض، فذلك الخال الذي في وجهك ويجعلك مليحاً، له قيمة خاصة، فقيمة البياض وقيمة السواد لا يمكنهما أن

يحددا الانسانية، هذه المواضيع متوفرة في ادبنا، وفي قرآننا، وفي احاديثنا ، وفي سيرة أئمتنا، وفي سيرة عظمائنا، فهذا التاريخ يجلب المفاخر ، وذلك التاريخ يأتي بالنكبات .

ونتيجة بحوثي كلها في هذه الخطب أن الاسلام عرض في مجال التعامل مع العناصر البشرية أفضل طريق للعدالة، وقد سلك العالم الغربي في هذا المجال أسوأ طريق، ومايزال يسلكه مع الأسف، ولكن قد يغيرون من شكله ووضعه ومايزال التميز العنصري سائداً اليوم كما كان قبل ثلاثمئة سنة .

واهداف أميركا في البلدان الاسلامية، أي في ايران والعراق ومصر وسوريا والعربية السعودية والهند وباكستان هي الاهداف نفسها التي تسعى اليها في جنوب أفريقيا وناميبيا، ولا فرق بين الحالتين عدا أنها تتصرف هنا بطريقة خاصة وتتصرف هناك بطريقة أخرى، فهؤلاء سلطويون ومستكبرون، وهؤلاء معتدون يسلكون هذا الطريق .

الفهرس